

سلسلة الموانع

٤

# موانع الْخُشُوعِ في الصَّلَاةِ



تأليف  
الشيخ السيد مراد سلامة

الناشر  
المكتبة المرادية الإلكترونية

# مَوَانِعُ الْخَشَوِعِ وَأَسْبَابُهُ

تأليف

الشيخ السيد مراد سلامة

الناشر

المكتبة المرادية الالكترونية



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تحيي القلوب، وتزكي النفوس، وتصل العبد بربه جل وعلا، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليفة، خير من صلى وخشع، وأحسن العبادة وأتمها، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الصلاة أعظم أركان الإسلام العملية، وأجل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى مولاه، وهي صلة بين العبد وربه، ومناجاة يقف فيها بين يدي الله تعالى، يناجيه ويذكره ويعظمه ويرجوه ويخافه؛ ولذلك لم تكن الصلاة مجرد حركات تؤدي، ولا ألفاظاً تردد، وإنما حقيقتها العظمى في حضور القلب، وخشوع الجوارح، وتعظيم الرب سبحانه.

والخشوع روح الصلاة ولبُّها، وبه تحيا معاني العبادة في القلب، وتثمر الصلاة آثارها في النفس والسلوك. وكلما ازداد العبد معرفة بربه، وتعظيماً له، واستحضاراً لوقوفه بين يديه، كان أقرب إلى الخشوع وحضور القلب، وأبعد عن الغفلة والسهو.

وقد أثنى الله تعالى على أهل الخشوع، فقال سبحانه:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]،

فجعل الخشوع من صفات أهل الفلاح، وقرنه بالإيمان، لما له من أثر عظيم في صلاح القلب واستقامة العمل.

ومع عظم منزلة الخشوع، فإن كثيراً من الناس يشكون تشتت القلب في الصلاة، واستيلاء الخواطر، وغلبة الغفلة، وسرعة أداء الصلاة، والانشغال بالمشاغل الدنيوية، حتى يؤدي المرء صلاته بجسده، بينما يكون قلبه بعيداً عن معنى المناجاة والوقوف بين يدي الله تعالى.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب؛ إذ إن الوصول إلى الخشوع لا يكون بمجرد الحديث عن فضله وثمراته، بل لا بد من معرفة الأسباب التي تحول بين العبد وبين خشوعه، والكشف عن الموانع التي تستولي على القلب أو تشغل البدن أو تؤثر في المكان والمحيط، ثم بيان الوسائل التي تعين المسلم على تحصيل الخشوع وتقويته والمحافظة عليه.

**وقد جاء هذا الكتاب في ثلاثة أبواب:**

**أما الباب الأول: حقيقة الخشوع في الصلاة،** فقد خصصته لبيان مفهوم

الخشوع، وبيان معناه عند أهل التفسير، والفرق بينه وبين الخضوع والسكينة وما يقاربه من المعاني، مع بيان حكمه وفضائله وآثاره وثمراته في القلب والعمل.

**وأما الباب الثاني: موانع الخشوع في الصلاة،** فهو لبُّ هذا الكتاب ومحوره

الأساس، وقد قسمت الموانع فيه إلى موانع قلبية ونفسية، وموانع بدنية وحسية، وموانع متعلقة بالمكان والمحيط، ثم أفردت فصلاً للموانع المعاصرة؛ لما استجد في حياة الناس من وسائل ومشاكل ومثيرات قد تؤثر في حضور القلب أثناء الصلاة.

**وأما الباب الثالث: ما يجلب الخشوع ويقويه،** فقد تناولت فيه بواعث الخشوع

القلبية والإيمانية، ووسائل الاستعداد للصلاة وتهيئة القلب لها، وما يعين على حضور القلب أثناء الصلاة، ثم خصصت فصلاً لبيان الخشوع في أركان الصلاة وأقوالها، وختمته بفصل «في رياض الخاشعين»؛ لعرض نماذج من حياة النبي ﷺ والصحابة والسلف الصالح، لعل القارئ يجد في سيرتهم معيناً له على الاقتداء والاهتداء.

ولم أقصد بهذا الكتاب مجرد جمع مسائل متفرقة في الخشوع، وإنما أردت أن يكون دليلاً عملياً يعين المسلم على معرفة ما يفسد خشوعه، وما يحجبه عن حضور قلبه، ثم يرشده إلى الوسائل التي تعينه على استحضار عظمة الله تعالى، وتعظيم الوقوف بين يديه، والانتفاع بالصلاة في إصلاح القلب والسلوك.

وقد اجتهدت في عزو الآيات إلى مواضعها، وتخريج الأحاديث والآثار، والاستفادة من كلام أهل العلم، مع الحرص على الجمع بين التأصيل العلمي والطرح الوعظي؛ حتى يكون الكتاب نافعاً للباحث، ومفيداً للخطيب والواعظ،

وقريباً من القارئ الذي يريد أن يرقى بصلاته من مجرد أداء الأركان والحركات إلى مقام المناجاة وحضور القلب.

وما كان في هذا العمل من صواب فمن فضل الله تعالى وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن نفسي، وأسأل الله تعالى أن يغفره ويتجاوز عنه، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره، وأن يجعله سبباً في إحياء معاني الخشوع في القلوب، وتعظيم الصلاة في النفوس، والإقبال على الله تعالى فيها.

اللهم ارزقنا قلوباً خاشعة، وأعينا دامعة، ونفوساً مطمئنة، وأعمالاً صالحة، واجعل الصلاة قرّة أعيننا، ونور قلوبنا، وراحة نفوسنا، وزادنا إلى لقاءك. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كان الفراغ منه ضحى يوم السبت موافق ١٥ ربيع آخر لسنة ١٤٤٨ من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

المؤلف/ الشيخ السيد مراد سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

## الباب الأول: حقيقة الخشوع في الصلاة

الصلاة أعظم أركان الإسلام العملية، وهي الصلة التي يقف فيها العبد بين يدي ربه سبحانه وتعالى، يناجيه ويذكره ويعظمه، ولذلك لم تكن الصلاة مجرد حركات تؤدي، ولا ألفاظاً ترددها الألسن، وإنما حقيقتها عبادةٌ يجتمع فيها خشوع القلب، وخضوع الجوارح، وحضور العقل، وتعظيم المولى سبحانه وتعالى.

والخشوع روح الصلاة ولُبُّها، وبه تستحضر النفس عظمة من تقف بين يديه، فتسكن الجوارح، ويقبل القلب على الله تعالى، ويتدبر المصلي ما يتلوه من القرآن، وما يردده من الأذكار والأدعية. وكلما قوي الخشوع في القلب، ظهرت آثاره على سلوك صاحبه وحياته، فكانت الصلاة ناهيةً له عن الفحشاء والمنكر، باعةً له على الطاعة والاستقامة.

في هذا الباب نتناول حقيقة الخشوع في الصلاة؛ حتى يتبين للقارئ أن الخشوع ليس حالة عابرة، وإنما هو مقام قلبي عظيم، وعبادة جليلة، وأثر من آثار تعظيم الله تعالى، ينبغي للمصلي أن يسعى إلى تحصيله والمحافظة عليه، وأن يجاهد نفسه من أجل أن تكون صلاته صلاةً قلبٍ حاضر، وجوارحٍ خاشعة، ونفسٍ مقبلة على ربها سبحانه وتعالى.

## الفصل الأول: مفهوم الخشوع

أخي القارئ الكريم: نتناول في هذا الفصل بيان "تعريف الخشوع" تناولاً جامعاً؛ لنستجلي معناه في لسان العرب، ونقف على حقيقته في الاصطلاح الشرعي، مع بيان الفرق بينه وبين المقامات المقاربة له كالخضوع والسكينة والخوف، ليتضح للمسلم جوهر هذه العبادة العظيمة ومدى ارتباطها بحياة القلب وجمال العبودية.

### الخشوع لغة وشرعاً:

أخي المسلم أختي المسلمة: نتناول معاً في هذا الفصل معنى الخشوع وفضله من خلال كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما معنى الخشوع وما هو فضل أهله وما أعد الله لهم؟

الجواب بعون الملك الوهاب: معنى الخشوع

أ - الخشوع لغة: قال ابن منظور في لسان العرب :

" خَشَعَ يَخْشَعُ خُشُوعًا وَاخْتَشَعَ وَتَخَشَّعَ رَمَى بَبْصَرِهِ نَحْوَ الْأَرْضِ وَغَضَّه وَخَفَضَ صَوْتَهُ. وَقَوْمٌ خُشَّعَ: مُتَخَشِّعُونَ. وَخَشَعَ بَصْرُهُ: انْكَسَرَ، وَلَا يُقَالُ اخْتَشَعَ؛ قَالَ ذُو الرِّمَّةِ ::

تَجَلَّى السُّرَى عَنْ كُلِّ خِرْقٍ كَأَنَّهُ صَفِيحَةُ سَيْفٍ، طَرَفُهُ غَيْرُ خَاشِعٍ

وَاخْتَشَعَ إِذَا طَأْطَأَ صَدْرَهُ وَتَوَاضَعَ، وَقِيلَ: الْخُشُوعُ قَرِيبٌ مِنَ الْخُضُوعِ إِلَّا أَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْبَدَنِ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِالِاسْتِخْذَاءِ، وَالْخُشُوعُ فِي الْبَدَنِ وَالصَّوْتِ

والبصر كقوله تعالى: {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ}؛ {و خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ} .  
"- (١)

### تعريف الخشوع عند المفسرين

قال القرطبي- رحمه الله-: الخاشعون جمع خاشع وهو المتواضع، والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع وقال قتادة: "الخشوع في القلب، وهو الخوف و غص البصر في الصلاة.  
قال الزجاج- رحمه الله-: الخاشع الذي يرى أثر الذل والخشوع عليه كخشوع الدار بعد الإقواء هذا هو الأصل.  
قال النابغة :

رماد ككحل العين لأيا أبينه ونؤي كجذم الحوض أثلم خاشع .

ومكان خاشع: لا يهتدى له. {وخشعت الأصوات} أي: سكنت. وخشعت خراشي صدره إذا ألقى بصاقا لزجا. وخشع ببصره إذا غضه.  
والخشعة قطعة من الأرض رخوة، وفي الحديث (كانت خشعة على الماء ثم دحيت بعد) وبلدة خاشعة مغبرة لا منزل بها.

**قال سفیان الثوري- رحمه الله-:** " سألت الأعمش عن الخشوع".

فقال: "يا ثوري، أنت تريد أن تكون إماما للناس ولا تعرف الخشوع"، سألت إبراهيم النخعي عن الخشوع.

فقال: أعيמש ، تربد أن تكون إماما للناس ولا تعرف الخشوع ، ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطأاً الرأس لكن الخشوع أن ترى الشريف والدنيء في الحق سواء وتخضع لله في كل فرض أفترض عليك. <sup>١</sup>

وقال الطبري-رحمه الله-: "الذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته وإذا تذل لله فيها العبد رؤية ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها" <sup>٢</sup>.

والله تعالى يقول ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[المؤمنون: ١-٢]

يقول أبو جعفر الطبري-رحمه الله-: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} الذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته وإذا تذل لله فيها العبد رؤية ذلة خضوعه في سكون أطرافه ، وشغله بفرضه ، وتركه ما أمر بتركه فيها( <sup>٣</sup> )

" واختلف أهل التأويل في الذي عني به في هذا الموضع من الخشوع.

فقال بعضهم: عني به سكون الأطراف في الصلاة.

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار قال: ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن

منصور عن مجاهد: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} قال: "السكون فيها"

حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري {الَّذِينَ هُمْ فِي

<sup>١</sup> القرطبي تفسير الآية ٤٤ البقرة .

<sup>٢</sup> تفسير الطبري ج: ١٨ ص: ٣

<sup>٣</sup> تفسير الطبري ج: ١٨ ص: ٣

**صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** { قال: "سكون المرء في صلاته" . . . . . وقال آخرون عني به الخوف في هذا الموضع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن **{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}** قال: "خائفون" حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر في قوله **{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}** قال الحسن: "خائفون" . وقال قتادة: "الخشوع في القلب" . عن ابن عباس في قوله: **{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}** يقول: "خائفون ساكنون"

## الفصل الثاني: فروق بين الخشوع والخضوع والسكينة

أخي المسلم الكريم - اعلم زادك الله علماً - أن الألفاظ الإيمانية متى تقاربت في معانيها الدقيقة، احتاج الباحث إلى التمييز بينها ليدرك اللطائف القرآنية والمعاني الشرعية على وجهها الصحيح. ومن الألفاظ التي تتداخل في الأذهان لفظاً "الخشوع" و"الخضوع" وغيرها؛ إذ يظن الكثيرون أنهما بمعنى واحد لتقاربهما في الدلالة على الاستكانة والانقياد.

غير أن أهل العلم واللغة أشاروا إلى فرق دقيق ولطيف بينهما؛ فالخشوع أصله في القلب وينعكس على الجوارح، بينما الخضوع يكون في الظاهر والانقياد البدني، وقد يخضع البدن دون أن يخشع القلب.

ونسلط الضوء في هذا الفصل على "الفرق بين الفرق بين الخشوع والوجل والقنوت والسكينة والإخبات والطمأنينة"؛ لنسبر غور الدلالات اللغوية، ونستعرض الفروق الدقيقة التي ذكرها أئمة اللغة والتفسير، مما يعين المربين والسالكين على فهم مراتب العبودية وتحقيق الخشوع الباطن مع الخضوع الظاهر.

نسأل الله تعالى أن يملأ قلوبنا خشوعاً له، وجوارحنا خضوعاً لأمره، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

## المبحث الأول: الفرق بين الخشوع والخضوع.

قال الفيروز آبادي (١): الخشوع: الخضوع أو قريب من الخضوع أو هو في البدن.

والخشوع في الصوت والبصر.

قال صاحب المحكم (٢): خشع يخشع خشوعاً وتخشع رمى ببصره نحو الأرض، وخفض صوته. (٣)

وقيل: الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في الصوت والبصر، لقوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ (٤) وقوله:

﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ (٥) انتهى.

قلت: ويناسب التفسير الأول عبارة الدعاء في طلب التوبة في الصحيفة الشريفة: " فمثل بين يديك متضرعاً، وغمض بصره إلى الأرض متخشعاً " (٦) وقال البيضاوي: الخشوع: الإخبات، والخضوع: اللين والانقياد ولذلك يقال: الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب.

١ - في القاموس (خ ش ع) .

٢ - هو ابن سيدة الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) صاحب كتاب (المحكم والمحيط الأعظم) وهو معجم نهج فيه نهج الخليل في العين. طبع منه سبعة أجزاء كبار في القاهرة بمطبعة مصطفى الحلبي، الأزهر الشريف (٢) النص في المحكم ١ : ٦٨.

٣ - النص في المحكم ١ : ٦٨.

٤ - القلم ٦٨ : ٤٣.

٥ - طه ٢٠ : ١٠٨.

٦ - معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة (ص : ٢١٧)

## المبحث الثاني: الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق

إذا ظهرت آثار الخشوع على الجوارح، ولم يكن في القلب شيء منه، فهذا خشوع النفاق؛ ولهذا قال حذيفة -رضي الله عنه-: ((إياكم وخشوع النفاق، فقليل له: وما خشوع النفاق؟

قال: أن ترى الجسد خاشعاً، والقلب ليس بخاشع)) (١)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((وقال بعض العارفين: حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن، ورأى بعضهم رجلاً خاشع المنكبين والبدن، فقال: يا فلان، الخشوع ها هنا -وأشار إلى صدره- لا ها هنا -وأشار إلى منكبيه-، ...))، (٢) ورأى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة فقال: ((يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب)) (٣).

ورأت عائشة رضي الله عنها شاباً يمشون ويتماوتون في مشيتهم، فقالت لأصحابها: من هؤلاء؟ قالوا نُسَّاك (أي عبَّاد)، فقالت: ((كان عمر بن الخطاب

<sup>١</sup> - ذكره ابن القيم في مدارج السالكين، ١/ ٥٢١، وابن رجب في كتاب الخشوع في الصلاة، ص ١٣، وأخرجه الديلمي، في مسند الفردوس، ٢/ ٢٠٤، برقم ٣٠٠٧، وابن عدي، في الكامل في الضعفاء، ٣/ ٤٥٥، ترجمة رقم ٨٧١.

<sup>٢</sup> - ذكره ابن القيم في: مدارج السالكين، ١/ ٥٢١، والأثر في حلية الأولياء، ١٠/ ٢٣٠، واعتبره صاحب كتاب تكميل النفع، ص ١٢٣ غير صحيح نسبته لعمر -رضي الله عنه-.

<sup>٣</sup> - مدارج السالكين، ١/ ٥٢١، وأورده صاحب إحياء علوم الدين، ٥/ ٤١.

إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا أطمع أشبع، وكان هو الناسك حقاً)) (١) .

وقال الفضيل - رحمه الله -: ((كان يُكره أن يُرى الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه)) (٢) .

وقال حذيفة - رضي الله عنه -: ((أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورُبَّ مُصَلٍّ لا خير فيه، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة، فلا ترى فيهم خاشعاً)) (٣) .

وقال سهل: ((من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان)) (٤) (٥) .

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى -: ((والفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق، أن خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم، والإجلال، والوقار، والمهابة، والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجع، والخجل، والحب، والحياء، وشهود نعم الله وجنایاته هو، فيخشع القلب لا محالة، فيتبعه خشوع الجوارح.

١ - مدارج السالكين، ١ / ٥٢١، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، ٢ / ٩١٦: ((وَكَاثَةُ أَخْذِهِ مِنَ الْفَائِقِ))، وقال العجلوني في كشف الخفاء، ١ / ٤٥٢: ((وهو في النهاية والفائق وغيرهما)).

٢ - مدارج السالكين، ١ / ٥٢١، وذكره القشيري في رسالته الشهيرة، ص ٦٨.

٣ - مصنف ابن أبي شيبة، ٧ / ١٤٠، برقم ٣٤٨٠٨، وحلية الأولياء، ١ / ٢٨١، وقال المناوي في فيض القدير، ٣ / ١١٤: ((قال الزين العراقي في شرح الترمذي وتبعه الهيتمي: فيه عمران القطان ضعفه ابن معين، والنسائي، ووثقه أحمد))

٤ - ذكره الثعالبي في تفسيره، ٣ / ٦٤ وعزاه لسهل التستري أيضاً، ومثله الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز، ١ / ٧٢٢.

٥ - ذكر هذه الآثار ابن القيم في مدارج السالكين، ١ / ٥٢١ - ٥٢٢.

وأما خشوع النفاق، فيبدو على الجوارح تصنعاً وتكلفاً، والقلب غير خاشع، وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعاً، والقلب غير خاشع، فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته (١).

### المبحث الثالث

#### الفرق بين الخشوع والوجل والقنوت والسكينة والإخبات والطمأنينة

الفرق بين هذه الأمور على النحو الآتي:

- ١ - **الخشوع**: لين القلب وخضوعه، ورقته، وسكونه، وحضوره وقت تلبّسه بالطاعة، فتتبعه جميع الجوارح والأعضاء: ظاهراً وباطناً؛ لأنها تابعة للقلب، وهو أميرها، وهي جنوده، والله تعالى أعلم
- ٢ - **الوجل**: الخوف الموجب لخشية الله تعالى، وأكبر علاماته: أن يقوم صاحبه بفعل أوامر الله، وترك نواهيه رغبة فيما عنده من الثواب، وخوفاً مما عنده من العقاب، والله تعالى أعلم.
- ٣ - **القنوت**: القنوت يرد في القرآن على قسمين:

١ - الروح ط - أخرى (ص: ٣٢٠)

**القسم الأول:** قنوت عام لجميع المخلوقات، كقوله تعالى: **{وَلَهُ مَنْ فِي**

**السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}** (سورة الروم، الآية: ٢٦)، والمعنى: الكل عبيد

خاضعون لربوبيّته، وتدبيره - سبحانه وتعالى -، لا معبود بحق سواه.

**القسم الثاني،** وهو الأكثر في القرآن الكريم: القنوت الخاص: وهو دوام الطاعة

لله على وجه الخشوع، مثل قوله تعالى: **{أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا**

**وَقَائِمًا}** (سورة الزمر، الآية: ٩)، ونحو ذلك (١)، والقنوت أيضاً

يرد لعشرة معانٍ أخرى.

**٤ - السكينة:** قيل: السكينة: المهابة والرّزانة والوقار (٢).

وقيل: ما يجده القلب من الطمأنينة ... وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده،

ويطمئن وهو مبادئ عين اليقين (٣).

وقيل: السكينة: الطمأنينة (٤)، وتأتي السكينة بمعنى: الوقار، والتّأني في الحركة

والسير: ((السكينة، السكينة)) أي الزموا السكينة (٥)، وفي حديث الخروج إلى

الصلاة: ((فليأتِ وعليه السكينة)) (٦)

<sup>١</sup> - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص ٣١١، وص ٣٦٢.

<sup>٢</sup> - انظر: المصباح المنير، للفيومي، ١/ ٢٨٣، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، ص ٤٨٦.

<sup>٣</sup> - التعريفات للجرجاني، فصل الكاف، ص ١٥٩.

<sup>٤</sup> - القاموس المحيط، ص ١٥٥٦.

<sup>٥</sup> - رواه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي - صلى الله عليه وسلم -، برقم ١٢١٨،

<sup>٦</sup> - أخرجه الإمام أحمد، ٨/ ١٨، برقم ٩٠٢٢، والطبراني في معجمه الأوسط، ١/ ٢٩٦، حديث رقم: ٩٨٣، وصححه الألباني في

الثمر المستطاب، ص ٢٣٣.

وقد ذكر الله سبحانه ((السكينة)) في كتابه في ستة مواضع:

الأول: قوله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ} (سورة البقرة، الآية: ٢٤٨).

الثاني: قوله تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (سورة التوبة، الآية: ٢٦).

الثالث: قوله تعالى: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا} (سورة التوبة، الآية: ٤٠).

الرابع: قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (سورة الفتح، الآية: ٤).

الخامس: قوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} (سورة الفتح، الآية: ١٨).

السادس: قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (سورة الفتح، الآية: ٢٦).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: ((وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده، عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات. ولهذا أخبر سبحانه عن إنزالها على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، كيوم الهجرة، إذ هو وصاحبه في الغار، والعدو فوق رؤوسهم، لو نظر أحدهم إلى ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم حُنين، حين ولَّوْا مدبرين من شدة بأس الكفار، لا يلوي أحد منهم على أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكُّم الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس، وحسبك بضعف عمر - رضي الله عنه - عن حملها، وهو عمر، حتى ثَبَّتَهُ اللَّهُ بالصَّديق - رضي الله عنه - .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة، إلا التي في سورة البقرة)) (١).

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ((رأيت النبي ﷺ نقل من تراب الخندق، حتى وارى الترابُ جلدة بطنه، وهو يرتجز بكلمة عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - :

**اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا**

١ - أورد هذا الأثر أكثر المفسرين، انظر مثلاً: تفسير البغوي، ٧/ ٢٩٨، تفسير القرطبي، ١٦/ ٢٦٤، وذكره العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٨٣٩، والمباركفوري في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧/ ٣٧٨.

فَأَنْزَلْنٰ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَا قِينَا

إِنَّ الْأُلَىٰ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا)) (١)(٢)

وقال العلامة السعدي رحمه الله: ((والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل، والزلازل، والمفطعات، مما يثبتها، ويسكنها، ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد)) (٣)، وهي: ((الثبات والطمأنينة، والسكون المثبتة للفؤاد)) (٤).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((السكينة) إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت، واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب، والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا، والفحش، واللغو، والهجر، وكل باطل. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عَمْرِو وَقْلِهِ)) (٥).

<sup>١</sup> - متفق عليه: البخاري، برقم ٤١٠٦، وفيه برقم ٣٠٣٤، ورقم ٤١٠٤، ومسلم، برقم ١٨٠٣، بلفظ: ((والله لولا أنت ...)).

<sup>٢</sup> - انظر: مدارج السالكين، ٢/ ٥٠٢- ٥٠٤ بتصرف.

<sup>٣</sup> - تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٣٣.

<sup>٤</sup> - المرجع السابق، ص ٣٣٨.

<sup>٥</sup> - مدارج السالكين، ٢/ ٥٠٦، والأثر رواه الإمام أحمد، برقم ٥١٤٥ عن ابن عمر، وهو عند أبي داود، برقم ٢٩٦٣، وابن ماجه، برقم ١٠٨، عن أبي ذر - رضي الله عنه -، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٠٨، ولم أجد رواية ابن عباس التي أشار إليها الإمام ابن القيم رحمه الله.

وكثيراً ما ينطق صاحب (السكينة) بكلام لم يكن عن فكرة منه، ولا رؤيّة، ولا هبة، ويستغربه هو من نفسه، كما يستغرب السامع له، وربّما لا يعلم بعد انقضائه بما صدر منه.

وأكثر ما يكون: هذا عند الحاجة، وصدق الرغبة من السائل، والمجالس، وصدق الرغبة منه: هو إلى الله، والإسراع بقلبه إلى بين يديه، وحضرته، مع تجرّده من الأهواء، وتجريده النصيحة لله ولرسوله، ولعباده المؤمنين، وإزالة نفسه من البين)) (١).

ومن السكينة: سكينة الخشوع عند القيام بالعبادة لله تعالى، وهو الوقار، والخشوع الذي يحصل لصاحب مقام الإحسان.

ولما كان الإيمان موجباً للخشوع، وداعياً إليه، قال الله تعالى: **{ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ }** (سورة الحديد، الآية: ١٦). دعاهم من مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، يعني: أما آن لهم أن يصلّوا إلى الإحسان بالإيمان؟ وتحقيق ذلك بخشوعهم لذكره الذي أنزله إليهم؟)) (٢)

٥ - الإخبات: التواضع والخشوع، واللين، والسكون (٣).

١ - مدارج السالكين، ٢ / ٥٠٦.

٢ - مدارج السالكين لابن القيم، ٢ / ٥٠٩ - ٥١٠.

٣ - تقدم ذكر مراجع هذه المعاني في المبحث الرابع في فضائل الخشوع، البند رقم ٧.

وهو من أول مقامات الطمأنينة: كالسكينة، واليقين، والثقة بالله تعالى، ونحوها، فالإخبات مقدماتها، ومبدؤها، والإخبات أول مقام يتخلص فيه العبد من التردد، الذي هو نوع غفلة وإعراض (١).

٦- الطمأنينة: قال الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (سورة الرعد، الآية: ٢٨)، وقال تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّاتِي} (سورة الفجر، الآيات: ٢٧ - ٣٠).

(الطمأنينة) سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف: ((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ فَإِنَّ الصَّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ)) (٢) أي الصدق يطمئن إليه قلب السامع، ويجد عنده سكوناً إليه، والكذب يوجب له اضطراباً وارتياباً، ومنه قول النبي ﷺ: ((الْبُرُّ مَا أَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ)) (٣) أي سكن إليه، وزال عنه اضطرابه وقلقه.

١ - انظر التفصيل في: مدارج السالكين لابن القيم، ٢/ ٣ - ٨.

٢ - أخرجه الإمام أحمد، برقم ١٧٢٤، ١٧٢٤، والترمذي، برقم ٢٥١٨، وقال: ((حسن صحيح))، والنسائي، برقم ٥٧١١، وابن خزيمة في صحيحه، ٤/ ٥٩، برقم ٢٣٤٨، والدارمي، ٢/ ٣١٩، برقم ٢٥٣٢، وابن حبان، ٢/ ٤٩٨، برقم ٧٢٢، والبيهقي في شعب الإيمان، ٥/ ٥٢، برقم ٥٧٤٧، والحاكم، ٢/ ١٥، برقم ٢١٦٩، وقال: صحيح الإسناد وأبو يعلى، ١٢/ ١٣٢، برقم ٦٧٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٩٣٠.

٣ - أخرجه أحمد، برقم ١٨٠٠١، والطبراني، ٢٢/ ١٤٨، برقم ٤٠٣، والدارمي، ٢/ ٣٢٠، برقم ٢٥٣٣، وأبو يعلى، ٣/ ١٦٠، برقم ١٥٨٦. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٢٨٨١.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: (({الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ} أي:

تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً؛

ولهذا قال: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} أي: هو حقيق بذلك)) (١).

وقال العلامة السعدي رحمه الله: (({الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ} أي:

أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها.

١ - تفسير القرآن العظيم، ص ٧٠٧.

### الفصل الثالث: بيان حكم الخشوع

فإن الصلاة هي عماد الدين وركنه المكين، والخشوع فيها بمثابة الروح من الجسد؛ صلاة بلا خشوع كجسد بلا روح. ولما كان للخشوع هذه المنزلة العالية والقدر العظيم، يتأكد على كل مسلم معرفة "حكم الخشوع" والوقوف على أقوال أهل العلم فيه.

فهل الخشوع شرط لصحة الصلاة لا تصح إلا به؟ أم هو واجب من واجباتها يؤثم تاركه؟ أم هو سنة ومستحب يكمل به أجر المصلي ولا تبطل الصلاة بتركه؟

نقف في هذا الفصل بين يدي هذه المسألة الفقهية المهمة؛ لنستعرض الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، ونبين أقوال الفقهاء والأئمة المتبوعين، مع تحرير محل النزاع وتوضيح الأثر المترتب على هذا الخلاف في واقع المسلم وصلاته.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الفقه في دينه، وأن يجعلنا من الخاشعين في صلاتهم، المقبولين عنده.

اعلم علمني الله وإياك: أن هناك من العلماء من قال بوجوب الخشوع في الصلاة. ومنهم من قال: بل هو من فضائل الصلاة ومكملاتها.

فممن قال بوجوبه: الإمام الغزالي في الإحياء وتابعه فريق من العلماء، وقال بوجوبه ابن حامد من أصحاب الإمام أحمد وروي عن الإمام أحمد روايتين، وقال بوجوبه ابن تيمية .

وقال الإمام النووي وابن حجر: أنه من سنن الصلاة.

وجعله الرازي: شرط صحة لا شرط قبول.

وفصل القول الإمام ابن القيم في مدارج السالكين واليك أخي بيان أدلة كلا الفريقين وبيان الراجح منها والله المستعان.

### أولاً: أدلة القائلين بوجوب الخشوع:

فمن الأدلة التي استدل بها من قال بالوجوب قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢].

والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]. والغفلة تضاد الذكر، ولهذا قال: ﴿وَلَا

تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

إن حركة اللسان غير مقصودة؛ بل المقصود معانيها.

عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عَمَّارًا صَلَّى صَلَاةً رَكَعَتَيْنِ، فَقَالَ: لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ: لَقَدْ خَفَّفْتَهُمَا، قَالَ: هَلْ رَأَيْتَنِي نَقَصْتُ مِنْ رُكُوعِهَا، أَوْ حُدُودِهَا شَيْئًا؟، قَالَ: لَا وَلَكِنَّكَ خَفَّفْتَهُمَا، قَالَ: إِنِّي بَادَرْتُ بِهَا

الْوَسْوَاسَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيُصَلِّيَ صَلَاةَ الْمَكْتُوبَةِ، وَلَعَلَّهُ أَلَّا تَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا عَشْرُهَا، وَتُسْعُهَا ثُمْنُهَا سُبْعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا» ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْعَدَدِ، (١).

عن معاذ بن جبل: من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو في الصلاة فلا صلاة له". (٢).

عن الحسن رحمه الله: " كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع ". (٣).

وقال عبد الواحد بن زيد: " أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل ". (٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى: قال - رحمه الله - : " فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] وهذا يقتضي ذم غير الخاشعين . كقوله - تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً

١ - أخرجه عبد ابن حميد ح ١٥٣ وأحمد ح ١٨١٣٦ وأبو داود ح ٦٧٥ البيهقي في الكبرى ح ٢١١ وأبو يعلى في مسنده ح ١٥٨٠ و

صححه الألباني في صفة صلاة النبي ص ١٥٣

٢ - «إحياء علوم الدين» (١ / ١٦٠)

٣ - تفسير الرازي - (ج ١١ / ص ١٦٣)

٤ - «إحياء علوم الدين» (١ / ١٦١)

إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴿البقرة: ١٤٣﴾ وقوله - تعالى - ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] .

فقد دل كتاب الله \_ عز وجل \_ على من كبر عليه ما يحبه الله أنه مذموم بذلك في الدين، مسخوط منه ذلك

والذم أو السخط لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرم.

وإذا كان غير الخاشعين مذمومين، دل ذلك على وجوب الخشوع

فمن المعلوم أن الخشوع المذكور في قوله - تعالى - ﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] لابد أن يتضمن الخشوع في الصلاة . فإنه لو كان المراد الخشوع خارج الصلاة لفسد المعنى .

إذ لو قيل: إن الصلاة لكبيرة إلا على من خشع خارجها ولم يخشع فيها.

كان اقتضى أنها: لا تكبر على من لم يخشع فيها، وتكبر على من خشع فيها وقد، انتفى مدلول الآية.

فثبت أن الخشوع واجب في الصلاة . ويدل على وجوب الخشوع فيها أيضا قوله - تعالى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ

وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ

الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿[المؤمنون: ١-١١]

أخبر - سبحانه وتعالى - : أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة . وذلك يقتضي أنه لا يرثها غيرهم.

وقد دل هذا على وجوب هذه الخصال.

إذ لو كان فيها ما هو مستحب، لكانت جنة الفردوس تورث بدونها، لأن الجنة تنال بفعل الواجبات دون المستحبات، ولهذا لم يذكر في هذه الخصال إلا ما هو واجب.

وإذا كان الخشوع في الصلاة واجباً. فالخشوع يتضمن السكينة والتواضع جميعاً.

ومنه حديث عمر -رضي الله عنه - حيث رأى رجلاً يعبد في صلاته.

فقال: " لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه " (١) أي : لسكنت وخضعت "

وقال - رحمه الله - مفصلاً نصيب الخاشعين:

" فإن قيل فخشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحق واجب قيل نعم لكن

الناس فيه على قسمين مقتصد وسابق فالسابقون يختصون بالمستحبات

١ - (موضوع) انظر حديث رقم: ٤٨٢١ في ضعيف الجامع

والمقتصدون الأبرار هم عموم المؤمنين المستحقين للجنة ومن لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء فهو ظالم لنفسه

عن عبد الله بن عمرو قال كان النبي ﷺ يتعوذ من علم لا ينفع ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع (١) " (٢).

### أدلة الفريق الثاني القائلين أن الخشوع سنة وليس بواجب:

\* أمر رسول الله ﷺ من سها في صلاته بسجود السهو ولم يأمره بالإعادة مع قوله: " إن العبد لينصرف من الصلاة ولم يكتب له إلا نصفها، ثلثها، ربعها، حتى بلغ عشرها " (٣).

\* إجماع الفقهاء على أنه ليس بشرط.

\* ما ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: « إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان، وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء، أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة، أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل،

<sup>١</sup> -مجموع الفتاوى (ج: ٧ ص: ٢٩).

<sup>٢</sup> - أخرجه احمد ح ٦٢٧٠ والنسائي ح ٥٣٧٥ ح وقال الألباني: صحيح، التعليق الرغيب ( ١ / ٧٥ - ٧٦ ) ، علم ابن أبي خيثمة ( ١٤٨ / ١٦٥ ) ، صحيح أبي داود ( ١٣٨٥ ) // صحيح الجامع ( ١٢٩٧ ) ، صحيح الترغيب ( ١١٩ ) //

<sup>٣</sup> - أخرجه عبد ابن حميد ح ١٥٣ و أحمد ح ١٨١٣٦ و أبو داود ح ٦٧٥ البيهقي في الكبرى ح ٢١١ و أبو يعلى في مسنده ح ١٥٨٠ و صححه الألباني في صفة صلاة النبي ص ١٥٣

حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى . (١) "

قالوا: فأمره النبي في هذه الصلاة التي قد أغفله الشيطان فيها، حتى لم يدرككم صلى بأن يسجد سجدتين السهو، ولم يأمره بإعادتها، ولو كانت باطلة - كما زعمتم - لأمره بإعادتها (٢) . "

" وقد حكى النووي الإجماع على أن الخشوع ليس بواجب<sup>٣</sup> "

ولذلك قالوا بأن الخشوع سنة كما جاء في المنهاج وشرحه لابن حجر: " ويسن الخشوع في كل صلاته بقلبه بأن لا يحضر فيه غير ما هو فيه .... والظاهر أن هذا مراد النووي من الخشوع لأنه سيذكر الأول بقوله: ويسن دخول الصلاة بنشاط وفراغ قلب إلا أن يجعل ذلك سبباً له ولذا خصه بحالة الدخول<sup>٤</sup> . "

وفي شرح أصول الفقه الشافعي: "ومن سنن الصلاة الخشوع وترتيل القراءة وتدبرها وتدبر الذكر والدخول فيها بنشاط وفراغ القلب<sup>٥</sup> "

وقال: في المجموع المسألة الثالثة: يستحب .

١ - أخرجه مالك (الموطأ) (٨٣) . والحميدى (٩٤٧) . وأحمد (٢٤١/٢) والبخاري (٨٧/٢) وأبو داود (١٠٣٠) وابن ماجه (١٢١٦) والترمذي (٣٩٧) والنسائي (٣٠/٣) وفي الكبرى (٥٠٦ و ١٠٨٤) وابن خزيمة (١٠٢٠)

٢ - انظر مدارج السالكين ١/ ١١٢ ، ٥٢٨-٥٣٠

٣ - فتح الباري ج: ٢ ص: ٢٢٦

٤ - انظر تفسير الألوسي أول سورة المؤمنون

٥ - المقدمة الحضرية ج: ١ ص: ٧٤

الخشوع في الصلاة، والخضوع، وتدبر قراءتها، وأذكارها، وما يتعلق بها، والإعراض عن الفكر فيما لا يتعلق بها، فإن فكر في غيرها، وأكثر من الفكر، لم تبطل صلاته لكن يكره، سواء كان فكره في مباح، أو حرام كشرب الخمر... أن الفكر في حديث النفس

إذا كثر بطلت الصلاة وهو شاذ مردود، وقد نقل الإجماع على أنها لا تبطل.

وأما الكراهة فمتفق عليها (١)

ومن الواضح أن القائلين بهذا القول من الفقهاء يبحثون عن حكم الأجزاء لا حكم الثواب والقبول كما أشار الرازي في تفنيده قولهم.

قال الرازي - رحمه الله - : " أن الحضور عندنا ليس شرطاً للأجزاء، بل شرط للقبول، والمراد من الأجزاء أن لا يجب القضاء، والمراد من القبول حكم الثواب.

والفقهاء إنما يبحثون عن حكم الأجزاء لا عن حكم الثواب، وغرضنا في هذا المقام هذا "(أي حكم الثواب).

ثم وضح ذلك بمثال فقال: " ومثاله في الشاهد: من استعار منك ثوباً ثم رده على الوجه الأحسن، فقد خرج عن العهدة، واستحق المدح.

ومن رماه إليك على وجه الاستخفاف، خرج عن العهدة، ولكنه استحق الذم.

١ - المجموع ج: ٤ ص: ١١٤

كذا من عظم الله-تعالى - حال أدائه العبادة ، صار مقيماً للفرض ، مستحقاً للثواب، ومن استهان بها، صار مقيماً للفرض ظاهراً ، لكنه استحق الذم<sup>(١)</sup>.

### الفريق الثالث من قال يجب ولو في جزء من الصلاة وهو ما ذكره الألويسي

يقول : " لنا وجهاً اختاره جمع أنه شرط للصحة لكن في البعض "

فعلى هذا القول يجب الخشوع والحضور ولو في جزء من الصلاة وإلا بطلت الصلاة، وهذا حق خاصة وأن الخشوع روح الصلاة، وإلا كانت ميتة لا روح فيها، مردودة مذموم صاحبها.

وهذا هو أرجح الأقوال والدليل على صحة ذلك الرأي ما ورد عن النبي ﷺ - عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعة سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها<sup>(٢)</sup>،

والمعنى: أن الناس تختلف أحوالهم في ثواب صلواتهم على حسب حالاتهم في إقامتها، فمنهم من يحصل له ثواب عشر صلاة، ومنهم تسعها، ومنهم ثمنها إلى نصفها، فالرجل السعيد أن يحصل له ثواب كلها.

<sup>١</sup> انظر تفسير الرازي أول سورة المؤمنون

<sup>٢</sup> أخرجه أبو داود ح ٦٧٥ والنسائي في الكبرى ٦١٢ وأبو يعلى في مسنده ح ١٥٩٣ قال الألباني ( حسن ) انظر حديث رقم : ١٦٢٦ في صحيح الجامع .

و ذلك راجع إلى الخشوع و الحضور القلبي فيها فلو كان الخشوع واجب في جميع الصلاة لما تقبل الله تعالى من هؤلاء، و الله أعلى و أعلم و أجل و أكرم.

### حكم صلاة من عُدِم الخشوع:

فإن قلت ما هو حكم من فقد الخشوع في صلاته، هل صلاته صحيحة أم أنها باطلة وما الرأي الراجح في ذلك؟

اعلم أن من قال بالوجوب يقول ببطلان الصلاة التي لا يخشع فيها صاحبها و يترتب على قول من أوجب الخشوع و حضور القلب و جوب إعادة الصلاة - كما قرر ابن حامد من الحنابلة - و جمهور الفقهاء على خلاف ذلك.

قال ابن القيم في مدارج السالكين: " فإن قيل: ما تقولون في صلاة من عدم الخشوع، هل يعتد بها أم لا؟

قيل: أما الاعتداد بها في الثواب: فلا يعتد بها، إلا بما عقل فيه منها، و خشع فيه لربه.

قال ابن عباس: " ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ".

وفي المسند مرفوعاً: " إن العبد ليصلي الصلاة، ولم يكتب له إلا نصفها، أو ثلثها، أو ربعها حتى بلغ عشرها ".

فقد علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس من أهل الفلاح، ولو اعتدَّ له بها ثوابا لكان من المفلحين، وأما الاعتداد

بها في أحكام الدنيا، وسقوط القضاء فإن غلب عليها الخشوع وتعقلها اعتد بها إجماعاً، وكانت من السنن والأذكار عُقيها جوابر ومكملات لنقصها.

وإن غلب عليها عدم الخشوع فيها وعدم تعقلها، فقد اختلف الفقهاء في وحب إعادتها

ثم رجح - رحمه الله - عدم إعادتها فقال: " فإن أردتم وجوب الإعادة لتحصل هذه الثمرات والفوائد فذلك كله إليه إن شاء أن يحصلها وإن شاء أن يفوتها على نفسه، وإن أردتم بوجوبها أنا نلزمه بها ونعاقبه على تركها ونرتب عليه أحكام تارك الصلاة فلا.

وهذا القول الثاني أرجح القولين (أي عدم وجوب الإعادة) والله أعلم (١).

### بيان محل الخشوع:

و كثير من الناس يظن أن الخشوع محله الجوارح و لكن المحل الذي ينبعث من الخشوع فير ذلك على الجوارح هو القلب فمقام الخشوع القلب، فالقلب ملك الأعضاء، عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ : ((ألا وإنَّ في الجسد مضغةً؛ إذا صلح لها صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد لها الجسد كله، ألا وهي القلب)) (٢)

<sup>١</sup> انظر مدارج السالكين ( ١ / ٥٢٨ - ٥٣٠ )

<sup>٢</sup> - أخرجه الحميدي (٩١٨). وأحمد (٢٦٩/٤) والدارمي (٢٥٣٤) والبخاري (٢٠/١). ومسلم (٥٠/٥ و ٥١). وأبو داود (٣٣٢٩) وابن ماجه (٣٩٨٤) والترمذي (١٢٠٥) والنسائي (٢٤١/٧) قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال: حدثنا خالد، وهو ابن الحارث، قال: حدثنا ابن عون. وفي (٣٢٧/٨)

. فمقام الخشوع في قلب العبد، فإذا خشع قلبه خشعت جوارحه، إذا خشع قلبه

خشعت لله جوارحه، فترى ذلك المصلي مقبلاً على صلاته، قليل العبث

والحركة، مقبلاً بقلبه على صلاته، متدبراً لقراءتها والأذكار المشروعة في كل

ركن من أركانها، فيخرج منها وقد زكت نفسه وصلاح قلبه واستقام حاله وتأثر

بأداء تلك الفريضة التأثر المطلوب شرعاً ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)﴾ [العنكبوت: ٤٥]

### الفصل الرابع: فضائل الخشوع والخاصعين

اعلم -بارك الله فيك - : أن الله سبحانه وتعالى لم يشرع الخشوع في العبادات إلا لعظيم أثره وجليل قدره؛ فهو منحة إلهية ومقام شريف لا يوفق إليه إلا من اختصهم الله برحمته وهدايته. وقد استفاضت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في بيان الثمار الدنية والآخروية التي يجنيها العبد الخاشع.

ونسلط الضوء في هذا الفصل على "فضائل الخشوع ومناقب الخاصعين"؛ لنستعرض ما أعده الله لهم من الفلاح في الدنيا، والمغفرة والأجر العظيم في الآخرة، وكيف يكون الخشوع سبباً لطهارة القلب، وزكاة النفس، وإجابة الدعاء، ومكفرات الذنوب والسيئات.

#### بيان فضل الخشوع في الصلاة:

اعلم علمني الله وإياك: قد تواترت النصوص الدالة على شرف الصلاة الخاشعة وجليل منزلتها وأنها ترفع الإنسان درجات وتغفر له ذنبه.

فالخشوع سبب من أسباب الفلاح و سبب من أسباب وراثة الجنة يقول الحق - سبحانه وتعالى {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)}

[المؤمنون -١- ١١]

يقول الشنقيطي - رحمه الله - ذكر جل وعلا في هذه الآيات التي ابتدأ بها أول هذه السورة علامات المؤمنين المفلحين فقال { **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** } أي فازوا وظفروا بخير الدنيا والآخرة.

وفلاح المؤمنين مذكور ذكراً كثيراً في القرآن كقوله { **وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ** **مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً** } [الأحزاب: ٤٧] وقوله { **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** } أصل الخشوع: السكون، والطمأنينة، والانخفاض ومنه قول نابغة ذبيان:

**رماد ككحل العين لآياً أبينه ونؤى كجذم الحوض أثلم خاشع**

وهو في الشرع: خشية من الله تكون في القلب، فتظهر آثارها على الجوارح. وقد عد الله الخشوع من صفات الدين أعد لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا في قوله في الأحزاب ﴿ **وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ** ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى قوله { **أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** } [الأحزاب: ٣٥].

وقد عد الخشوع في الصلاة هنا من صفات المؤمنين المفلحين، الذين يرثون الفردوس، وبين أن من لم يتصف بهذا الخشوع تصعب عليه الصلاة في قوله { **وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا الْخَاشِعِينَ** } [البقرة: ٤٥] وقد استدل جماعة من أهل العلم بقوله { **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** } فجعل رسول الله ﷺ ينظر حيث يسجد.

وقال صاحب الدر المنثور: وأخرج ابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في سننه، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة « أن النبي ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت { **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** } فطأ رأسه » ١. هـ.

وأكثر أهل العلم على أن المصلي ينظر إلى موضع سجوده، ولا يرفع بصره.  
 وخالف المالكية الجمهور، فقالوا: إن المصلي ينظر أمامه لا إلى موضع  
 سجوده، واستدلوا لذلك بقوله تعالى ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾  
 [البقرة: ١٤٤] قالوا: فلو نظر إلى موضع سجوده لاحتاج أن يتكلف ذلك بنوع من  
 الانحناء، وذلك ينافي كمال القيام. وظاهر قوله تعالى ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ  
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ لأن المنحني بوجهه إلى موضع سجوده، ليس بمول وجهه  
 شطر المسجد الحرام، والجمهور على خلافهم كما ذكرنا.  
 واعلم أن معنى أفلح: نال الفلاح، والفلاح يطلق في لغة العرب على معنيين:  
 الأول: الفوز بالمطلوب الأكبر، ومنه قول لبيد:

فاعقلي إن كنت لما تعقلي      ولقد أفلح من كان عقل

أي فاز من رزق العقل بالمطلوب الأكبر.

والثاني: هو إطلاق الفلاح على البقاء السرمدي في النعيم، ومنه قول لبيد  
 أيضاً في رجز:

لو أن حياً مدرك الفلاح      لناله ملاعب الرماح

يعني مدرك البقاء، ومنه بهذا المعنى قول كعب بن زهير، أو الأضبط بن قريع:

لكل هم من الهوم سعه      والمسي والصبح لا فلاح معه

أي لا بقاء معه، ولا شك أن من اتصف بهذه الصفات التي ذكرها الله في أول  
 هذه السورة الكريمة دخل الجنة كما هو مصرح به في الآيات المذكورة، وأن  
 من دخل الجنة نال الفلاح بمعنييه المذكورين، والمعنيان اللذان ذكرنا للفلاح

بكل واحد منهما ، فسر بعض العلماء حديث الأذان والإقامة في لفظة : حي على الفلاح .(١)

🔸 من فرَّغ قلبه لله تعالى في صلاته انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه؛ لحديث عمرو بن عبسة السُّلمي -رضي الله عنه - الطويل، وفيه أن النبي ﷺ قال بعد أن ذكر فضائل الوضوء: ((.... فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلَّا أَنْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ .. )) وذكر عمرو بن عبسة -رضي الله عنه - أنه سمع هذا من النبي ﷺ أكثر من سبع مرات (٢).

🔸 من صلى ركعتين لا يُحَدِّثَ فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه؛ لحديث عثمان -رضي الله عنه -، أنه حين توضأ وضوءاً كاملاً قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: "مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" (٣).

🔸 من صلى صلاة مكتوبة فأحسن خشوعها كانت كفارة لما قبلها من الذنوب؛ لحديث عثمان - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ)) (٤).

١ - أضواء البيان - (ج ٥ / ص ٣٠٩)

٢ - مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة، برقم ٨٣٢، وهذا الحديث فيه فوائد كثيرة، فليراجعه من شاء.

٣ - متفق عليه: البخاري، كتاب الوضوء، باب المضمضة في الوضوء، برقم ١٦٤، ومسلم كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء، برقم ٢٢٦.

٤ - مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، برقم ٢٢٨.

من صَلَّى ركعتين مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه وجبت له الجنة؛ لحديث عقبة بن عامر - رضي الله عنه -، أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)) (١)

الفوز والنجاح والسعادة في الدنيا والآخرة للخاصعين في صلاتهم، قال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} (سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢).

والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضراً لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدباً بين يدي ربه، مستحضراً جميع ما يقوله ويفعله في صلاته من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوسوس والأفكار الرديئة، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها، ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثاباً عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها (٢).

المغفرة والأجر العظيم للخاصعين؛ لقول الله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (سورة آل عمران، الآية: ١٩٩).

١ - مسلم كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، برقم ٢٣٤.

٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٥٤٧.

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (سورة الأحزاب، الآية: ٣٥).

📖 الخاشعون والخاضعون لله مبشرون بكل خير في الدنيا والآخرة؛ لقول الله

تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} (سورة الحج، الآية: ٣٤).  
قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: ((الخبث: المطمئن من الأرض ... ثم استعمل الإثبات استعمال اللين والتواضع، قال الله تعالى: {وَأَخْبِتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (سورة هود، الآية: ٢٣).

وقال تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} (سورة الحج، الآية: ٣٤)، أي المتواضعين، نحو: {الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} (سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦)، وقوله تعالى: {فَتَخَبَتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} (سورة الحج، الآية: ٥٤) أي تلين وتخضع، والإخبات هنا قريب من الهبوط في قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} (سورة البقرة، الآية: ٧٤).

وقال ابن منظور - رحمه الله -: ((الخبث ما اطمأن من الأرض واتسع ... {وَأَخْبِتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ} (سورة هود، الآية: ٢٣) أي تواضعوا، وقال الفراء: أي تخشعوا لربهم ... وأخبت لله: خشع، وأخبت: تواضع، وكلاهما من الخبت، وفي التنزيل العزيز: {فَتَخَبَتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} (سورة الحج، الآية: ٥٤) فسره ثعلب بأنه

التواضع، وفي حديث الدعاء: ((وَجْعَلْنِي لَكَ مُخْبِتًا)) (١) أي خاشعاً مطيعاً، والإخبات: الخشوع والتواضع (٢).

وقال ابن الأثير رحمه الله: ((وَجْعَلْنِي لَكَ مُخْبِتًا)) (٣) أي خاشعاً مطيعاً، والإخبات: الخشوع والتواضع، وقد أخبت لله: يخبت .. وأصلها من الخبت المطمئن من الأرض)) (٤).

وذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - هذه المعاني السابقة، ثم قال: ((والخبت في أصل اللغة: المكان المنخفض من الأرض ...))، ثم قال: ((وقال إبراهيم النخعي: المصلُّون المخلصون، وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم .. وهذه الأقوال تدور على معنيين: التواضع، والسكون إلى الله - عز وجل - ...)) (٥).

**الخشوع والتواضع لله من أعظم أسباب دخول الجنة، والنجاة من النار؛**  
لقله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (سورة هود، الآية: ٢٣).

**الخشوع لله تعالى يورث هداية الله تعالى وتبتيته؛** لقله تعالى: {وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (سورة هود، الآية: ٢٣).

١ - جزء من حديث أخرجه أحمد، ١٢٧/١، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلّم، برقم ١٥١٠، ١٥١١، والترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -، برقم ٣٥٥١، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، برقم ٣٨٣٠، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٥١٩/١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٤١٤/١، وفي صحيح الترمذي، ١٧٨/٣.

٢ - لسان العرب، باب التاء، فصل الخاء، ٢٧/٢.

٣ - أحمد، ١٢٧/١، وأبو داود، برقم ١٥١٠، ١٥١١، وابن ماجه، ٣٨٣٠، وتقدم تخريجه قبل الذي قبله.

٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة ((خبت)) ٢/٤.

٥ - مدارج السالكين، ٣/٢، وانظر: تفسير ابن كثير، ص ٨٩٨.

قال العلامة السعدي رحمه الله: (( {فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} أي تخشع، وتخضع، وتسلم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم {وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ آمَنُوا} بسبب إيمانهم {إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} علم بالحق، وعمل بمقتضاه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا النوع من تثبيت الله لعبده)) (١) .

📖 **أفضل الناس أخشعهم لله تعالى**، فالخشوع لله تعالى إذا كان بسبب معرفة الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله، والرغبة فيما عنده، والخشية من عقابه، ومبني على حبه، وخوفه مع رجائه، فهذا كله يجعل العبد أفضل الناس؛ ولهذا قال سفيان رحمه الله تعالى: ((أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله)) (٢) .

وقال سفيان أيضاً: ((يراد للعلم: الحفظ، والعمل، والاستماع، والإنصات، والنشر)) (٣) .

وقال سفيان أيضاً رحمه الله: ((كان يُقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله يخشى الله، ليس بعالم بأمر الله، وعالمٌ بالله، عالم بأمر الله، يخشى الله، فذاك العالم الكامل، وعالم بأمر الله، ليس بعالم بالله، لا يخشى الله، فذلك العالم الفاجر)) (٤) .

١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٤٢.

٢ - أخرجه الدارمي، ١ / ٨١، برقم ٣٣٧.

٣ - أخرجه الدارمي، ١ / ٨١، برقم ٣٣٧.

٤ - سنن الدارمي: ١ / ٨٦، برقم ٣٦٩.

﴿مَنْ أَتَمَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ بِخُشُوعٍ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ﴾؛ لحديث

عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال ... أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى، مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لَوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ، وَخُشُوعَهُنَّ، كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ)) (١).

﴿مدح الله تعالى الخاشعين في طاعته ووصفه لهم بالعلم؛ لقوله تعالى: {أَمْ

مَنْ هُوَ قَانِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} (سورة الزمر:

الآية ٩)، والقنوت هنا هو الخشوع في الطاعة؛ ولهذا قال العلامة السعدي رحمه

الله تعالى: ((... القنوت يرد في القرآن على قسمين: قنوت عام، كقوله تعالى:

{وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} (سورة الروم، الآية: ٢٦) أي الكل

عبيد خاضعون لربوبيته، وتدييره، والنوع الثاني: وهو الأكثر في القرآن: القنوت

الخاص، وهو دوام الطاعة لله على وجه الخشوع، مثل قوله تعالى: {أَمْ مَنْ هُوَ

قَانِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا} (سورة الزمر، الآية: ٩)، وقوله: {وَقَوْمُوا لِلَّهِ

قَانِتِينَ} (سورة البقرة، الآية: ٢٣٨)، وقوله: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي} (سورة

آل عمران، الآية: ٤٣)، وقوله: {وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ} (سورة الأحزاب، الآية:

٣٥)، ونحوها)) (٢).

<sup>١</sup> - أبو داود، كتاب الصلاة، باب المحافظة على وقت الصلوات، برقم ٤٢٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ١٢٥.

<sup>٢</sup> - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص ٣١١، وانظر: المرجع نفسه ص ٣٦٢.

وقد قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: ((القنوت لزوم الطاعة مع الخشوع، وفُسِّرَ بكل واحد منهما في قوله تعالى: **{وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}** (سورة البقرة، الآية: ٢٣٨)، وقوله: **{كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ}** (سورة الروم، الآية: ٢٦). قيل: خاضعون، وقيل: طائعون، وقيل: ساكتون، ولم يُعَنَّ به كل السكوت، وإنما عُنيَ به ما قال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)) (١)، وعلى هذا قيل: أي الصلاة أفضل؟ قال: ((طُولُ الْقُنُوتِ)) (٢) أي الاشتغال بالعبادة، ورفض كل ما سواه، وقال الله تعالى: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا}** (سورة النحل، الآية: ١٢٠)، وقال: **{وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ}** (سورة التحريم، الآية: ١٢)، وقال: **{أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا}** (سورة الزمر، الآية: ٩)، وقال: **{اِقْتَبِي لِرَبِّكِ}** (سورة آل عمران، الآية: ٤٣)، وقال: **{وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ}** (سورة الأحزاب، الآية: ٣١)، وقال: **{وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ}** وقال - عز وجل - : **{فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ}** . والقنوت في الحديث يُروى بمعانٍ متعددة، فيطلق على: الخشوع، والطاعة، والصلاة، والدعاء، والعبادة، والقيام، وطول القيام، والسكوت، والسكون، وإقامة الطاعة، والخشوع (٣)، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن ابن العربي ذكر أن القنوت ورد لعشرة معانٍ، نظمها الحافظ زين الدين العراقي، فقال:

١ - مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، وما نسخ من إباحته، برقم ٥٣٧.

٢ - مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب أفضل الصلاة طول القنوت، برقم ٧٥٦.

٣ - انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب القاف مع النون، ١١١ / ٤، ومشارك الأنوار على الصحاح والآثار للقاضي عياض، حرف القاف مع سائر الحروف، ١٦٢ / ٢، وهدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر، ص ١٧٦.

((ولفظ القنوت اعدد معانيه تجد مزيداً على عشرة معاني مرضيه

دعاءً، خشوعاً، والعبادة، طاعة إقامتها، إفراده بالعبودية

سكوت، صلاة، والقيام، وطوله كذا دوام الطاعة الرابع القنية)) (١).

ويصرف كل واحدة من هذه المعاني إلى ما يدل عليه الحديث، أو الكلام الوارد فيه، وما يقتضيه سياقه (٢).

﴿أثنى الله - عز وجل - على من يوجل قلبه لذكر الله بأنه يخافه ويخشاه،

ووصفه بالإيمان الكامل، قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ

وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} (سورة الأنفال، للآية: ٢).

وقوله تعالى: {إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ \* قَالُوا لَا تَوْجَلْ} (سورة الحجر، ٥٢ - ٥٣).

وقوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ \* الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} (سورة الحج، الآيتان: ٣٤ - ٣٥).

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} (سورة المؤمنون، الآية: ٦٠).

ووَجِلَ القلب: الوجَل: استشعار الخوف، يقال: وَجِلَ يَوْجَلُ وَجَلًا، فهو وَجِلٌ (٣)

قال ابن كثير - رحمه الله - : (({وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}: فرقت: أي فزعت وخافت، وهذه صفة المؤمن ... الذي إذا ذكر الله وجل قلبه: أي خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره)) (٤).

<sup>١</sup> - فتح الباري لابن حجر، ١٩١ / ٢.

<sup>٢</sup> - النهاية في غريب الحديث والأثر، ١١١ / ٤، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٤٩١ / ٢، وهدي الساري مقدمة فتح الباري، ص ١٧٦.

<sup>٣</sup> - مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ص ٨٥٥.

<sup>٤</sup> - تفسير القرآن العظيم، ص ٥٦٦.

وقال السعدي - رحمه الله -: ((أي خافت ورهبت فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب)) (١) .

وقال - رحمه الله -: ((الخوف، والخشية، والخضوع، والإخبات، والوجل معانيها متقاربة، فالخوف يمنع العبد من محارم الله، وتشاركه الخشية في ذلك، وتزيد أن خوفه مقرون بمعرفة الله، وأما الخضوع، والإخبات، والوجل، فإنها تنشأ عن الخوف، والخشية، فيخضع العبد لله، ويخبت إلى ربه منيباً إليه بقلبه، ويحدث له الوجل، وأما الخشوع: فهو حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله، وسكون ظاهره وباطنه، فهذا خشوع خاص، وأما الخشوع الدائم الذي هو وصف خواص المؤمنين، فينشأ من كمال معرفة العبد ربه، ومراقبته، فيستولي ذلك على القلب، كما تستولي المحبة)) (٢) .

📖 وصف الله من يقشعر جلده عند قراءة القرآن بالخشية لله تعالى ؛ لقوله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (سورة الزمر، الآية: ٢٣)، فحصل لهم قشعريرة الجلد، ثم لين القلب والجلد.

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: (({تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} (سورة الزمر، الآية: ٢٣) أي يعلوها قشعريرة)) (٣) .

١ - تيسير الكريم الرحمن، ص ٣١٥.

٢ - تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص ٣٦١ - ٣٦٢.

٣ - مفردات ألفاظ القرآن، ص ٦٧١.

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: ((هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار؛ لما يفهمونه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، {ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} كما يرجون (١)

### بيان درجات وتفاوت الناس في الخشوع:

واعلم أن الخاشعين درجات، والخشوع من عمل القلب يزيد وينقص فمنهم من يبلغ خشوعه عنان السماء ومن يخرج من صلاته لم يعقل شيئاً، " والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه قد ضيّع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوسوس والافكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والافكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

١ - الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة / د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه عز وجل، ناظرا بقلبه إليه، مراقبا له، ممتلئا من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به. فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه، لأن له نصيبا ممن جعلت قرّة عينه في الصلاة، فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا، قرّت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرّت عينه أيضا به في الدنيا، ومن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين، ومن لم تقرّ عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات" (١)

١ - الوابل الصيب [ص : ٤٠].

## الفصل الخامس: آثار الخشوع وثمراته في القلب والعمل

الخشوع ليس حالةً عابرةً تعتري القلب في الصلاة ثم تزول، وإنما هو عبوديةٌ قلبيةٌ عظيمةٌ إذا استقرت في النفس أثمرت آثارًا جليةً في القلب والسلوك والعمل؛ إذ كلما خشع القلب لله تعالى لأن، وكلما لأن القلب استقامت الجوارح، وظهر أثر العبادة في حياة صاحبها.

📌 أولاً: حراسة القلب من وساوس الشيطان وهواجس النفس: فالخطرات والوساوس التي تعرض للعبد من هواجس النفس ووساوس الشيطان تشغل قلبه وتقطعه عن ربه، والخشوع هو خضوع القلب بكليته لله تعالى؛ وصاحب القلب الخاشع لا يجد الشيطان إلى قلبه سبيلاً. ولذلك قال بعض أهل العلم: "من خشع قلبه، لم يقرب منه الشيطان". -انظر: مدارج السالكين-.

📌 ثانياً: الرفعة وسمو المنزلة في الدنيا والآخرة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله". -أخرجه مسلم-.(١) قال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم: "وفيه وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس. والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة، ورفعته فيها بتواضعه في الدنيا وقد يكون المراد الوجهين معاً في الدنيا والآخرة".

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "من تناول تعظُّماً خفضه الله، ومن تواضع لله تخشُّعاً رفعه الله عز وجل". .(٢)

١ - أخرجه: مسلم ٨ / ٢١ (٢٥٨٨) (٦٩) ..

٢ - «شرح السنة للبغوي» (١٣ / ١٧١).

📌 **ثالثاً: تحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة:** قال الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ

الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]. فوصفهم

بالفلاح المحقق، وجعل أول أوصافهم التي نالوا بها الفلاح خشوعهم في الصلاة. والفلاح: تحصيل المطلوب، والنجاة من المرهوب.

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله: أوصني، فقال: "رطب لسانك بذكر الله، ونَدِّ جفونك بالدموع من خشية الله؛ فقلَّ من طلبتَ لديه خيراً فلم تُدركه".  
(١)

فمن كان بهذه المثابة، نال مطلوبه من ربه، فأكرمه وقربه.

📌 **رابعاً: الخشوع وأثره في تزكية النفس ومحاسن الأخلاق:** قال ابن القيم

رحمه الله: «أصل الأخلاق المحمودة كلها: الخشوع وعلو الهمة، وأصل الأخلاق المذمومة كلها: الكبر والمهانة والدناءة.... ثم عدَّد رحمه الله ما ينشأ عن الكبر من الأخلاق الذميمة، وما ينشأ عن المهانة وصغر النفس، وبيَّن أن الأخلاق الفاضلة كالصبر والشجاعة والعدل والعفة والمروءة ثمرة لخشوع الظاهر والباطن.

وبيَّن رحمه الله أن السجود غاية خشوع الظاهر، إذ يعفُّ العبد وجهه في التراب استكانةً وتواضعاً وخضوعاً، وهو أكمل أحوال العبودية للجوارح. -انظر: كتاب الصلاة لابن القيم-.

وقال مسروق لسعيد بن جبير رحمه الله: "ما بقي شيء يُرغب فيه إلا أن نُعفِّر وجوهنا في التراب لله". -أخرجه أحمد في الزهد-.

”وكان النبي ﷺ لا يتقي الأرض بوجهه قصداً“. - أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها-. بل إذا اتفق له ذلك فعله، ”ولذلك سجد في الماء والطين“. - أخرجه البخاري ومسلم-.

**خامساً: الخشوع وأثره في تفاضل الأعمال وتفاوتها:** عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعة سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها (١)، وقال حسان بن عطية رحمه الله: ”إن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة، وإن بينهما من الفضل كما بين السماء والأرض“. ثم فسر ذلك فقال: ”إن أحدهما مقبل على الله بقلبه، والآخر ساهٍ غافل“. (٢)

يتبين مما سبق أن الخشوع ليس حالاً عارضاً يقتصر على بعض العبادات، بل هو أصلٌ عظيم من أصول صلاح القلب والعمل، تتفرع عنه آثار جليلة في حياة العبد. فالخشوع سببٌ في حراسة القلب من الوسوس، ورفع المنزلة عند الله، وتحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة، كما أنه يثمر تركية النفس ومحاسن الأخلاق، ويكون معياراً في تفاضل الأعمال وتفاوت ثوابها.

١ أخرجه أبو داود ح ٦٧٥ والنسائي في الكبرى ٦١٢ وأبو يعلى في مسنده ح ١٥٩٣ قال الألباني (حسن) انظر حديث رقم : ١٦٢٦ في صحيح الجامع .

وتدل النصوص الشرعية وآثار السلف على أن الأعمال لا تتفاضل بكثرة صورها، وإنما بحقيقة ما يقوم في القلوب من حضورٍ وتعظيمٍ وخضوعٍ لله تعالى.

فمتى عمر القلب بالخشوع، انعكس ذلك صلاحًا في العبادة، واستقامة في السلوك، ورفعةً في المقام، وكان الخشوع حينئذٍ روح العمل ولبَّ العبودية.

**ويمكن إجمال ثمرات الخشوع فيما يلي:**

**أولاً: آثار الخشوع وثمراته في القلب**

١. الاطمئنان وزوال الهموم: يفرغ الخشوع القلب من أعباء الدنيا ومتاعبها،

فيستشعر العبد قرب الله ولطفه، فتسكن نفسه وينشرح صدره.

٢. زيادة الإيمان وتذوق حلاوته: حين يستحضر القلب عظة الله وجلاله في

الخشوع، يزداد يقينه ويشعر بلذة العبادة وحلاوة المناجاة.

٣. التطهر من أمراض القلوب: يُطهّر الخشوع القلب من الكبر، والغرور،

والحسد، والرياء؛ لأن الخاشع يستحضر عظمة الخالق وصغر

المخلوق.

٤. الحياء من الله ومراقبته: يورث الخشوع بالقلب حياءً دائماً من الله، مما

يستدعي مقامه في الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه".

٥. الرقة والإنابة: يلين القلب الخاشع لذكر الله وآياته، وتنسكب منه

العبرات شوقاً ورهبةً، فيغدو دائم التوبة والرجوع إلى الله.

**ثانياً: آثار الخشوع وثمراته في العمل والجوارح**

- ١ . النهي عن الفحشاء والمنكر :الخشوع هو روح الصلاة؛ والصلاة الخاشعة هي التي تؤثر في صاحبها فتمنعه من الوقوع في المعاصي والآثام قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.
- ٢ . استقامة السلوك وحسن الخلق :ينعكس الخشوع على معاملات العبد اليومية، فيغدو أكثر تواضعًا، وحلماً، وليناً مع الناس، بعيداً عن الغضب والفظاظة.
- المحافظة على الطاعات والمسارة إليها :تجعل الصلاة والعبادات خفيفة ومحبة إلى النفس، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.
- ٣ . إتقان العمل والصبر عليه :ينقل الخشوع حالة التركيز والحضور الذهني من الصلاة إلى مجالات الحياة المختلفة، فيصبح المرء أكثر صبراً وإتقاناً لأعماله وواجباته.
- ٤ . الفلاح والقبول في الآخرة :الخشوع سبب رئيس لنيل النجاة ودخول الجنات، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

## الباب الثاني موانع الخشوع



اعلم -بارك الله فيك -أن الخشوع روح الصلاة ولُبُّها، وزينتها وجمالها، وبه يحضر القلب بين يدي الله تعالى، ويستشعر العبد عظمة من يقف أمامه، فيؤدي صلاته بقلب حاضر، ونفس خاشعة، وجوارح ساكنة. وليس المقصود من الصلاة مجرد حركات تؤدي، وألفاظ تردد، وإنما المقصود أن يجتمع فيها خشوع القلب، وخضوع الجوارح، وتعظيم الرب سبحانه وتعالى.

وإذا كان للخشوع بواعث وأسباب تقويه وتنميته، فإن له كذلك موانع وعوائق تحول بين القلب وبين لذة المناجاة وحضورها؛ فمن الناس من يدخل في الصلاة بجسده، وقلبه مشغول بالدنيا، ومنهم من تصرفه الشواغل والخواطر، ومنهم من يخل بأداب الصلاة أو يشتغل بما يقطع عليه صلته بربه، فيضعف بذلك خشوعه، وربما خرج من صلاته ولم يتتفع منها إلا بالقليل.

ومن هنا جاءت أهمية التعرف على موانع الخشوع في الصلاة؛ حتى يحذرهما المسلم، ويجاهد نفسه على التخلص منها، ويهيئ قلبه للصلاة قبل الدخول فيها، ويستعين بالله تعالى على إقامة الصلاة ظاهراً وباطناً.

وفي هذا الباب نقف مع جملة من الموانع التي تضعف الخشوع وتشتت القلب، ونبين أثرها في الصلاة، مع الاستدلال بما ورد في الكتاب والسنة، وذكر ما يعين المسلم على مجاهدة نفسه والتخلص من هذه العوائق؛ حتى تكون صلاته أقرب إلى القبول، وأعظم أثراً في قلبه وسلوكه وحياته.

## الفصل الأول: الموانع القلبية والنفسية

### أولاً: الذنوب والمعاصي

أخي الحبيب: تُعدُّ الذنوب والمعاصي من أعظم حُجُب القلوب وأشد موانع الخشوع في الصلاة؛ فإن الصلاة صلةٌ بين العبد وربّه، والمعصية تُوجب الوحشة والجفاء، فتمنع القلب من إدراك حلاوة المناجاة ولذة الوقوف بين يدي الله تعالى.

كيف تحجب المعاصي الخشوع؟

فلا شك أن الذنوب والمعاصي لها أثر بالغ في ذهاب خشوع القلب وعدم تلذذه بالطاعة، وكلما ازدادت الذنوب كلما أظلم القلب، والأمر كما قال النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق العملي عن حذيفة - رضي الله عنه - يَقُولُ ﷺ: «تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكْتٌ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتٌ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا<sup>(١)</sup> كَالْكُوزِ مُجَخَّيًّا<sup>(٢)</sup> لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ<sup>(٣)</sup>».

<sup>١</sup> -مربادًا من الرُبْدَةِ: لَوْنٌ يَمِيلُ إِلَى الْغُبَرَةِ، وَهُوَ لَوْنٌ يَخَالِطُ سَوَادَهُ كَدْرَةٌ غَيْرُ حَسَنَةٍ.

<sup>٢</sup> -الكوز مجخيا: منكوساً، نكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة [شرح النووي، ٢ / ٥٣١].

<sup>٣</sup> -مسلم، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب، برقم ١٤٤.

❦ حرمان التوفيق واللذة: الذنب يُحرّم العبد توفيق الله لحضور القلب، فتتحول الصلاة من راحةٍ ونعيمٍ إلى حركاتٍ مجردة وأداءٍ شكلي يخلو من الروح. صاحب المعصية لا بد أنه فاقد للخشوع ويقع في دائرة فقدان الخشوع، وهي سدٌّ منيع يقف أمام خشوع العبد في صلاة، وقد كان عبد الله بن عباس يقول: إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادا في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، ووهنا في البدن، ونقصا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق. (١)

وقال ابن القيم -رحمه الله-: وهو يعدد آثار المعاصي: ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله، لا يوازنها ولا يقارنها لذّة أصلا، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة، وهذا أمر لا يحس به إلا من في قلبه حياة وما لجرح بميت إيلام. (٢)

### ❦ الإصرار على الذنب وأثره في الخشوع:

إن الإصرار على الذنب أشدُّ خطراً على القلب من الوقوع العارض فيه؛ فالذنب مع الاستغفار والإنابة يُجبر، أما الإصرار فيُحيل المعصية الصغيرة إلى كبائر القلوب، ويجعل بين العبد وبين الخشوع سداً منيعاً.

### المانع الثاني: الغفلة عن الله

فإن الغفلة من أسباب الخذلان والهلاك في الدنيا والآخرة؛ والغفلة: تركُّ باختيار الغافل، وأما النسيان فهو: تركُّ بغير اختيار الإنسان، والسلامة منهما

١ - ذكره ابن القيم في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٠٦.

٢ - (الداء والدواء / ٣٥).

بالذكر، وهو التخلص من الغفلة والنسيان (١)؛ ولعظم خطر الغفلة نهى الله تعالى رسوله عنها فقال: **{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}** (سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥)، والغافلون هم الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم؛ فإنهم حُرِّموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عمَّن كلَّ السعادة والفوز بذكره، وعبوديته، وأقبلوا على من كلَّ الشقاوة والخيبة في الاشتغال به (٢).

ومن أعظم خطر الغفلة أن من غفل عن الله عاقبه بأن يُغفله عن ذكره، ويجعله يتبع هواه، ويكون أمره ضائعاً معطلاً، قال الله تعالى: **{وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}** (سورة الكهف، الآية: ٢٨)، وأكثر الناس يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، ويغفلون عن الله والدار الآخرة، قال الله تعالى: **{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} \* يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** (سورة الروم، الآيتان: ٦ - ٧).

### كيف تكون الغفلة مانعاً من الخشوع؟

١. غيبة القلب عن مقام المناجاة: الخشوع يقوم على استحضر عظمة المعبود، والغفلة تدسّ الدنيا وشهواتها وشواغلها داخل القلب في لحظة الوقوف بين يدي الله، فيكون الجسد في المحراب والقلب يطوف في أودية الدنيا.

١ - مدارج السالكين، لابن القيم، ٢ / ٤٣٤،

٢ - تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ٣١٤

٢. ضعف التعظيم والإجلال: الخاشع يركع ويسجد وهو يستحضر جلال

الله وكبرياءه، أمّا الغافل فيردد الأذكار بلسانه دون أن يتحرك لها قلبه،

لغياب المعرفة الحية بأسماء الله وصفاته أثناء الصلاة.

٣. ضعف أثر الآيات والأذكار: الغفلة تجعل القراءة والتكبير والتسبيح

أفعالاً آليةً تعودت عليها الجوارح، فلا يتأمل العبد معاني القرآن ولا

يتفكر في تسبيحه ودعائه، فتفقد الألفاظ قوتها المؤثرة في القلب.

٤. الاسترسال مع الوسوس والحديث النفسي: القلب الغافل يكون أرضاً

خصبة للشيطان؛ يذكره بما نسي، ويفتحه على مشاريع الأفكار

والشواغل، فينسى المصلي كم صلى وماذا قرأ.

### أسباب الغفلة وكيفية مداواتها قبل الصلاة:

- كثرة الذنوب والمعاصي: فإنها تطبع على القلب الرّان، والدواء بكثرة

الاستغفار والتوبة الصادقة.

- الاستغراق في فضول المباحات: من كثرة الكلام والخلطة والأجهزة

الحديثة، والدواء بإعمال حفظ اللسان والوقت وتصفية الذهن.

- الدخول في الصلاة فجأة: دون تهئية أو تهيو، والدواء بإسباغ الوضوء،

وترديد الأذان، والمشي إلى الصلاة بسكينة، والتفكر في

### المانع الثالث: قسوة القلب

قسوة القلب من أعظم الموانع التي تحول بين العبد وبين الخشوع؛ لأن

الخشوع محله القلب، فإذا قسا القلب ضعفت رفته، وقلّ تأثره بذكر الله تعالى،

وأصبح العبد يؤدي الصلاة بحركات الجوارح، بينما قلبه بعيد عن معانيها ومقاصدها.

وقد ذمَّ الله تعالى قسوة القلوب، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]

وهذه الآية تبين أن خشوع القلب ثمرة حياة القلب ورقته، وأن الغفلة والإعراض وطول الأمد على البعد عن الطاعة قد تورث القلب قسوةً تحرمه الانتفاع بالموعظة والذكر.

كيف تمنع قسوة القلب الخشوع؟

إذا قسا القلب، أصبح سماع القرآن لا يحركه كما ينبغي، وذكر الموت لا يوقظه، وذكر الجنة والنار لا يؤثر فيه، والوقوف بين يدي الله لا يستحضر عظمته كما ينبغي.

ولهذا قد يدخل الإنسان في الصلاة، فيقرأ الفاتحة والسور، ويركع ويسجد، ولكن قلبه لا يعيش مع شيء مما يقول ويفعل؛ لأن القلب القاسي لا يتفاعل بسهولة مع معاني العبادة.

والخشوع ليس مجرد سكون الجسد، وإنما هو حضور القلب وانكساره وتعظيمه لله تعالى، ولذلك كانت قسوة القلب مناقضة لحقيقة الخشوع.

ومن مظاهر قسوة القلب في الصلاة

أولاً: عدم التأثر بالقرآن

فيقرأ المصلي آيات الوعد والوعيد، والجنة والنار، والرحمة والمغفرة، وقصص الأنبياء والأمم، ثم ينصرف عنها قلبه دون تدبر أو تأثر.

#### ثانيًا: الغفلة عن معاني الأذكار

قد يكرر المصلي التسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار، لكن لسانه يتحرك وقلبه غافل، فلا يستشعر عظمة من يسبح بحمده، ولا فقره إلى من يستغفره.

#### ثالثًا: ضعف استحضار الموت والآخرة

فالقلب القاسي لا يستحضر قرب الرحيل وسرعة انقضاء الدنيا كما ينبغي، فيدخل الصلاة ويخرج منها وكأن الموت والوقوف بين يدي الله أمر بعيد.

#### رابعًا: الاعتياد على الصلاة بلا تدبر

قد تتحول الصلاة عند بعض الناس إلى عادة يومية يؤديها الإنسان بصورة آلية؛ فيقوم ويقرأ ويركع ويسجد، لكنه لا يستحضر أنه يناجي ربه ويقف بين يديه.

#### خامسًا: كثرة الذنوب والمعاصي

فالمعاصي من أسباب قسوة القلب، وكلما أصر العبد على الذنب ولم يبادر إلى التوبة، كان ذلك من أسباب ضعف قلبه وبعده عن التأثر بالطاعات.

#### أسباب قسوة القلب

لقسوة القلب أسباب متعددة، من أهمها:

- كثرة الذنوب والإصرار عليها.
- الغفلة عن ذكر الله تعالى.
- التوسع في ملذات الدنيا والانشغال بها.
- طول الأمل ونسيان الموت والآخرة.

- كثرة الكلام فيما لا ينفع.
  - صحبة الغافلين وأهل المعاصي.
  - عدم تدبر القرآن.
  - قلة التفكير في آيات الله ونعمه.
  - ترك محاسبة النفس والتوبة من التقصير.
- وليس المقصود أن كل غفلة عارضة تدل على قسوة القلب؛ فإن الإنسان قد يعرض له السهو والشرود، وإنما الخطر في استقرار الغفلة، ودوام الإعراض، وغياب التأثير، والإصرار على ما يفسد القلب.

### المانع الرابع تعلق القلب بالدنيا

أخي المسلم -اعلم بارك الله فيك - :أن من أعظم موانع الخشوع في الصلاة تعلق القلب بالدنيا وكثرة الشواغل والهموم؛ فإن القلب إذا امتلأ بأمور الدنيا، وتفرق في طلب المال، أو التجارة، أو الوظيفة، أو العلاقات، أو مشكلات الحياة، دخل العبد في صلاته بجسده، بينما قلبه مشغول بما تركه خلفه أو بما ينتظره بعد الصلاة.

والخشوع إنما يكون بحضور القلب بين يدي الله تعالى، وتعظيمه، واستشعار الوقوف بين يديه؛ فإذا استولى على القلب حب الدنيا وكثرة التفكير فيها، ضعف حضور القلب، وصار المصلي ينتقل بفكره من أمر إلى أمر، وربما فرغ من صلاته ولم يع منها إلا القليل.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[المؤمنون: ١-٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

وقد أرشد النبي ﷺ إلى معالجة ما يشغل القلب في الصلاة، فقال: «إذا نُودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط... حتى يُخَيَّلَ إلى الرجل أنه ما صلى»، وفي الحديث بيان أن الشيطان يستغل انشغال الإنسان وتشوشه ليحرمه لذة المناجاة وحضور القلب.

📌 صور التعلُّق بالدنيا التي تمنع الخشوع:

ومن صور ذلك:

📌 التفكير في المال والتجارة أثناء الصلاة، وما يتعلق بالبيع والشراء والربح والخسارة.

📌 الانشغال بمشكلات الأسرة والأبناء، بحيث يستمر الإنسان في معالجة أمورهم في ذهنه وهو واقف بين يدي الله.

📌 التفكير في العمل والوظيفة وما ينتظره الإنسان من مهام ومسؤوليات. التعلق بالمواعيد والأعمال القادمة، فينشغل بما سيفعله بعد الصلاة عن الصلاة نفسها.

📌 الانشغال بالهاتف ووسائل التواصل، وكثرة ما يراه ويسمعه الإنسان حتى يستمر أثره في قلبه أثناء الصلاة.

التعلق بالمظاهر والمتع الدنيوية، فإن كثرة التعلق بها تجعل القلب دائم الطلب لها، قليل الالتفات إلى الآخرة.

📌 قصة الصحابي وأنيق النخل:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ: كَانَ يُصَلِّي فِي حَائِطٍ لَهُ، فَطَارَ دُبْسِيٌّ، فَجَعَلَ يَتَرَدَّدُ يَلْتَمِسُ مَخْرَجًا، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، فَجَعَلَ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ سَاعَةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صَلَاتِهِ، فَإِذَا هُوَ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى؟ فَقَالَ: لَقَدْ أَصَابَنِي فِي مَالِي هَذَا فِتْنَةٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ الَّذِي أَصَابَهُ فِي حَائِطِهِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ صَدَقَةٌ، فَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتَ.. (١)

### 📌 التجارة والصلاة:

يُحْكِي عَنْ بَعْضِ التَّجَارِ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ وَجَعَلَ يَفْكُرُ فِي صَفْقَةٍ تَجَارِيَةٍ وَفِي حِسَابِ أَرْبَاحِهَا وَزِيَادَتِهَا، فَلَمَّا سَلَّمَ وَسُئِلَ عَنْ صَلَاتِهِ قَالَ: «دَخَلْتُ الصَّلَاةَ وَأَنَا فَقِيرٌ، وَخَرَجْتُ مِنْهَا وَأَنَا غَنِيٌّ!»، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ ذَهَنَهُ جَالَ فِي أَسْوَاقِ الدُّنْيَا وَمَكَاسِبِهَا طَوَالَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ دُونَ أَنْ يَحْضُرَ قَلْبُهُ مَعَ اللَّهِ.

### المانع الخامس: الوسواس

أَخِي الْمُسْلِمُ -اعلم بارك الله فيك - : أن من الموانع التي تمنع الخشوع لدى كثير من المسلمين الوسواس في الصلاة وهذه مسألة لا بد من بحثها ألا وهي: فيمن كثرت الوسواس في صلاته، هل تصح أم عليه الإعادة يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالى - : ومن هذا أيضا اختلافهم في الخشوع في الصلاة وفيه قولان للفقهاء وهما في مذهب أحمد وغيره

١ - أخرجه مالك في «الموطأ» مع شرح الزرقاني (٢٩١/١) مالك (١٠٢/١) كتاب الصلاة حديث ٦٩ ، وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٣٨٩ / ١٧) هذا الحديث لا أعلمه يروى من غير هذا الوجه وهو منقطع.

وعلى القولين اختلافهم في وجوب الإعادة على من غلب عليه الوسواس في صلاته فأوجبها ابن حامد من أصحاب أحمد وأبو حامد الغزالي في إحيائه ولم يوجبها أكثر الفقهاء

واحتجوا بأن النبي أمر من سها في صلاته بسجدة السهو ولم يأمره بالإعادة مع قوله ( إن الشيطان يأتي أحدكم في صلاته فيقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يضل الرجل أن يدري كم صلى )<sup>(١)</sup> ولكن لا نزاع أن هذه الصلاة لا يثاب على شيء منها إلا بقدر حضور قلبه وخضوعه كما قال النبي ( إن العبد لينصرف من الصلاة ولم يكتب له إلا نصفها ثلثها ربعها حتى بلغ عشرها ) وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها فليست صحيحة باعتبار ترتب كمال مقصودها عليها وإن سميت صحيحة باعتبار أنا لا نأمره بالإعادة

ولا ينبغي أن يعلق لفظ الصحة عليها فيقال صلاة صحيحة مع أنه لا يثاب عليها فاعلها

والقصد أن هذه الأعمال واجبها ومستحبها هي عبودية القلب فمن عطّلها فقد عطل عبودية الملك وإن قام بعبودية رعيته من الجوارح<sup>(٢)</sup>

قال أصحاب القول الآخر: قد ثبت عن النبي في الصحيح أنه قال : ( إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى التأذين أقبل فإذا ثوب بالصلاة أدبر فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وبين نفسه

<sup>١</sup> - أخرجه مالك (الموطأ) (٨٣). والحميدي (٩٤٧) وأحمد (٢٤١/٢) والبخاري (٨٧/٢) وأبو داود (١٠٣٠) وابن ماجه (١٢١٦).

والترمذي (٣٩٧) والنسائي (٣٠/٣) وفي الكبرى (٥٠٦ و ١٠٨٤) وابن خزيمة (١٠٢٠)

<sup>٢</sup> - مدارج السالكين جزء ١ - صفحة ١١٢

فيذكره ما لم يكن يذكر يقول : اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يضل الرجل لا يدري كم صلى فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس (١)

قالوا : فأمره النبي في هذه الصلاة التي قد أغفله الشيطان فيها حتى لم يدركم صلى : بأن يسجد سجدتي السهو ولم يأمره بإعادتها ولو كانت باطلة كما زعمتم لأمره بإعادتها قالوا : وهذا هو السر في سجدتي السهو ترغيبا للشيطان في وسوسته للعبد وكونه حال بينه وبين الحضور في الصلاة ولهذا سماها النبي المرغمتين وأمر من سها بهما ولم يفصل في سهوه الذي صدر عنه موجب السجود بين القليل والكثير والغالب والمغلوب وقال : لكل سهو سجدتان ولم يستثن من ذلك السهو الغالب مع أنه الغالب قالوا : ولأن شرائع الإسلام على الأفعال الظاهرة وأما حقائق الإيمان الباطنة : فتلك عليها شرائع الثواب والعقاب

فلله تعالى حكمان: حكم في الدنيا على الشرائع الظاهرة وأعمال الجوارح وحكم في الآخرة على الظواهر والبواطن ولهذا كان النبي ﷺ يقبل علانية المنافقين ويكل أسرارهم إلى الله تعالى فيناكحون ويرثون ويورثون ويعتد بصلاتهم في أحكام الدنيا فلا يكون حكمهم حكم تارك الصلاة إذ قد أتوا بصورتها الظاهرة وأحكام الثواب والعقاب ليست إلى البشر بل إلى الله والله يتولاه في الدار الآخرة

١ - أخرجه مالك (الموطأ) (٨٣). والحميدي (٩٤٧). وأحمد (٢٤١/٢) والبخاري (٨٧/٢) ومسلم ح ٨٨٣ وأبو داود (١٠٣٠) وماجة (١٢١٦) والترمذي (٣٩٧) والنسائي (٣٠/٣) وفي الكبرى (٥٠٦ و ١٠٨٤).

📖 قالوا: فنحن في حكم شرائع الإسلام نحكم بصحة صلاة المنافق والمرائي مع أنه لا يسقط عنه العقاب ولا يحصل له الثواب في الآخرة فصلاة المسلم الغافل المبتلى بالوسواس وغفلة القلب عن كمال حضوره أولى بالصحة نعم: لا يحصل مقصود هذه الصلاة من ثواب الله عاجلا ولا آجلا فإن للصلاة مزيد ثواب عاجل في القلب من قوة إيمانه واستنارته وانشراحه وانفساحه ووجود حلاوة العبادة والفرح والسرور واللذة التي تحصل لمن اجتمع همه وقلبه على الله وحضر قلبه بين يديه كما يحصل لمن قربته السلطان منه وخصه بمناجاته والإقبال عليه والله أعلى وأجل وكذلك ما يحصل هذا من الدرجات العلى في الآخرة ومرافقة المقربين كل هذا يفوته بفوات الحضور والخشوع وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض وليس كلامنا في هذا كله فإن أردتم وجوب الإعادة:

**لتحصل هذه الثمرات والفوائد:** فذاك إليه إن شاء أن يحصلها وإن شاء أن يفوتها على نفسه وإن أردتم بوجوبها أنا نلزمه بها ونعاقبه على تركها ونرتب عليه أحكام تارك الصلاة فلا وهذا القول الثاني أرجح القولين والله أعلم وهذا هو أرجح القولين. والله أعلم. (١)

### المانع السادس العُجب بالنفس والعمل

من موانع الخشوع في الصلاة العُجب بالنفس والعمل؛ فإن العبد إذا نظر إلى نفسه بعين الإعجاب، وإلى عبادته بعين الاستعظام، ضعف في قلبه معنى الافتقار إلى الله تعالى، وقلَّ شعوره بحاجته إلى عفوه ورحمته وتوفيقه.

١ - مدارج السالكين [ جزء ١ - صفحة ٥٢٨ ]

والعُجب هو أن يستعظم الإنسان عمله، ويرى لنفسه فضلاً وتميزاً، وينسى أن ما وفق إليه من طاعة إنما هو من فضل الله تعالى وتوفيقه. قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُمْ

مِّن نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

فالمصلي الذي يدخل الصلاة معجباً بكثرة صلاته، أو طول قيامه، أو حسن قراءته، أو كثرة ذكره، قد ينشغل قلبه عن تعظيم الله بتعظيم نفسه وعمله؛ فيصبح همه ملاحظة عبادته بدلاً من ملاحظة المعبود سبحانه.

والخشوع الحقيقي يقتضي أن يرى العبد فضل الله عليه قبل أن يرى عمله، وأن يستشعر تقصيره مهما اجتهد، فلا يقول في نفسه: لقد أحسنت الصلاة وأتممتها، وإنما يقول: يا رب، إنما أديتها بفضلك، وأرجو قبولها برحمتك، وأستغفر من تقصيري فيها.

ومن أخطر آثار العُجب أن يورث صاحبه الأمن من التقصير؛ فإذا أعجب بصلاته لم يبحث عن عيوبها، ولم يجاهد نفسه في إصلاحها، وربما رأى نفسه خيراً من غيره، فيتحول العمل الذي كان ينبغي أن يقربه من الله إلى سبب للغرور.

وقد حذر الله تعالى من الإعجاب بالأعمال فقال:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥].

فإذا كان الإعجاب بالكثرة قد يورث الضعف والانكسار، فإن العبد أحوج ما يكون إلى أن يتواضع لله تعالى عند عبادته، وأن يعلم أن قبول العمل هو المقصود، لا مجرد كثرة العمل.

**العُجب ينافي حقيقة الخشوع:**

فالحاشع يرى عظمة ربه، ويستشعر ضعفه وفقره، ويرى نعم الله عليه، ويخاف أن يكون عمله ناقصاً أو مردوداً؛ أما المعجب فيرى نفسه وعمله، ويغيب عنه معنى الافتقار.

ولهذا كان من علامات الخشوع أن يجتمع في قلب العبد تعظيم الله، واتهام النفس بالتقصير، والرجاء في رحمة الله.

- وإذا أراد المسلم أن يعالج العُجب بنفسه، فليتذكر أموراً منها:
  - أن التوفيق للطاعة نعمة من الله تعالى، ولولا فضله ما استطاع العبد أن يصلي أو يذكر أو يعمل صالحاً.
  - أن العبد مهما اجتهد فهو مقصر في حق ربه، ولا يستطيع أن يؤدي شكر نعمة واحدة من نعم الله.
  - أن العبرة ليست بكثرة العمل وحدها، وإنما بإخلاصه وموافقته للشرع وقبوله عند الله.
  - أن يتذكر ذنوبه وتقصيره، فلا يرى نفسه كاملاً بسبب عبادة أو طاعة.
  - أن يسأل الله تعالى القبول، كما قال سبحانه عن عباده المؤمنين:
- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

ومن أجمل ما يستحضر المصلي في هذا المقام أن يقول في قلبه: إنما أقوم بين يدي الله بفضل الله، وأعبد به عون الله، وأرجو قبول عملي برحمة الله؛ فإذا استقر هذا المعنى في القلب، انكسر العُجب، وحضر الافتقار، وقوي الخشوع.

وهكذا فإن علاج العُجب ليس بترك العمل الصالح، وإنما بإصلاح القلب أثناء العمل وبعده؛ فيعمل العبد، ويجتهد، ثم ينسب الفضل إلى الله، ويخاف التقصير، ويرجو القبول، ولا يرى لنفسه على الله فضلاً.

فإذا دخل المصلي صلاته وهو يرى عظمة الله، ويرى فقره وضعفه، ويستشعر أن توفيقه للصلاة نفسه من أعظم نعم الله عليه، كان ذلك أقرب إلى الخشوع، وأبعد عن العُجب والغرور

أخي المسلم: ليس المقصود من العبادة أن يزداد العبد بها إعجاباً بنفسه، أو يرى لنفسه فضلاً على غيره، وإنما المقصود أن يزداد بها تواضعاً لله، وافتقاراً إليه، وخوفاً منه، ورجاءاً في رحمته.

فرب طاعةٍ أداها صاحبها، فأورثته إعجاباً بنفسه، واستكباراً على غيره، ورؤيةً لفضله وعمله؛ فكانت الطاعة سبباً في مرضٍ أصاب قلبه، لا لأن الطاعة شرٌّ في ذاتها، حاشاها، وإنما لما دخل عليها من آفات القلوب كالعُجب والرياء والكبر. ورب معصيةٍ وقع فيها صاحبها، فأورثته ندمًا صادقًا، وانكسارًا بين يدي الله، وشدة افتقار إلى عفوه ورحمته، فكانت سبباً في توبته ورجوعه إلى ربه.

وهذا لا يعني أن المعصية خير من الطاعة، ولا أن الذنب يُطلب أو يُستحسن، وإنما المعنى أن الأعمال تتفاوت آثارها في القلوب بحسب ما يترتب عليها من أحوال العبد؛ فقد تكون الطاعة مع العُجب سبباً في فساد القلب، وقد يكون الذنب مع التوبة والندم سبباً في إيقاظ القلب ورجوعه إلى الله.

وقد قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله:

«رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً».

والمعنى الذي ينبغي أن يعيه المصلي أن الطاعة الحقيقية لا تزيده إلا تواضعًا وخشوعًا؛ فإذا خرج من صلاته يرى نفسه أفضل من الناس، أو يحتقر المقصرين، فليفتش عن قلبه، وليعلم أن ثمرة العبادة لم تظهر فيه على الوجه الذي ينبغي.

أما الخاشع فإنه كلما ازداد عبادةً ازداد شعورًا بفضل الله عليه، ورأى تقصيره، وخاف ألا يكون عمله مقبولًا، ولذلك لا يغتر بطاعته، ولا يحتقر عاصيًا؛ فقد يكون ذلك العاصي أقرب إلى الله منه بعد توبة صادقة، وقد يكون هو نفسه غداً في موضع لا يعلمه إلا الله.

ومن هنا كان الخشوع يحفظ الطاعة من أن تتحول إلى عُجب، ويحفظ صاحبها من أن يرى لنفسه مقامًا فوق عباد الله؛ فيعبد الله بقلب منكسر، ويستعين به على طاعته، ويسأله القبول، ويستغفره من التقصير.

### المانع السابع الكبير

الكِبَر من أعظم أمراض القلوب، ومن أخطر ما يحول بين العبد وبين حقيقة الخشوع؛ لأن الخشوع مقامٌ عبدٍ ذليلٍ بين يدي ربٍّ عظيم، بينما الكِبَر شعورٌ باطني يحمل صاحبه على رؤية نفسه بعين التعظيم، واستصغار غيره، ورفض الحق أو الاستعلاء على الخلق

ليس المقصود من العبادة أن يزداد العبد بها إعجابًا بنفسه، أو يرى لنفسه فضلًا على غيره، وإنما المقصود أن يزداد بها تواضعًا لله، وافتقارًا إليه، وخوفًا منه، ورجاءً في رحمته.

فرب طاعةٍ أداها صاحبها، فأورثته إعجاباً بنفسه، واستكباراً على غيره، ورؤيةً لفضله وعمله؛ فكانت الطاعة سبباً في مرضٍ أصاب قلبه، لا لأن الطاعة شرٌّ في ذاتها، حاشاها، وإنما لما دخل عليها من آفات القلوب كالعجب والرياء والكبر. ورب معصيةٍ وقع فيها صاحبها، فأورثته ندمًا صادقًا، وانكسارًا بين يدي الله، وشدة افتقار إلى عفوه ورحمته، فكانت سبباً في توبته ورجوعه إلى ربه. وهذا لا يعني أن المعصية خير من الطاعة، ولا أن الذنب يُطلب أو يُستحسن، وإنما المعنى أن الأعمال تتفاوت آثارها في القلوب بحسب ما يترتب عليها من أحوال العبد؛ فقد تكون الطاعة مع العجب سبباً في فساد القلب، وقد يكون الذنب مع التوبة والندم سبباً في إيقاظ القلب ورجوعه إلى الله. وقد قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله:

«رب معصيةٍ أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعةٍ أورثت عزاً واستكباراً.»

والمعنى الذي ينبغي أن يعيه المصلي أن الطاعة الحقيقية لا تزيده إلا تواضعاً وخشوعاً؛ فإذا خرج من صلاته يرى نفسه أفضل من الناس، أو يحتقر المقصرين، فليفتش عن قلبه، وليعلم أن ثمرة العبادة لم تظهر فيه على الوجه الذي ينبغي.

أما الخاشع فإنه كلما ازداد عبادةً ازداد شعوراً بفضل الله عليه، ورأى تقصيره، وخاف ألا يكون عمله مقبولاً، ولذلك لا يغتر بطاعته، ولا يحتقر عاصياً؛ فقد يكون ذلك العاصي أقرب إلى الله منه بعد توبة صادقة، وقد يكون هو نفسه غداً في موضع لا يعلمه إلا الله.

ومن هنا كان الخشوع يحفظ الطاعة من أن تتحول إلى عُجب، ويحفظ صاحبها من أن يرى لنفسه مقامًا فوق عباد الله؛ فيعبد الله بقلب منكسر، ويستعين به على طاعته، ويسأله القبول، ويستغفره من التقصير.

ومن صور الكِبَر التي تمنع الخشوع في الصلاة

أولاً: أن يرى المصلي نفسه خيراً من غيره

فقد يقف في الصف، فيرى من بجانبه أقل منه علماً أو عبادة، فيحتقره في قلبه، وينسى أن التفاضل الحقيقي عند الله تعالى، وأن العبرة بالخواتيم، وأن الله أعلم بقلوب عباده.

ثانياً: احتقار من لا يحسن الصلاة كما يحسنها

قد يرى الإنسان خطأً من أخيه في الصلاة، فيبادر إلى احتقاره والسخرية منه، بدل أن ينصحه برفق وحكمة. وهذا ينافي روح العبودية؛ لأن من عرف فقره إلى الله اشتغل بإصلاح نفسه، ولم يجعل عبادته وسيلة لاحتقار الآخرين.

ثالثاً: الاستكبار عن قبول النصيحة

ومن الكبر أن يعلم الإنسان خطأه في صلاته أو عبادته، ثم يرفض النصيحة لمجرد أن الناصح أصغر منه سنّاً أو أقل منه علماً أو منزلةً في نظره. وقبول الحق هو من علامات التواضع لله تعالى.

رابعاً: الإعجاب بالعلم والعبادة

قد يجتمع الكبر والعجب، فيرى الإنسان علمه أو عبادته سبباً لارتفاعه على الناس، فيتحول العلم الذي ينبغي أن يورثه خشيةً وتواضعاً إلى سبب للاستعلاء.

خامسًا: أن يطلب من الناس تعظيمه بسبب عبادته

ومن دقيق الكبر أن يفرح العبد بأن يراه الناس في الصف الأول، أو يسمعون قراءته، أو يثنوا على قيامه وصلاته، فإذا غاب ثناء الناس نقص نشاطه أو تغير حاله. وهذا يفتح على القلب أبوابًا من العجب والرياء والاستعلاء.

الكبر ينافي حقيقة العبودية

المصلي حين يقول في صلاته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعلن أنه عبد لله، وأنه لا يستغني عن ربه طرفة عين. فكيف يجتمع في قلبه هذا الإقرار بالعبودية مع الاستعلاء على عباد الله؟

وحين يضع جبهته على الأرض ساجدًا، فإن جوارحه تشهد له بالذل لله تعالى؛ ولذلك كان السجود من أعظم مواطن القرب والانكسار بين يدي الله. قال سبحانه:

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

فكلما ازداد العبد معرفةً بربه، ازداد له خشوعًا وتواضعًا، وكلما عرف فقره وحاجته إلى مولاه، ابتعد عن الكبر والعجب والاستعلاء.

### المانع الثامن: الرياء

الرياء من أخطر أمراض القلوب، ومن أعظم ما يفسد صفاء العبادة ويمنع كمال الخشوع؛ لأن الخشوع الحقيقي يقوم على إقبال القلب على الله تعالى، واستشعار عظمته، والوقوف بين يديه، بينما الرياء يجعل القلب مشغولًا بنظر الخلق وثنائهم، فينتقل اهتمام المصلي من مراقبة الله إلى مراقبة الناس.

قال الله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ يُرَءُونَ﴾

[الماعون: ٤-٦]

وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

والرياء هو أن يعمل العبد العبادة ليراه الناس أو ليسمعوا به ويمدحوه، وقد يدخل على العبادة في بدايتها، أو أثناءها، أو بعدها؛ فيحتاج المؤمن إلى دوام مراقبة قلبه وتصحيح نيته.

### كيف يمنع الرياء الخشوع؟

المصلي الخاشع يستحضر أنه واقف بين يدي الله تعالى، وأن الله يراه ويعلم سره ونجواه، فلا يلتفت قلبه إلى الخلق. أما المرائي فإنه يراقب الناس:

هل يرون قيامه؟

هل يسمعون قراءته؟

هل يعجبون بخشوعه؟

هل يثنون على صلاته؟

وهكذا يصبح القلب موزعاً بين الوقوف بين يدي الله وبين الالتفات إلى أعين

الناس، فيضعف بذلك حضور القلب وتفقد الصلاة كثيراً من روحها.

ومن صور ذلك أن يحسن المصلي صلاته إذا كان بين الناس، ويخففها إذا صلى وحده، أو يتكلف البكاء والخشوع ليُرى بمظهر العابد الخاشع، أو يطيل القراءة والقيام طلباً لثناء الناس.

## الرياء قد يدخل في أدق أحوال الصلاة

وقد يكون الرياء خفيًا لا يشعر به صاحبه؛ فقد يبدأ العبد صلاته مخلصًا لله، ثم يلتفت إلى وجود الناس من حوله، فيحسن صوته أو يطيل قيامه أو يزيد في إظهار الخشوع.

وهنا يحتاج المؤمن إلى مجاهدة قلبه، وأن يعرض نيته على نفسه باستمرار، ويسألها: لمن أصلي؟ ولمن أقرأ؟ ولمن أركع وأسجد؟ فإذا كان الجواب: لله تعالى، حمد الله على ذلك، وسأله الثبات. وإذا وجد في نفسه التفاتًا إلى الناس، جاهد نفسه وردّها إلى الإخلاص.

## ومن صور الرياء في الصلاة

أولاً: تحسين الصلاة لأجل الناس: فيجود المصلي صلاته إذا كان يراه الناس، بينما لا يكون له مثل ذلك إذا خلا بنفسه.

ثانيًا: التكلف في البكاء والخشوع: فيحرص على أن يظهر بمظهر شديد الخشوع أمام الناس، ولو كان قلبه غافلًا.

ثالثًا: إطالة الصلاة طلبًا للثناء: فيزيد في القيام أو القراءة أو الدعاء، لا ابتغاء وجه الله، وإنما ليقال: ما أخشعه وأعبدته!

رابعًا: الفرح بثناء الناس على العبادة: فقد يفرح العبد بثناء الناس فرحًا يكشف أن نظرهم كان حاضرًا في قلبه أثناء العمل.

خامسًا: إظهار الحزن والخشوع عند وجود الناس: كأن يتغير صوته أو هيئته عند الصلاة أمام الناس، بينما إذا خلا بنفسه لم يجد من ذلك شيئًا.

علاج الرياء وتحقيق الخشوع: ومن أعظم ما يعين على التخلص من الرياء أن يستحضر العبد أن الناس لا يملكون له نفعًا ولا ضرًا، وأن الذي بيده القبول والثواب هو الله تعالى وحده.

وعليه أن يستحضر قول الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] وأن يجاهد نفسه على إخفاء ما استطاع من أعماله، وأن يكثر من الأعمال التي لا يطلع عليها الناس، وأن يتذكر أن مدح الخلق لا يرفع العمل عند الله إذا فسدت النية، كما أن عدم معرفة الناس بعبادته لا ينقص من قدر العمل إذا كان خالصًا لله.

ومن أنفع ما يستحضره المصلي عند تكبيرة الإحرام أن يقول في قلبه بمعنى صادق: يا رب، إنما أقف بين يديك، وأنت وحدك الذي أريد، فلا تجعل في صلاتي نصيبًا لغيرك.

فإذا خلص القلب لله، انصرف عن الناس، وإذا انصرف عن الناس حضر مع الله، وإذا حضر مع الله قويت صلته بكلامه وذكره ومناجاته، وكان ذلك من أعظم أسباب الخشوع.

### الخشوع والإخلاص:

فالخشوع ثمرة من ثمار الإخلاص، والرياء من أقوى ما يفسده؛ لأن الخاشع لا يطلب من الناس أن يروا خشوعه، وإنما يطلب من الله أن يقبل عبادته. ولهذا ينبغي للمؤمن أن يجمع في صلاته بين خشوع الجوارح، وحضور القلب، وإخلاص النية؛ فإذا اجتمعت هذه المعاني، كانت الصلاة أقرب إلى حقيقتها، وأعظم أثرًا في القلب والسلوك.

## المانع التاسع: الجدل والخصومات

أخي القارئ: كما يُحَرِّم الخشوع من كثير كلامه، كذلك يحرمه من كثير جدله عن الأوزاعي أنه كتب إلى الحكم بن غيلان القيسي: "ودع من الجدل ما يفتن القلب، وينبت الضغينة، ويجفي القلب، ويرق الورع في المنطق والفعل... وليعنك ما عني الصالحين قبلك فإنه قد أعظمهم ثقل الساعة، فجرت على خدودهم من الخشوع دموعهم، وطووا من خوف على ظمأ مناهلهم، ... نسأل الله أن يرزقنا وإياك علما نافعا، وخشوعا يؤمننا به من الفرع الأكبر.. إنه أرحم الراحمين.. والسلام عليك"

الجدل وكثرة الخصومات من الأمور التي تُشغل القلب وتُفَرِّق الهممة، وقد يكونان من موانع الخشوع في الصلاة؛ لأن الخشوع يحتاج إلى قلب حاضر ساكن، بينما الجدل يورث انشغال الفكر، واستحضار الأقوال والردود، والتفكير في الانتصار للنفس أو إبطال قول المخالف.

وقد نهى الله تعالى عن الجدل بالباطل، فقال سبحانه: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

وقال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤].

والجدل المذموم هو ما كان بغير علم، أو كان المقصود منه المغالبة والانتصار للنفس، أما الحوار بالحق، وطلب العلم، ودفع الشبهة بالدليل، فليس داخلا في هذا الذم.

📌 أثر الجدل في الخشوع:

إذا أكثر الإنسان من الخصومات والمناقشات، تعود ذهنه على التعلق بالمجادلة وتحليل كلام الآخرين والبحث عن الردود، فيبقى شيء من ذلك حاضراً في نفسه حتى عند الصلاة. فإذا كبر للصلاة، انتقلت به الأفكار من مسائل الجدل إلى غيرها، وضعف استحضاره لعظمة الله تعالى والوقوف بين يديه. ولهذا فإن كثرة الجدل قد تورث قسوة القلب، وتشتت الفكر، وقلة السكينة، وهذه كلها أمور تنافي كمال الخشوع.

وقد قال النبي ﷺ: «أنا زعيمٌ ببَيْتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً» (١) رواه أبو داود، وفي الحديث ترغيب عظيم في ترك المراء والخصومة.

### ثانياً: ترك الورع والاشتغال بعلم الكلام:

من موانع الخشوع أكل الحرام والوقوع في الشبهات وعدم الاحتراز للدين فالحلال ما حل بيديه وإن كان حراماً والحرام ما بعد عنه وإن كان حلالاً إذ كيف يخشع قلب اجترأ على أكل المحرمات ومعصية رب الأرض والسموات فالحلال أسنان الخشوع.

روى أبو نعيم عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى قال: يظهر في الناس - يعني: آخر الزمان - أشياء؛ ينزع منهم الخشوع بتركهم الورع، ويذهب منهم العلم بإظهارهم الكلام، ويضيعون الفرائض باجتهادهم في النوافل، ويصير نقض العهود وتضييع الأمانة وارتفاعها من بينهم علماً، ويرفع من بين المنسوبين إلى الصلاح في آخر الزمان علم الخشية وعلم

<sup>١</sup> - وأخرجه أبو داود (٤٨٠٠) ومن طريقه البيهقي (٢٤٩ / ١٠) من حديث أبي أمامة. وإسناده ضعيف، لكن له شواهد يرتقي بها إلى الحسن. انظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٧٣)

الورع وعلم المراقبة، فيكون بدل علم الخشية وساوس الدنيا، وبدل علم الورع وساوس العدو، وبدل علم المراقبة حديث النفس ووسواسها.  
 قيل: ولم ذلك يا أبا محمد؟  
 قال: يظهر في القراء دعوى التوكل والحب والمقامات؛ ترى أحدهم يصوم ويصلي عشرين سنة وهو يأكل الربا، ولا يحفظ لسانه من الغيبة، ولا عينه وجوارحه مما نهى الله عنه <sup>(١)</sup>

### 📌 أولاً: ترك الورع وأثره على الخشوع:

- ظلمة القلب: التوسع في الشبهات والمكروهات أو التساهل في الشبهات المالية والمطاعم يورث القسوة، والخشوع لا يستقر في قلب قست سويداؤه.
- ضعف المراقبة: الورع هو الحاجز بين العبد وبين حدود الله، وبزواله تضعف الهيبة والمراقبة أثناء الصلاة والذكر.
- حرمان التوفيق: الخشوع صلة وثيقة بين العبد وربّه، وترك الورع يبعد القلب عن نفحات الأنس بالله والتأثر بكلامه.

### 📌 ثانياً: الاشتغال بعلم الكلام وأثره على الخشوع:

- الجفاف العاطفي والتعبدى: يركز علم الكلام على الجدل، والشبهات، والردود النظرية، مما يشغل العقل بالخصومات والقياسات الذهنية على حساب أحوال القلب وحياته.

<sup>١</sup> - رواه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (١٠ / ٢٠٦).

- تشتت الفكر في الصلاة: يستحضر المشتتهر بالمجادلات الكلامية الحجب والردود والاعتراضات أثناء عبادته، فيغيب عن معاني الآيات وإجلال المعبود.
- ضعف التعظيم المباشر: خشوع السلف كان ينبع من معرفة الله بأسمائه وصفاته وآياته كما جاءت في الكتاب والسنة دون الخوض في التأويلات الكلامية المعقدة التي قد تورث الشك والتردد.
- ليس الخشوع مجرد هيئة ظاهرة، وإنما هو حضور القلب مع الله تعالى. ولذلك فإن ترك الورع والتساهل في الشبهات والمعاصي، وكذلك الاستغراق في الجدل والخصومات التي لا تعود على القلب بصلاح، قد يكون من أسباب قسوة القلب وتشتت الفكر، ومن ثم ضعف الخشوع في الصلاة.

\*\*\*\*\*

## الفصل الثاني: الموانع البدنية والحسية

أخي المسلم: اعلم - زادك الله علماً - الموانع البدنية والظاهرية من أكثر الحُجُب التي تحول بين العبد وبين كمال الإقبال على الله تعالى في صلاته؛ فالإنسانُ كائنٌ يمتزج فيه الجسد بالروح، ومتى اضطرب البدن بألم، أو حصرٍ، أو جهدٍ، أو شغلته المؤثرات المحيطة به، انعكس ذلك مباشرةً على حضور قلبه وسكون جوارحه.

وقد جاءت الشريعة المطهرة بمراعاة هذا الأصل العظيم؛ فشرعت للمصلي أسباب السكينة والتهيو الظاهر ليكون سبيلاً إلى الخشوع الباطن. فكما أن للقلب موانعَ معنوية كالكبر والرياء والتعلق بالدنيا، فإن للبدن والظاهر موانعَ حسية تشتت الذهن وتذهب الطمأنينة.

### أولاً: الصلاة حاقناً أو حاقباً أو حازقاً والصلاة بحضرة طعام:

تُعَدُّ الصلاةُ حالَ مدافعةٍ الأخبثين (البول والغائط) أو ضغط الملبس والريح، وكذلك الصلاة بحضرة الطعام الذي تشتت فيه النفس، من أعظم الموانع الظاهرة للخشوع؛ لأن الشارع الحكيم حريصٌ على أن يدخل العبدُ صلاته بقلبٍ فارغٍ من كل شاغلٍ جسدي أو نفسي يقطعه عن كمال الإقبال على الله.

\* الحاقن: هو مَنْ يدافع البول.

\* الحاقب: هو مَنْ يدافع الغائط.

\* الحازق: هو مَنْ ضَغَطَهُ الثوبُ الضيق، أو الحذاء الضيق، أو ما يدافع الريح.

**أثر هذه الحالات على الخشوع:** تشتت الذهن وتشغيب خاطر: المدافعة تُثير في الجسم قلقاً وتوتراً مستمراً، فيغدو فكر المصلي مشغولاً بمدافعة البدن بدلاً من التدبر والتفكير في آيات الله وأذكار الصلاة.

**الاستعجال وعدم الطمأنينة:** يدفع هذا الحصر المصلي إلى المسارعة في الركوع والسجود والتسليم ليتمكن من قضاء حاجته، مما يخل بالطمأنينة.

**تعارض مقصود الصلاة:** مقصود الصلاة الأكبر هو راحة القلب وسكونه بين يدي الله؛ ومدافعة الأخشين أو التوق للطعام يجعل الجسد في حالة انزعاج ينافي السكينة والوقار.

لقد نهى النبي عن ذلك لأن هذه الأمور الثلاثة تشغل الفكر وتشتت ذهن العبد فيبتعد عن ساحة الخضوع والخشوع بقدر انشغاله بهذه الأشياء

عن ابن أبي عتيق قال تحدثت أنا والقاسم عند عائشة رضي الله عنها حديثاً وكان القاسم رجلاً لحانة وكان لأم ولد فقالت له عائشة ما لك لا تحدث كما يتحدث ابن أخي هذا أما إني قد علمت من أين أتيت هذا أدبته أمه وأنت أدبتك أمك قال فغضب القاسم وأضب عليها فلما رأى مائدة عائشة قد أتى بها قام قالت أين قال أصلي قالت اجلس قال إني أصلي قالت اجلس غدر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا صلاة بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان (١)

( بحضرة الطعام ): أي عند حضور طعام تتوق نفسه إليه ، أي لا تقام الصلاة في موضع حضر فيه الطعام ، وهو يريد أكله ، وهو عام للنفل والفرص والجائع

١ - مسلم، كتاب المساجد، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة مع مدافعة الحدث، برقم ٥٦٠.

وغيره وفيه دليل صريح على كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال لا شغل القلب به

(الأخبثان): فاعل يدافع وهو البول والغائط ، أي لا صلاة حاصلة للمصلي حالة يدافعه الأخبثان وهو يدافعهما لا شغل القلب به وذهاب الخشوع ، ويلحق به كل ما هو في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع ، وأما الصلاة بحضرة الطعام فيه مذاهب منهم من ذهب إلى وجوب تقديم الأكل على الصلاة ، ومنهم من قال إنه مندوب ومن قيد ذلك بالحاجة ومن لم يقيد ، ويجيء بعض بيان ذلك إن شاء الله تعالى في موضعه .<sup>(١)</sup>

📖 **وللفقهاء في ذلك تفصيل متى يكره ومتى لا :** توقان الطعام الحاضر أو القريب الحضور أي: اشتتهائه بحيث يختل الخشوع لو قدم الصلاة عليه .  
و لأمره ﷺ : بتقديم العشاء على العشاء .

ويأكل ما يتوفر معه خشوعه .

فإن لم يتوفر إلا بالشبع شبع .

ومحل ذلك إن وسع الوقت أيضا وإلا صلى فورا وجوباً<sup>(٢)</sup> .

### ثانيا أن يصلي وقد غلبه النعاس

وعلم - علمني الله وإياك- : أن من موانع حضور القلب في الصلاة حضور النوم ومغالبتها و مدافعتها فإن لك يشغل العبد عن التفكير فيما يقرأ التدبر فيما يقول لذا نهى النبي - ﷺ عن الصلاة عند مغالبة النوم

<sup>١</sup> - عون المعبود - (ج ١ / ص ١١٢) .

<sup>٢</sup> المنهج القويم : (ج : ١ ص : ٢٥٢ ، ٢٥٣) .

عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: (أَنْسِ أَنْ النَّبِيِّ، - ﷺ، قَالَ: تَمَتَّ إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ [فِي الصَّلَاةِ]، فَلَيْنَمَ، حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَقْرَأُ<sup>(١)</sup>).

يقول ابن بطال - رحمه الله - قال المهلب: قوله ﷺ: إذا نعس أحدكم فليرقد - ، هو في صلاة الليل، لأن صلوات الفرض ليست من نهاية الطول، ولا في أوقات النوم فيحدث فيها مثل هذا، وقد ذكر ﷺ العلة الموجبة لقطع الصلاة، وذلك أنه خاف عليه إذا غلب عليه النوم أن يخلط الاستغفار بالسب.

قال المهلب: ومن صار في مثل هذه الحال من ثقل النوم فقد انتقض وضوءه بإجماع، فأشبهه من نهاه الله تعالى عن مقاربة الصلاة في حال السكر بقوله تعالى: {لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: ٤٣].

وقد قال الضحاك في تأويل قوله تعالى: {وَأَنْتُمْ سُكَارَى} أنه النوم.

والأكثر أنها نزلت في سكر الخمر، وبَيَّنَّ حديث عائشة، وحديث أنس في هذا أن المعنى واحد، لأن من أراد أن يستغفر ربه فيسب نفسه، فقد حصل من فقد العقل في منزلة من لا يعلم ما يقول من سكر الخمر التي نهى الله تعالى عن مقاربة الصلاة فيها، ومن كان كذلك فلا تجوز صلاته، لأنه فقد عقله الذي خاطب الله أهله بالصلاة والفرائض، ورفع الخطاب بذلك والتكليف عمن عدمه ودلت الآية على ما دل عليه الحديثان، أنه لا ينبغي للمصلي أن يقرب الصلاة مع شاغل له عنها، أو حائل بينه وبينها، لتكون همه لا هم له غيرها، وأن من استثقل نومه فعليه الوضوء، وهذا يدل أن النوم اليسير بخلاف ذلك.

١ - أخرجه أحمد (١٠٠/٣). ورواه البخاري ح ٢١٠ والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف) (٩٥٣)

وأجمع الفقهاء على أن النوم القليل الذي لا يزيل العقل لا ينقض الوضوء، إلا المزني وحده، فإنه جعل قليل النوم وكثيره حدثاً، وخرق الإجماع.

وكذلك أجمعوا أن نوم المضطجع ينقض الوضوء. (١)

وقد جاء ذكر السبب في ذلك عائشة أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: تَمَتَّ إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ رَاقِدٌ، لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ. (٢)

يقول بدر الدين العيني - رحمه الله - قوله: "يستغفر" بمعنى يدعو هاهنا، قاله القاضي.

حث على الإقبال على الصلاة بخشوع، وفراغ قلب ونشاط، وفيه أمر الناعس بالنوم أو نحوه مما يذهب عنه النعاس، وهذا عام في صلاة الفرض والنفل، في الليل والنهار، وهذا مذهب الجمهور، لكن لا يخرج فريضة عن وقتها. قال القاضي: وحمله مالك وجماعة على نفل الليل؛ لأنها محل النوم غالباً. (٣)

### أثر النعاس على الخشوع في الصلاة:

- ذهاب العقل وحضور القلب: الخشوع يقوم على فهم ما يقوله المصلي وتدبر الأذكار، والنعاس يغيب الفكر ويجعل اللسان ينطق بما لا يعي.

١ - شرح ابن بطلال - (ج ١ / ص ٣٤١)

٢ - أخرجه مالك في الموطأ (٩٣). والحميدي (١٨٥) وأحمد (٥٦/٦) والدارمي (١٣٩٠) والبخاري (٦٣/١) ومسلم (١٩٠/٢) وأبو داود (١٣١٠٠) وابن ماجه (١٣٧٠)

٣ - شرح أبي داود للعيني - (ج ٥ / ص ٢١٧)

- الوقوع في الخطأ أو الدعاء على النفس: قد يخطئ النعسان في قراءة القرآن، أو يقلب أذكار الصلاة، أو يدعو على نفسه وهو لا يشعر بدلاً من أن يدعو لها.
- فقدان اللذة وحلاوة المناجاة: تتحول الصلاة مع المغالبة الشديدة للنعاس إلى ثقل ومجرد حركات بدنية تؤدي بغرض الفراغ منها، فيزول الانكسار والهيبة بين يدي الله.

### ثالثاً: العبث ببدنه أو ثوبه أو غيره

عبث بلحيته، أو فكر بقلبه فكراً فاسداً أو أصلح ثوباً أو حمل صبيّاً أو ثقل فهُوَ على صلاته، ولا سجود للسُّهُو عليه. ولو تجنب ذلك كله كان أخشع<sup>١</sup>.

### أثر العبث على الخشوع في الصلاة:

- دليل على فراغ القلب من الخشية: الخشوع في الأصل عمل قلبي تتأثر به الجوارح وتسكن له؛ فإذا طاش القلب بالوساوس، ظهر أثر ذلك حركةً واضطراباً في اليدين والبدن.
- تشتت الذهن وانقطاع المناجاة: كثرة تسوية الثياب، أو تعديل الغترة، أو العبث باللحية واليدين، تصرف العقل عن استحضار معاني القراءة والتسبيح إلى التركيز في الهيئة الظاهرة.
- نقص أجر الصلاة ومنافاة الوقار: العبث ينافي السكينة والطمأنينة التي هي ركن من أركان الصلاة، وكثرته بلا حاجة تنقص ثواب العبادة وقد تبطلها إذا كثرت وتوالت متتابعة.

<sup>١</sup> الإقناع للماوردي ج: ١ ص: ٤٥، ٤٦

فالخشوع سكونٌ في القلب والجوارح، والعبث يفتح على المصلي أبواب الغفلة؛ لذلك كان تركه من آداب الصلاة ومن أسباب تحصيل الخشوع.

#### رابعاً: الانشغال بتسوية الحصى

عَنْ مُعَيْقِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَمَسِّحْ وَأَنْتَ تُصَلِّي، وَإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَوَاحِدَةً» تَسْوِيَةَ الْحَصَا (١)

قال رسول الله ﷺ: ( لا تمسح وأنت تصلي فإن كنت لا بد فاعلاً فواحدة) يعني تسوية الحصى (١) (٢)

والعلة في هذا النهي؛ المحافظة على الخشوع ولئلا يكثر العمل في الصلاة. والأولى إذا كان موضع سجوده يحتاج إلى تسوية فليسوه قبل الدخول في الصلاة.

ويدخل في الكراهية مسح الجبهة والأنف وقد سجد النبي ﷺ في ماء وطين وبقي أثر ذلك في جبهته ولم يكن ينشغل في كل رفع من السجود بإزالة ما علق فالاستغراق في الصلاة والخشوع فيها ينسي ذلك ويشغل عنه عن عبد الله رضي الله عنه قال

كنا نسلم على النبي ﷺ وهو في الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا وقال إن في الصلاة شغلاً ( )

قد روى ابن أبي شيبه عن أبي الدرداء قال: ما أحب أن لي حمر النعم وأني مسحت مكان جبيني من الحصى .

١ - أخرجه أحمد (٤٢٦/٣) و (٤٢٥/٥) والدارمي والبخاري (٨٠/٢) و١٣٩٤٠ ومسلم (٧٤/٢) وأبو داود (٩٤٦) وابن خزيمة (٨٩٥).

٢ - رواه أبو داود رقم ٩٤٦ وهو في صحيح الجامع رقم ٧٤٥٢

وقال عياض: كره السلف مسح الجبهة في الصلاة قبل الانصراف. (١)  
يعني الانصراف من الصلاة.

وكما أن المصلي ينبغي أن يحترز مما يشغله عن صلاته كما مرّ في النقاط السابقة فكذاك عليه أن يلتزم بعدم التشويش على المصلين الآخرين.

### 📌 أثر تسوية الحصى على الخشوع:

- تشتت الذهن والجوارح: حركة اليدين في تعديل الحصى والتراب تنقل تركيز المصلي من تدبر الآيات واستشعار عظمة المعبود إلى العناية بهيئة الأرض وملمسها.
- الانشغال عن الطمأنينة: الحركة المتكررة بلا ضرورة تفوت السكون والوقار اللذين هما أصل الخشوع وركن الصلاة.
- قطع حبل المناجاة: الاستغراق في تسوية موضع السجود يقطع الصلة والروحانية التي يتغياها المصلي في صلاته.

### خامسا: الالتفات في الصلاة

اعلم -زادك الله فقها وعلماء-: أن من موانع الخشوع في الصلاة الالتفات؛ لأنه يصرف القلب عن التوجه إلى الله تعالى، ويشغل البصر والجوارح عن هيئة الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى. والصلاة مقامٌ مناجاةٍ وخضوع، ولذلك كان من كمال الأدب فيها أن يقبل المصلي على ربه بقلبه وبدنه، ولا يلتفت إلا لحاجة.

١ - الفتح ٣/ ٧٩.

قال أبو ذر: قال رسول الله ﷺ: "لا يَزَالُ الله عز وجل مُقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يَلْتَفِتْ، فإذا التَفَتَ انصرفَ عنه" (١)

عن مسروق، عن عائشة قالت: سألتُ رسولَ الله عن التفات الرجل في صلاته فقال: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد" (٢)

قوله: "اختلاس" لما من خلست الشيء واختلسته إذا سلبته، والمعنى: أن المصلي إذا التفت يمينا أو شمالا يظفر به الشيطان في ذلك الوقت، ويُسْغله عن العبادة، فربما يسهو أو يغلط لعدم حضور قلبه باشتغاله بغير المقصود، ولما كان هذا الفعل غير مرضي منه نُسب إلى الشيطان. وعن هذا قالت العلماء بكراهة الالتفات في الصلاة. وروى أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن حطان العصفري، عن الحكم قال: إن من تمام الصلاة: أن لا تعرف مَنْ عن يمينك ولا مَنْ عن شمالك.

عن ابن جريج، عن عطاء قال: سمعت أبا هريرة يقول: إذا صليت فإن ربك أمامك وأنت مُناجيه، فلا تلتفت. قال عطاء: وبلغني أن الرب يقول: "يا ابن آدم، إلى من تلتفت؟ أنا خير لك ممن تلتفت إليه". (٣)

**يقول ابن بطال - رحمه الله -** الالتفات في الصلاة مكروه عند العلماء، وذلك أنه إذا أوماً ببصره وثنى عنقه يميناً وشمالاً ترك الإقبال على صلاته، ومن

١ - أخرجه أحمد (١٧٢/٥)، رقم (٢١٥٤٧)، وأبو داود (٢٣٩/١)، رقم (٩٠٩)، والنسائي (٨/٣)، رقم (١١٩٥)، والدارمي (٣٩٠/١)، رقم (١٤٢٣)، وابن خزيمة (٢٤٤/١)، رقم (٤٨٢)، والحاكم (٣٦١/١)، رقم (٨٦٢)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي (٢٨٢/٢)، رقم (٣٣٤٧). وأخرجه أيضاً: ابن المبارك (٤١٨/١)، رقم (١١٨٦).

٢ - أخرجه الحميدي (١٧٢) وأحمد (٣٧/٦) والبخاري (١٠٤/١) ومسلم (٧٧/٢) وأبو داود (٩١٤) وابن ماجه (٣٥٥٠) والنسائي (٧٢/٢) وفي الكبرى (٧٥٨)

٣ - شرح أبي داود للعيني - (ج ٤ / ص ١٣٤)

فعل ذلك فقد فارق الخشوع المأمور به في الصلاة، ولذلك جعله النبي اختلاسًا للشيطان من الصلاة، وأما إذا التفت لأمرٍ يَعْنُ له من أمر الصلاة أو غيرها فمباح له ذلك وليس من الشيطان، والله أعلم.

**وقال المهلب:** قوله: « هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد » ، هو حض على إحضار المصلي ذهنه ونيته لمناجاة ربه، ولا يشتغل بأمر دنياه، وذلك أن العبد لا يستطيع أن يخلص صلاته من الفكر في أمور دنياه؛ لأن الرسول قد أخبر أن الشيطان يأتي إليه في صلاته، فيقول له: اذكر كذا اذكر كذا؛ لأن موكل به في ذلك، وقد قال عليه السلام: « من صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له » (١) ، وهذا لمغالته الإنسان، فمن جاهد شيطانه ونفسه وجبت له الجنة، وقد نظر عليه السلام، إلى أعلام الخميصة وقال: « إنها شغلتنى » ، فهذا مما لا استطاع على دفعه في الأعم، وقد اختلف السلف في ذلك فممن كان لا يلتفت في الصلاة أبو بكر وعمر، وقال ابن مسعود: إن الله لا يزال مقبلاً على العبد ما دام في صلاته ما لم يحدث أو يلتفت. (٢) ونهى عنه أبو الدرداء، وأبو هريرة، وقال عمرو بن دينار: رأيت ابن الزبير يصلي في الحجر، فجاءه حجر قدامه فذهب بطرف ثوبه، فما التفت. (٣)

<sup>١</sup> - متفق عليه: البخاري، كتاب الوضوء، باب المضمضة في الوضوء، برقم ١٦٤ ، ومسلم كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء، برقم ٢٢٦.

<sup>٢</sup> - رواه ابن أبي شيبة ١ / ٣٩٥ (٤٥٣٤)، والطبراني في "الكبير" ٩ / ٢٦٩ (٩٣٤٥) من طريق خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن ابن مسعود.

قال الهيثمي في "المجمع" ٢ / ٨١: أبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود

<sup>٣</sup> - رواه أحمد في "الزهد" ١ / ٢٤٩.

وقال ابن أبي مليكة: إن ابن الزبير كان يصلي بالناس، فدخل سيل في المسجد فما أنكر الناس من صلاته شيئاً حتى فرغ منها.<sup>(١)</sup>

وقال الحكم: من تأمل من يمينه أو شماله في الصلاة حتى يعرفه فليست له صلاة<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو ثور: إن التفت ببدنه كله أفسد صلاته<sup>(٣)</sup>

### أنواع الالتفات في الصلاة قسماً:

الأول: التفات القلب إلى غير الله عز وجل.

الثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه وينقص من أجر الصلاة وقد سئل رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: (اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد)<sup>(٤)</sup>

"ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو قلبه مثل رجل استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً، وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به لأن قلبه ليس حاضراً معه فما ظنّ هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟ .

أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه، فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه فامتلاً قلبه من هيئته

<sup>١</sup> - أورده ابن بطال في "شرح" ٢ / ٣٦٥.

<sup>٢</sup> - شرح ابن بطال - (ج ٣ / ص ٤٥٠)

<sup>٣</sup> - أورده ابن المنذر في "الأوسط" ٣ / ٩٧، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢١ / ١٠٣.

<sup>٤</sup> - أخرجه الحميدي (١٧٢) وأحمد (٣٧/٦) والبخاري (١٠٤/١) ومسلم (٧٧/٢) وأبو داود (٩١٤) وابن ماجه (٣٥٥٠) والنسائي

(٧٢/٢) وفي الكبرى (٧٥٨)

وذلت عنقه له، واستحيى من ربه أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية: إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل والآخر ساه غافل" (١).

### حكم الالتفات لضرورة أو لحاجة فلا بأس به:

عن سهل بن الحنظلية قال: (ثوب بالصلاة - صلاة الصبح - فجعل رسول الله ﷺ يصلي وهو يلتفت إلى الشعب).

قال أبو داود: (وكان أرسل فارسا من الليل إلى الشعب يحرس) (٢). وهذا كحمله أمامة بنت أبي العاص، .. وفتح الباب لعائشة ونزوله من المنبر لما صلى بهم يعلمهم، وتأخره في صلاة الكسوف، وإمساكه الشيطان وخنقه لما أراد أن يقطع صلاته، وأمره بقتل الحية والعقرب في الصلاة، وأمره بردّ المار بين يدي المصلي ومقاتلته، وأمره النساء بالتصفيق وإشارته في الصلاة وغير ذلك من الأفعال التي تُفعل لحاجة، ولو كانت لغير حاجة كانت من العبث - المنافي للخشوع - المنهي عنه في الصلاة" (٣).

### أثر الالتفات على الخشوع في الصلاة:

١ - الوابل الصيب لابن القيم. دار البيان ص: ٣٦.

٢ - إسناده صحيح. زيد: هو ابن سلام بن أبي سلام، وأبو سلام: هو ممطور الحبشي، والسُّلُولي: هو أبو كبشة. وأخرجه مطولاً النسائي في "الكبرى" (٨٨١٩) من طريق أبي توبة الربيع بن نافع، بهذا الإسناد.

٣ - مجموع الفتاوى ٥٥٩/٢٢

- انقطاع الإقبال على الله: الخشوع يقوم على استقبال القبلة بالبدن والإقبال على الله بالقلب؛ فإذا التفت المصلي بوجهه أو بصره، انقطع هذا الإقبال وذهبت هيبة الموقف.
- اختلاس الشيطان للصلاة: الالتفات هو الثغرة التي يدخل منها الشيطان ليصرف العبد عن مناجاة ربه، فيشغله بآفات الطريق وما يدور حوله من الحركة والنظر.
- تشتت الذهن وضياع التدبر: متابعة ما يجري في المحيط تنقل عقل المصلي من معاني القرآن والأذكار إلى معالجة المشاهدات الخارجية، فيقع في السهو وتفوت عليه الطمأنينة.

### سادسا: رفع البصر إلى السماء:

ومن موانع الخشوع النظر إلى السماء فانه منهي عنه ومتوعد صاحبه بخطر البصر

وقد ورد النهي عن ذلك والوعيد على فعله في قوله عن أنس بن مالك حدثهم قال: قال النبي ﷺ ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم (١) عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ لينتهن أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم (٢)

١ - أخرجه أحمد (١٠٩/٣) وفي (١١٢/٣ و ١١٥ و ١١٦) وعبد بن حميد (١١٩٦) والدارمي (١٣٠٧) والبخاري (١٩١/١) وأبو داود (٩١٣) وابن ماجه (١٠٤٤). والنسائي (٧/٣) وفي الكبرى (٤٥٧)

٢ - أخرجه أحمد ح ٨٠٥٦ والدارمي ح ١٦٢٢ ومسلم ح ٦٤٩ والترمذي ح ٣٨٩٠ والنسائي ح ٣٨٩٠ وابن ماجه ح (١٠٣٥)

يقول **بد الدين العيني** - رحمه الله - فيه النهي الأكيد والوعيد الشديد وكان ذلك يقتضي أن يكون حراما كما جزم به ابن حزم حتى قال تفسد صلاته ولكن الإجماع انعقد على كراهته في الصلاة والخلاف في خارج الصلاة عند الدعاء وقد ذكرناه عن قريب وقال شريح لرجل رآه يرفع بصره ويده إلى السماء اكفف يدك واخفض بصرك فإنك لن تراه ولن تناله ( فإن قلت ) إذا غمض عينيه في الصلاة ما حكمه ( قلت ) قال الطحاوي كرهه أصحابنا وقال مالك لا بأس به في الفريضة والنافلة وقال النووي والمختار أنه لا يكره إذا لم يخف ضررا لأنه يجمع الخشوع ويمنع من إرسال البصر وتفريق الذهن وروي عن ابن عباس كان النبي إذا استفتح الصلاة لم ينظر إلا إلى موضع سجوده<sup>(١)</sup> وذكر الطبري عن إبراهيم التيمي: أنه قال: كان يكره أن يرفع الرجل بصره إلى السماء في الدعاء، يعنى: في غير الصلاة.

وقال محمد بن سيرين: " كان رسول الله ﷺ يرفع بصره في الصلاة فلما نزلت هذه الآية قد ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ لم يكن يجاوز بصره موضع سجوده ".<sup>(٢)</sup>

فلما كان رفع البصر إلى السماء ينافي الخشوع حرمه النبي - ﷺ وتوعد عليه .

**أثر رفع البصر إلى السماء على الخشوع:**

<sup>١</sup> - عمدة القاري [ جزء ٥ - صفحة ٣٠٩ ]

<sup>٢</sup> - رواه الإمام أحمد في كتاب النسخ والنسوخ

- منافاة الأدب والانكسار: مقام الصلاة مقام خضوع وذل بين يدي الله، والمشروع للمصلي خفض رأسه والنظر إلى موضع سجوده، بينما يتنافى رفع البصر مع هيئة الاستكانة.
  - تشتت البصر والفكر: يؤدي رفع البصر إلى انشغال العين بمتابعة السقف، أو الإضاءة، أو الحركة من حوله، فينشغل القلب عن تدبر الآيات والأذكار.
  - الحرمان من حضور القلب: الخشوع يتحقق بامتنال الهدي النبوي؛ ومخالفة الهيئة المشروعة تُفقد الصلاة روحها وحضورها الباطن.
- 📌 من كان يحب للمصلي أن يكون بصره حذاء موضع سجوده:**
- عن أبي قلابة قال سألت مسلم بن يسار أين منتهى البصر في الصلاة فقال إن حيث حسن.
- عن إبراهيم النخعي أنه كان يحب للمصلي أن لا يجاوز بصره موضع سجوده.
- عن ابن سيرين أنه كان يحب أن يضع الرجل بصره حذاء موضع سجوده فإن لم يفعل أو كلمة نحوها فليغمض عينيه.
- عن ليث عن مجاهد أنه كره أن يصلي الرجل وهو مغمض العين.
- عن جميل بن عبيد قال سمعت الحسن وسأله رجل أغمض عيني إذا سجدت فقال إن شئت.
- عن جميل قال سمعت الحسن وسئل عن الرجل يغمض عينيه وهو ساجد في الصلاة قال لا بأس به. (١)

١ - مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٢ / ص ١٦٢)

### 📌 أثر رفع البصر إلى السماء على الخشوع

- سلب الأدب والوقار: موقف الصلاة موقف ذل وانكسار بين يدي الله، والمشروع فيه إطراق الرأس والنظر إلى موضع السجود، بينما يورث رفع البصر انصرافاً عن شيمة الخضوع.
- تشتت الذهن بالعلويات: ينشغل الفكر بمتابعة السقف أو السحاب أو الإضاءة، مما يقطع تدبر الآيات والأذكار ويشغل القلب بالشواغل البصرية.
- التعرض للوعيد وزوال الخشوع: الخشوع يتحقق بالامتثال لأوامر النبي ﷺ، ومخالفة الهدي النبوي في هيئة الصلاة تُفقد العبد روح العبادة وثوابها كاملاً.

رفع البصر إلى السماء من الأمور التي تخالف كمال الخشوع وأدب الوقوف بين يدي الله تعالى، وقد جاء النهي عنه بوعيد شديد؛ ولذلك ينبغي للمصلي أن يحفظ بصره، كما يحفظ قلبه، وأن يجمع جوارحه على عبادته.

### سابعاً: الإخلال بالركوع والسجود:

أخي المسلم: إن من الموانع التي تحول بين المرء وبين الخشوع في الصلاة نقر الصلاة وعدم إتمام أركانها لذا أمر النبي ﷺ من لم يتم الركوع والقيام بإعادة الصلاة مرة ثانية

قال أبو هريرة: أن النبي ﷺ، دخل المسجد، فدخل رجل، فصلّى، ثم جاء، فسلم على النبي، فرد النبي ﷺ، فقال: «ارجع، فصل، فإنك لم تصل، فصلّى، ثم جاء إلى النبي، فقال: ارجع، فصل، فإنك لم تصل، ثلاثاً، فقال: والذي بعثك

بالحق فما أحسن غيره، فعلمني، قال: إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» (١).

**يقول ابن بطال - رحمه الله -:** استدل بهذا الحديث جماعة من الفقهاء، فقالوا: الطمأنينة في الركوع والسجود فرض، لا تجزئ صلاة من لم يرفع رأسه، ويعتدل في ركوعه وسجوده ثم يقيم صلبه، وقالوا: ألا ترى أن الرسول قال له: «ارجع فصل فإنك لم تصل» (٢)، ثم علمه الصلاة وأمره بالطمأنينة في الركوع والسجود، هذا قول الثوري، وأبي يوسف، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وابن وهب صاحب مالك قال: من لم يعتدل قائماً من ركوعه حتى يسجد فلا يعتد بتلك الركعة.

وفيها قول آخر، روى ابن القاسم عن مالك في «العتبة» قال: من رفع رأسه من الركوع فلم يعتدل قائماً حتى يسجد يجزئه ولا يعود، وقاله ابن القاسم في كتاب سحنون، وروى ابن وهب عن مالك مثل ذلك في «العتبة» .  
وروى عيسى عن ابن القاسم فيمن رفع رأسه من السجود، فلم يعتدل جالساً حتى سجد: يستغفر الله ولا يعود.

<sup>١</sup> - أخرجه أحمد (٤٣٧/٢) والبخاري (١٩٢/١) و (٦٩/٨) ومسلم (١٠/٢) وأبو داود (٨٥٦) والترمذي (٣٠٣) والنسائي (١٢٤/٢)

وفي الكبرى (٨٦٨) وابن خزيمة (٤٦١ و ٥٩٠)

<sup>٢</sup> - أخرجه أحمد (٤٣٧/٢) والبخاري (١٩٢/١) و (٦٩/٨) ومسلم (١٠/٢) وأبو داود (٨٥٦) والترمذي (٣٠٣) والنسائي (١٢٤/٢)

وفي الكبرى (٨٦٨) وابن خزيمة (٤٦١ و ٥٩٠)

يقول ابن تيمية - رحمه الله - " ... وإذا كان الخشوع في الصلاة واجبا، وهو متضمن للسكون والخشوع .

فمن نقر نقر الغراب لم يخشع في سجوده ، وكذلك من لم يرفع رأسه من الركوع ويستقر قبل أن ينخفض لم يسكن لأن السكون هو الطمأنينة بعينها، فمن لم يطمئن لم يسكن ، ومن لم يسكن لم يخشع في ركوعه ولا في سجوده ، ومن لم يخشع كان أثما عاصيا (١) .

عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ أسوء الناس سرقة الذي يسرق صلاته قالوا يا رسول الله كيف يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها (٢)

عن حذيفة: « أنه رأى رجلا لا يتم ركوعه ولا سجوده، فلما قضى صلاته قال له حذيفة: ما صليت، قال: وأحسبه، قال: لو مت مت على غير سنة محمد » (٣).  
عن زيد بن وهب قال: «رأى حذيفة - رضي الله عنه - رجلا يصلي، فطفف، فقال له حذيفة: منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ قال: منذ أربعين سنة، قال: ما صليت منذ أربعين سنة، ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة، مت على غير فطرة محمد ﷺ ، ثم قال: إن الرجل ليخفف ويتم ويحسن »

### ومن صور الإخلال:

- الإسراع في الركوع دون استقرار .
- عدم الاعتدال بعد الركوع .

١ - مجموع الفتاوى ج: ٢٢ ص: ٥٥٨

٢ - السنن الكبرى للبيهقي - (ج ٢ / ص ٣٨٦)

٣ - أخرجه أحمد (٣٨٤/٥) والبخاري (٢٠٠/١) وأخرجه النسائي (٥٨/٣) وفي الكبرى (٥٢١ و ١١٤٤)

- النقر في السجود والرفع منه بسرعة .
- عدم تمكين أعضاء السجود .
- الانشغال بالحركات بدل استحضار معاني الصلاة.

### ❏ أثر الإخلال بالركوع والسجود على الخشوع:

- فقدان الطمأنينة (التي هي أساس الخشوع): الخشوع ينبثق من السكون والوقار؛ فإذا نقر المصلي صلاته نقر الغراب، خلت الجوارح من الطمأنينة، فرّ القلب من استحضار عظمة المعبود.
- حرمان حلاوة التسبيح والدعاء: الركوع موضع لتعظيم الرب، والسجود أقرب ما يكون العبد فيه من ربه؛ والإسراع فيهما يمنع العقل من فهم ما يقوله اللسان، ويحرم النفس من لذة المناجاة والاستكانة.
- تشتت الخاطر بالاستعجال: المصلي الذي يُخلّ بركوعه وسجوده يكون خاطره معلقاً بما بعد الصلاة أو بالفراغ منها، فينسكب الهمّ الدنيوي في قلبه ويطرد الخشوع.

### ثامنا: تكلف الدعاء يذهب الخشوع

أخي القاري: إن من موانع الخشوع في الصلاة تكلف الدعاء والتصنع فيه؛ لأن الدعاء عبادة تقوم على صدق القلب وافتقاره إلى الله تعالى، فإذا تكلف الإنسان ألفاظاً لا يحسنها، أو انشغل بتزيين عباراته وترتيبها، انصرف قلبه عن معنى المناجاة إلى متابعة الألفاظ والأسلوب.

والدعاء في الصلاة ينبغي أن يكون نابغاً من قلبٍ خاشعٍ منكسرٍ بين يدي الله تعالى، يستشعر العبد فيه فقره إلى ربه وحاجته إليه، لا أن يكون المقصود إظهار البلاغة وحسن العبارة.

قال بعض السلف: «إذا جاء الأعراب ذهب الخشوع».

هذا كما يكره تكلف السجع في الدعاء، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به.

فإن أصل الدعاء من القلب واللسان تابع للقلب.

ومن جعل همته في الدعاء تقويم لسانه أضعف توجه قلبه، ولهذا يدعو المضطر بقلبه دعاء يفتح عليه لا يحضره قبل ذلك.

وهذا أمر يجده كل مؤمن في قلبه.

والدعاء يجوز بالعربية وبغير العربية، والله سبحانه يعلم قصد الداعي ومراده،

وإن لم يقوم لسانه، فإنه يعلم ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تنوع

الحاجات".<sup>(١)</sup>

### 📌 أثر تكلف الدعاء على الخشوع:

- انشغال العقل باللفظ دون المعنى: عندما يركز الداعي على ترتيب القوافي والبحث عن الألفاظ المسجوعة، ينتقل تركيزه من استحضار عظمة الله والانكسار بين يديه إلى العناية بالصياغة والجمال اللفظي، فيخلو الدعاء من حرارة الصدق.

<sup>١</sup> - «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٩)

- فقدان الاستكانة والاضطرار: روح الدعاء قائمة على الذل والانكسار والمسكنة، والتكلف يورث نوعاً من التصنع والمباهاة باللسان، مما ينافي هيئة المضطر الذي يدعو ربه خوفاً وطمعاً.
- إثقال الكاهل وقطع المناجاة: التكلف يجعل الدعاء عبئاً ذهنيّاً يحتاج إلى مجهود في الاستحضار، فيفقد الداعي السلاسة ولذة المناجاة العفوية التي تخرج من القلب مباشرة.

### تاسعا: التأؤب في الصلاة

قال رسول الله ﷺ: ( إذا تَأَوَّبَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ )<sup>(١)</sup> .. وإذا دخل الشيطان يكون أقدر على التشويش على خشوع المصلي بالإضافة إلى أنه يضحك من المصلي إذا تَأَوَّبَ

### أثر التأؤب في الخشوع:

- إذا تكرر التأؤب أثناء الصلاة، فقد يصاحبه:
  - ضعف حضور القلب .
  - قلة التركيز في القراءة والأذكار .
  - الشعور بالكسل والفتور .
  - الانشغال بمحاولة دفع التأؤب بدل تدبر الصلاة .
  - وربما أدى إلى النعاس والغفلة .
- ولذلك جاءت السنة بمجاهدة التأؤب وعدم الاستسلام له.

\*\*\*\*

<sup>١</sup> - رواه مسلم ٢٢٩٣/٤

### الفصل الثالث: الموانع المتعلقة بالمكان والمحيط

الموانع المتعلقة بالمكان والمحيط تعد من أبرز المشتتات الظاهرة التي تحول بين العبد وبين تحقيق الخشوع في صلاته؛ ذلك أن القلب يتأثر سراعاً بما تحيط به الجوارح وخاصة العينين والأذنين. فمتى ما طرأت على مكان الصلاة مشوهات بصرية كالنقوش والصور، أو مزعجات سمعية كالضوضاء والأصوات المرتفعة، تشتت الذهن وغاب الحضور.

وقد اعتنى الإسلام بتهيئة المكان المناسب للعبادة؛ فكره الصلاة في الأماكن التي تشغل المصلي عن كمال الإقبال، كما نهى النبي ﷺ عن الصلاة بحضرة الطعام أو في الأماكن المشتتة، ليبقى الذهن صافياً والمقام خالصاً لله تعالى.

#### أولاً: أن يصلي خلف المتحدث أو (النائم) فيشغل ذلك خاطره:

عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصلوا خلف النائم ولا المتحدث (١)

لأن المتحدث يلهي بحديثه والنائم قد يبدو منه ما يلهي.

قال الخطابي رحمه الله: "أما الصلاة إلى المتحدثين فقد كرهها الشافعي

وأحمد بن حنبل وذلك من أجل أن كلامهم يُشغل المصلي عن صلاته" (٢).

١ - أخرجه أبو داود رقم ٦٩٤ وهو في صحيح الجامع رقم ٣٧٥ وقال حديث حسن. (٣٢/١) و البيهقي في معرفة السنن والآثار ح

١١٢٧ والنووي في خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام - (ج ١ / ص ٥٢٧)

٢ - عون المعبود ٣٨٨/٢

أما أدلة النهي عن الصلاة خلف النائم فقد ضَعَّفها عدد من أهل العلم منهم أبو داود في سننه كتاب الصلاة: تفريع أبواب الوتر: باب الدعاء، وابن حجر في فتح الباري شرح باب الصلاة خلف النائم: كتاب الصلاة وقال البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه: باب الصلاة خلف النائم، وساق حديث عائشة: كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه .. صحيح البخاري: كتاب الصلاة " وكره مجاهد وطاوس ومالك الصلاة إلى النائم خشية أن يبدو منه ما يلهي المصلي عن صلاته. " (١). فإذا أُمن ذلك فلا تُكره الصلاة خلف النائم والله أعلم.

### 📌 كيف يؤثر الكلام في خشوع المصلي؟

إذا صلى المسلم في مكان يكثر فيه الكلام، فقد ينتقل ذهنه من معاني الصلاة إلى متابعة ما يسمعه، فينشغل قلبه بالسؤال: ماذا يقولون؟ ومن المتحدث؟ وما الذي حدث؟ وربما استرسل في التفكير فيما يسمعه، فيغيب عنه معاني الآيات والأذكار.

وهذا يبين أن الخشوع يحتاج إلى تهيئة المكان والقلب معاً، ومن ذلك الابتعاد عن مصادر الضوضاء والتشويش قدر الاستطاعة.

### 📌 تنبيه مهم

المقصود بـ «أن يصلي خلف المتحدث» ليس أن الصلاة خلف شخص يتحدث خارج الصلاة محرمة أو باطلة، وإنما المقصود أن وجود المتحدث بحيث يسمع المصلي كلامه وينشغل به قد يكون سبباً في ذهاب الخشوع.

١ - «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٨٧ ط السلفية)

## 📌 أثر الصلاة خلف المتحدث على الخشوع:

- تشتت العقل وانشغال الأذن: يتأثر المصلي تلقائيًا بالأصوات المحيطة به، فينتقل تركيزه من تدبر القرآن والأذكار إلى متابعة كلام الحديث وفهمه دون إرادة منه.
- تشويش الذهن وقطع المناجاة: الصلاة هي مناجاة سرية بين العبد وربّه، وسماع حديث الجالسين يقطع هذه الصلة ويشوش الحضور القلبي المطلوب لاستشعار العظمة والإجلال.
- السهو والخطأ في الصلاة: يؤدي الانشغال بكلام المتحدثين إلى الذهول عن أفعال الصلاة، فيكثر السهو في عدد الركعات أو القراءة.

## ثانياً: الصلاة في قارعة الطريق

اعلم -ارك الله فيك-: أن من موانع الخشوع الصلاة في قارعة الطريق أو الأماكن التي يكثر فيها المارة فإن ذلك شوش عليه ذهنه ويذهب خشوعه فعلى المصلي أن يبتعد عن كل ما يحول بينه وبين الخشوع في صلاته وللعلماء في تلك المسألة كلام أسوقه للبيان والإيضاح:

📌 قال فقهاء الشافعية: " فصل. ولا يصلى في قارعة الطريق. " عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ نهى أن يصلى على قارعة الطريق أو يضرب الخلاء عليها أو يبال فيها (١).

<sup>١</sup> - أخرجه ابن ماجه ح رواه ابن ماجه (٣٣٠/ح) والطبراني (٢٨١/١٢). قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في الزوائد: إسناده ضعيف، ولكن المتن له شواهد صحيحة وكذا ضعفه الشيخ الألباني. انظر: ضعيف| بن ماجه (٧٢/ح) والإرواء (١٠١/١-٣١٩، ١٠٢).

ولأنه يمنع الناس من الممر، وينقطع خشوعه بممر الناس. فإن صلى فيه صحت صلاته لأن: المنع لترك الخشوع، أو لمنع الناس من الطريق. وذلك لا يوجب بطلان الصلاة. فقالوا إنه مكروه لأن يفقد الخشوع.

### 📌 أثر الصلاة في قارة الطريق على الخشوع:

- تشتت الفكر وحركة البصر: ينشغل المصلي بالمرار والمشاة، والتطلع إلى حركة الناس والسيارات، مما يقطع تدبره للآيات واستحضاره للهية.
- الخوف والانشغال بالسلامة: يظل قلب المصلي وفكره معلقين بانتظار من يمر من أمامه، أو خوفاً من التضييق على الناس أو التعرض للأذى والزحام، فيزول الأنس والمناجاة.
- المسارعة والترخص في أركان الصلاة: ينزع المصلي غالباً في قارة الطريق إلى تخفيف الصلاة والاستعجال لإفراغ الطريق، فيفوت الطمأنينة التي هي أساس الخشوع.
- فقدان المكان للتعظيم والتوقير: الصلاة مناجاة في موقف إجلال، وقارة الطريق مبتذلة بكثرة المارين والشواغل، مما يتنافى مع كمال الأدب والتعظيم المطلوبين في الصلاة.

### 📌 وليس المقصود تحريم الصلاة مطلقاً في الطريق:

ينبغي التفريق بين كون الصلاة في قارة الطريق سبباً من أسباب ذهاب الخشوع وبين الحكم الفقهي لصحة الصلاة؛ فالكلام هنا في كتاب موانع الخشوع عن

الأمر التي تشتت القلب وتضعف حضوره، لا عن الحكم التفصيلي لكل صورة من صور الصلاة في الطريق.

فالعبد إذا أراد الخشوع، فليتحَرَّ مكاناً يأمن فيه على نفسه، ولا يؤذي غيره، ويكون أبعد عن الأصوات والحركة والمشاهد التي تصرف القلب عن الوقوف بين يدي الله تعالى.

### ثالثاً: الصور والنقوش في الثوب أو المصلى

اعلم - زادك الله علماً - : أن من موانع الخشوع أن يرتدي المرء من الثياب ما يشغل بصره ويصرف قلبه إليه لأن ذلك يشغل بصره فيلهيه عن الذكر والتلاوة - وهو ينافي الأدب مع الله وبين يديه - فيفقد الخشوع وقد قال الله - جل وعلا - ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ﴾ [الأحزاب: ٤]

وقال صاحب المذهب: ويكره أن ينظر إلى ما يلهيه لما روت عائشة - رضي الله عنها - قالت: " كان رسول الله ﷺ يصلي وعليه خميصة (١) ذات أعلام . فلما فرغ قال: " ألهتني أعلام هذه اذهبوا بها إلى أبي الجهم وأتوني بأنبجانيته (٢) " (٣)

(٤) .

قال ابن بطال - رحمه الله - : النظر في الصلاة إلى الشيء إذا لم يقدر في الركوع والسجود لا يفسد الصلاة، وإن كان مكروهاً كل ما يشغل المصلي عن

١ - الخميصة: ثوب أسود أو أحمر له أعلام

٢ - الأنبجانية: كساء يتخذ من الصوف وهو من أدون الثياب الغليظة منسوب إلى موضع اسمه أنبجان

٣ المذهب ج: ١ ص: ٨٨

٤ - أخرجه الحميدي (١٧٢). وأحمد (٣٧/٦) أخرجه صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ١١٧ ح ٣٦٠ مسلم ح ٨٦٤ و مصنف عبد الرزاق -

(ج ١ / ص ٣٥٧ ح ١٣٨٩ و ابن حبان ح ٢٣٧٨

صلاته ويلهيه عن الخشوع، فلما شغلته عليه السلام، عن بعض خشوعه تشاءم بها وردّها،

وقال سفيان بن عيينة: إنما رد رسول الله الخميصة إلى أبي جهم؛ لأنها كانت سبب غفلته وشغله عن ذكر الله، كما قال: «اخرجوا عن هذا الوادي الذي أصابكم فيه الغفلة، فإنه واد به شيطان»، قال: ولم يكن رسول الله ﷺ ليعث إلى غيره بشيء يكرهه لنفسه؛ ألا ترى قوله عليه السلام، لعائشة في الضب: «إنا لا نتصدق بما لا نأكل»، وكان رسول الله ﷺ أقوى خلق الله على دفع الوسوسة، ولكن كرهها لدفع الوسوسة كما قال لعائشة: «أميطي عنا قرامك، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي». (١)

وفى ردّه ﷺ الخميصة تنبيه منه وإعلام أنه يجب على أبي جهم من اجتنابها في الصلاة مثلما وجب على النبي؛ لأن أبا جهم أخرى أن يعرض له من الشغل بها أكثر مما خشي الرسول، ولم يُرد النبي برد الخميصة عليه منعه من تملكها ولباسها في غير الصلاة، وإنما معناها كمعنى الحلة التي أهداها لعمر بن الخطاب، وحرّم عليه لباسها وأباح له الانتفاع بها وبيعها. وفيه دليل: أن الواهب والمُهدى إذا ردت عليه هديته من غير أن يكون هو الراجع فيها، فله أن يقبلها؛ إذ لا عار عليه في قبولها. وفيه: أن النبي آنس أبا جهم ردها إليه بأن سأله ثوبًا مكانها يعلمه أنه لم يرد عليه هديته استخفافًا به، ولا كراهة لكسبه. (٢)

### أثر الصور والنقوش على الخشوع:

١ - أخرجه أحمد (١٥١/٣) و«البخاري» (١٠٥/١)

٢ - شرح ابن بطال لصحيح البخاري

- تشتيت البصر وجذب الانتباه: العين هي نافذة القلب، ورؤية النقوش والألوان الجذابة أثناء القيام أو الركوع تجذب البصر تلقائيًا، فينشغل الفكر بتأمل الزخارف بدلاً من النظر إلى موضع السجود.
  - شغل خاطر وقطع المناجاة: يسترسل الذهن مع الصور والرسومات وفك أشكالها أو تفاصيلها، فيغيب المصلي عن فهم ما يقرؤه من القرآن والأذكار.
  - مخالفة كمال الأدب والتعظيم: الموقف بين يدي الله يستدعي التجرد من الشواغل والبهرجة الظاهرة، والاشتغال بالزخارف يتنافى مع الوقار والانكسار المطلوبين في الصلاة.
- الهدي النبوي في التعامل مع هذا المانع:**
- إزالة الشواغل: ثبت في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ. فَنَظَرَ إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً. فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ، وَأُتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةٍ أَبِي جَهْمٍ. فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلَاتِي» (١).
  - اجتناب السجاد المصور: كان النبي ﷺ يوجه بتنحية كل ما فيه صور أو زخارف يشغل عن الصلاة، كما عَنْ أَنَسٍ: كَانَ قِرَامٌ<sup>(٢)</sup> لِعَائِشَةَ سَتَرَتْ بِهِ

<sup>١</sup> - رواه البخاري (٣٦٦)، كتاب: الصلاة في الثياب، باب: إذا صلى في ثوب له أعلام، ونظر إلى علمها، واللفظ له، و (٧١٩)، كتاب:

صفة الصلاة، باب: الالتفات في الصلاة، و (٥٤٧٩)، كتاب: اللباس، باب: الأكسية والخمائن، ومسلم (٥٦ / ٦١ - ٦٣)، كتاب:

المساجد ومواضع الصلاة، باب: كراهة الصلاة في ثوب له أعلام،

<sup>٢</sup> - (قرا) أى ستر رفيق من صوف ذى ألوان.

جَانِبَ بَيْتِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمِيطِي عَنَّا قِرَامَكَ هَذَا، فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تَعْرِضُ فِي صَلَاتِي" (١)

• والسنة للمصلي أن يختار ثيابًا سادة خالية من الكتابات والنقوش، وأن يصلي على سجادة بسيطة لا ألوان فيها تشغل بصره، ليجمع قلبه وعقله على العبادة.

فالخشوع يحتاج إلى جمع القلب والبصر، وكلما قلّت الملهيات في الثوب والمصلي ومحيط الصلاة، كان ذلك أعون على حضور القلب وتدبر ما يتلوه المصلي من كلام الله تعالى

#### رابعاً: التشويش بالقراءة على الآخرين

اعلم - علمني الله وإياك-: أن من موانع الخشوع في الصلاة التشويش على الآخرين بالقراءة ورفع الصوت بها؛ لأن الصلاة عبادة مبنها على السكينة وحضور القلب، فإذا رفع المصلي صوته بالقراءة رفعاً يشوش به على من حوله، شغل المصلون عن صلاتهم وتدبرهم، وربما اختلطت عليهم الآيات والأذكار. عن أبي سعيد قال: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالْقِرَاءَةِ فَكَشَفَ السُّتْرَ وَقَالَ "أَلَا إِنَّ كُلَّكُمْ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يُؤْذِنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ" أو قال: "في الصلاة" (٢)

#### 📌 أثر التشويش بالقراءة على الخشوع:

١ - أخرجه البخاري (٣٧٤) (٥٩٥٩).

٢ - رواه أبو داود ٨٣/ ٢ و هو في صحيح الجامع رقم ٧٥٢ رواه الإمام أحمد ٣٦/٢ وهو في صحيح الجامع ١٩٥١ .

- تشتيت ذهن المصلي والمستمع: عندما يرفع أحد المصلين أو القارئ صوتاً، ينجذب عقل المصلين المجاورة أذنه للصوت المرتفع، فيلتبس عليهم ما يقرؤونه في أنفسهم وتتداخل عليهم الآيات.
- ذهاب الخلوة وحضور القلب: الصلاة والذكر قائمان على المناجاة؛ والجهر الزائد يذهب هذه الخلوة ويقطع السكينة والهدوء المطلوبين في المساجد.
- إيقاع الحرج والسهو: يتسبب الصوت المرتفع في وقوع المصلين في السهو، أو الخطأ في عدد الركعات، أو شغل خاطره بمتابعة القارئ الخارجي بدلاً من تدبر أذكار صلاته.

## الفصل الرابع: الموانع المعاصرة

### الانشغال بالتقنيات والوسائل الحديثة» (إضافة معاصرة

الخشوع في الصلاة يحتاج إلى قلب حاضر، ونفس ساكنة، وفكر مجتمع على مناجاة الله تعالى، وكل ما يشغل القلب ويصرف ذهن عن معاني الصلاة ويقطع صلة المصلي بما يقول ويفعل، فإنه قد يكون سبباً في ضعف الخشوع ونقصه.

وقد تعددت في زماننا أسباب الانشغال وتشعبت مصادر المشتتات؛ فلم تعد شواغل الإنسان مقصورة على هموم المعيشة وأمور الدنيا المعتادة، بل دخلت عليه وسائل وتقنيات حديثة تلازمه في كثير من أوقاته، حتى أصبح الهاتف الذكي وما يتصل به من رسائل وإشعارات ومواقع وتطبيقات حاضراً معه في البيت والعمل والطريق، بل قد يصاحبه إلى المسجد وإلى الصلاة. ومن هنا أصبح الانشغال بالتقنيات والوسائل الحديثة من الموانع المعاصرة التي ينبغي التنبيه إليها عند الحديث عن موانع الخشوع؛ لأن كثرة المشتتات وسرعة الانتقال بينها قد تجعل القلب مشتتاً، والفكر مشغولاً، والنفس معتادة على الاستجابة لكل صوت أو إشعار أو رسالة.

وليس المقصود ذم التقنية أو الوسائل الحديثة في ذاتها؛ فهي من نعم الله إذا استُعملت في الخير والنفع، وإنما المقصود التحذير من استيلائها على القلب واستمرار حضورها الذهني حتى في أوقات العبادة.

فقد يدخل المصلي في الصلاة بجسده، بينما يبقى ذهنه مع هاتفه: ينتظر رسالة، أو يتذكر مقطعاً شاهده، أو يفكر في خبر قرأه، أو يتوقع اتصالاً، أو يسترجع

محادثة إلكترونية؛ فيتفرق القلب بين الوقوف بين يدي الله وبين متابعة شؤون الدنيا.

وهنا يظهر أثر هذا المانع في الخشوع؛ فإن الصلاة مقام جمع القلب على الله تعالى، بينما كثرة المشتتات تدفع القلب إلى التفرق والتنقل من خاطر إلى خاطر.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[المؤمنون: ١-٢]

فكل وسيلة تعين على جمع القلب فهي من أسباب الخشوع، وكل ما يستولي على القلب ويصرفه عن صلاته فهو مما ينبغي للمؤمن أن يجاهده ويتعد عنه، حتى يقف بين يدي ربه بقلب حاضر، ونفس مطمئنة، وفكر مجتمع. ومن هنا كان من فقه الصلاة في هذا العصر أن يعرف المسلم كيف يعزل نفسه - ولو لدقائق - عن سيل الإشعارات والمعلومات والمحادثات، ليعيش مع ربه في لحظات الصلاة، فإنها دقائق معدودة، لكنها قد تكون من أعظم لحظات حياة العبد.

### الهاتف المحمول وتشتيت القلب

أصبح الهاتف المحمول ملازمًا للإنسان في كثير من أوقاته، وقد اعتاد بعض الناس تفقده بصورة متكررة، حتى أصبح مجرد سماع نغمة أو اهتزاز الجهاز سببًا لالتفات ذهن إليه.

فإذا دخل المصلي صلاته والهاتف بجواره، ولم يغلق صوته أو إشعاراته، فقد يكون ذلك سببًا في تشتيت قلبه وتشويش المصلين من حوله.

وقد ينشغل المصلي أثناء الصلاة بالتفكير: من أرسل؟ وما مضمون الرسالة؟ وهل هناك اتصال مهم؟ وماذا حدث في المجموعة أو التطبيق؟ وهكذا ينتقل القلب من مقام المناجاة إلى متابعة أمور الدنيا.

### الإشعارات والرسائل:

من أخطر ما يشغل القلب كثرة الإشعارات؛ لأنها تقوم على جذب الانتباه بصورة متكررة، وقد يدخل الإنسان الصلاة وقد اعتاد أن يستجيب لكل صوت أو اهتزاز يصدر من هاتفه.

ولهذا ينبغي للمسلم أن يجعل بينه وبين هذه المشتتات حاجزاً عند الصلاة، فيغلق الهاتف أو يجعله على الوضع الصامت، ويترك متابعة الرسائل والإشعارات إلى ما بعد الصلاة.

### متابعة وسائل التواصل الاجتماعي:

وقد يدخل المصلي الصلاة وقلبه مشغول بما شاهده قبلها من مقاطع وصور وأخبار وتعليقات ومناقشات، فيستمر العقل في استحضارها أثناء الصلاة. وقد يرى الإنسان مشهداً أو يقرأ خبراً قبل تكبيرة الإحرام بلحظات، ثم يجد نفسه يستعيد تفاصيله وهو يقرأ ويركع ويسجد؛ لأن القلب لم ينتقل من عالم المشتتات إلى مقام الصلاة.

ومن هنا كانت تهيئة القلب قبل الصلاة أمراً مهماً، ومن ذلك أن يترك المسلم متابعة الهاتف قبل الصلاة بوقت مناسب، وأن يدخل الصلاة بقلب أهدأ وأجمع.

### التقنيات الحديثة وكثرة المثيرات:

ليست المشكلة في الهاتف وحده، بل تشمل كل وسيلة تجعل القلب في حالة انتقال دائم من مؤثر إلى مؤثر؛ فسرعة الأخبار، وتعدد التطبيقات، وكثرة المقاطع، والتنقل المستمر بين الموضوعات، كلها قد تجعل النفس معتادة على التشتت وقلة الصبر على التركيز.

والصلاة على العكس من ذلك؛ فهي تطلب من المسلم أن يجمع قلبه على ذكر واحد ومقصد واحد، وأن يقف بين يدي الله تعالى في سكينة وطمأنينة. ولهذا فإن من وسائل المحافظة على الخشوع أن يتعلم المسلم فن الانقطاع المؤقت عن المشتتات، وأن يجعل للصلاة حرمتها وخصوصيتها.

### ومن صور الانشغال بالتقنيات في الصلاة:

- ترك الهاتف على نغمة التنبيه، فينشغل المصلي بالأصوات أثناء الصلاة.
- التفكير في رسالة وصلت قبل الصلاة.
- انتظار اتصال أو خبر أثناء الصلاة.
- الانشغال بما شاهده في وسائل التواصل الاجتماعي.
- الدخول إلى الصلاة مباشرة بعد الانغماس الطويل في الهاتف دون تهيئة القلب.

- تفقد الهاتف بمجرد انتهاء الصلاة قبل أن يستكمل المصلي أذكاره.
- انشغال القلب بتصوير الصلاة أو نشر ما يتعلق بالعبادة طلباً لمدح الناس، وهذا قد يفتح باب الرياء.

### كيف نتعامل مع التقنيات لتحقيق الخشوع؟

ليس المطلوب ترك الوسائل الحديثة، وإنما ضبط استخدامها حتى لا تستعبد القلب وتسرق منه أوقات العبادة.

ومن الوسائل العملية:

أولاً: إغلاق الهاتف أو وضعه على الوضع الصامت قبل الصلاة.

ثانياً: إيقاف الإشعارات غير الضرورية.

ثالثاً: عدم تصفح وسائل التواصل الاجتماعي قبيل الصلاة مباشرة.

رابعاً: ترك متابعة الأخبار والمحادثات أثناء انتظار الصلاة.

خامساً: استحضار أن وقت الصلاة وقت مناجاة، وأن دقائق الصلاة أغلى من أن تُملأ بالتفكير في الرسائل والإشعارات.

سادساً: إذا طرأت على القلب فكرة متعلقة بالهاتف أثناء الصلاة، فلا يسترسل معها، بل يعيد قلبه إلى ما يقرؤه ويقول ويفعله.

وهكذا ينبغي للمسلم أن يجعل التقنية خادمة له لا مالكة لقلبه، وأن يحافظ على الصلاة باعتبارها لحظة اتصال بالله تعالى لا يليق أن ينافسها فيها هاتف أو إشعار أو رسالة.

فإذا أقبل العبد على صلاته، وأغلق أبواب المشتتات، وأوقف سيل المعلومات، وأقبل بقلبه على القرآن والذكر والدعاء، كان ذلك أعون له على حضور القلب وتحقيق الخشوع.

## الباب

## الفصل الثالث ما يجلب الخشوع ويقويه



اعلم -بارك الله فيك- أن الخشوع في الصلاة هو روحها ولبها، وبه تتحقق معناها الحقيقي، وهو حضور القلب بين يدي الله، وسكون الجوارح، والتذلل والانكسار، والتفاعل مع ما يُقرأ ويُفعل فيها. وقد علق الله سبحانه وتعالى الفلاح به فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، وأخبر أن الصلاة ثقيلة إلا على أهله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

ومع عظم مكانة الخشوع، إلا أن كثيراً من المصلين يشكون من غفلته وضعفه، بسبب مشاغل الدنيا ووساوس الشيطان وقسوة القلوب. ولذلك كان من أعظم ما يُعنى به طالب الخشوع أن يعرف الأسباب التي تجلبه وتقويه، فيحرص عليها ويجاهد نفسه في الأخذ بها.

وفي هذا الباب نذكر -بعون الله - جملة من الأسباب الشرعية العملية التي وردت في الكتاب والسنة، وبينها أهل العلم، مما يهيئ القلب للخشوع قبل الصلاة وأثناءها، ويقوي حضوره واستحضاره لعظمة الله، حتى تكون الصلاة مناجاة حقيقية وصلة قوية بين العبد وربّه.

## الفصل الأول: بواعث الخشوع القلبية والإيمانية

إذا كان للخشوع موانع تحول بين القلب وبين حضوره في الصلاة، فإن له كذلك بواعث وأسباباً تعين على تحصيله، وتوقظ القلب من غفلته، وتدفعه إلى تعظيم الله تعالى والإقبال عليه.

والخشوع في حقيقته عملٌ من أعمال القلوب، ولذلك كانت أعظم أسبابه متصلةً بالإيمان والمعرفة بالله تعالى؛ فكلما ازداد العبد معرفةً بربه، وتعظيمًا لجلاله، واستشعارًا لنعمائه، وإيمانًا بلقائه، ازداد قلبه خشيةً وإنابةً وإقبالاً عليه سبحانه.

ومن أعظم ما يبعث على الخشوع أن يستحضر المصلي عظمة من يقف بين يديه، وأن يعلم أنه يناجي رب العالمين، وأن الصلاة ليست حركاتٍ تؤدي فحسب، وإنما هي مقام قرب ومناجاة وعبادة. فإذا اجتمع للقلب تعظيم الله، وخوفه ورجاؤه، ومحبة لقائه، وحسن الظن به، أصبح أقرب إلى الخشوع وأبعد عن الغفلة.

كما أن تذكر الموت والآخرة، وأكل الحلال، والتضرع إلى الله تعالى وسؤاله الخشوع، والافتداء بالنبي ﷺ في صلاته؛ كلها معانٍ إيمانية تهيب القلب للصلاة وتعينه على استحضار حقيقتها.

ومن هنا كان إصلاح القلب وتزكيته مقدمةً أساسية لإصلاح الصلاة؛ لأن القلب إذا حضر خشعت الجوارح، وإذا غفل القلب تفرقت الهمة وتشعبت الخواطر.

وفي هذا الفصل نقف مع جملة من البواعث القلبية والإيمانية التي تعين المسلم على تحصيل الخشوع وتقويته، سائلين الله تعالى أن يحيي بها قلوبنا، وأن يجعلنا من عباده الخاشعين.

### أولاً: التضرع إلى الله أن يمن عليك بالخشوع

اعلم - أرشدك الله - أن الخشوع في الصلاة نعمة عظيمة، وفضل من الله تعالى، لا يُنال بقوة العبد وحده، بل هو منحة ربانية يمنّ بها على من شاء من عباده. ولذلك كان من أعظم الأسباب التي تجلب الخشوع وتقويه: التضرع إلى الله والافتقار إليه أن يرزقك إياه، ويشرح به صدرك، ويثبتته في قلبك. فالقلوب بيد الله يقلّبها كيف يشاء، وهو سبحانه الذي قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. فمن أراد الخشوع فليطلبه من مالكة، وليسأل الله بصدق وإلحاح أن يمنّ عليه به.

كيف تتضرع إلى الله في طلب الخشوع؟

### قبل الصلاة:

ادعُ الله وأنت تتوضأ أو وأنت في طريقك إلى المسجد، وقل بصدق: «اللهم إني أسألك خشوعاً في صلاتي، وحضور قلب بين يديك، وأعوذ بك من الغفلة والسهو».

في بداية الصلاة: بعد تكبيرة الإحرام، أو في دعاء الاستفتاح، أو بعد قراءة الفاتحة، ادعُ بما تيسر، مثل:

عن معاذ بن جبل: أن النبي ﷺ أخذ بيده يوماً، ثم قال: "يا معاذ إني لأحبك" فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وأنا أحبك. قال: "أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك".

قال: وأوصى بذلك معاذ الصنابحي، وأوصى الصنابحي أبا عبد الرحمن، وأوصى أبو عبد الرحمن عقبة بن مسلم (١) في السجود (وهو أقرب ما يكون العبد من ربه): أكثر من الدعاء فيه، وقل:

«اللهم ارزقني خشوعاً في صلاتي، وخشيةً في قلبي، وذلةً وانكساراً بين يديك».

أو: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ودعاء لا يُسمع، ونفس لا تشبع، وعلم لا ينفع».

### بعد الصلاة:

ادعُ الله أن يتقبل صلاتك ويزيد خشوعك فيها، واستغفر مما وقع فيها من غفلة. أدعية نافعة في طلب الخشوع

«اللهم ارزقني خشوعاً في صلاتي، وحضور قلبٍ فيها، وأعوذ بك من الشيطان الرجيم أن يلبس عليّ صلاتي».

١ - «مسند أحمد» (٣٦ / ٤٣٠ ط الرسالة) «وأخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٩)، والبيهقي في «مسنده» (٢٦٦١)، وابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠) و (٢٠٢١)، والطبراني في «الكبير» ٢٠ / (١١٠)، وفي «الدعاء» (٦٥٤)، والحاكم ١ / ٢٧٣ و ٣ / ٢٧٣ - ٢٧٤، وأبو نعيم في «الحلية» ١ / ٢٤١ و ٥ / ١٣٠»

«اللهم إني أسألك أن تمنّ عليّ بخشوع يقربني إليك، ويباعدني عن الغفلة والمعصية».

«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وارزقني خشوعاً في عبادتي».

واعلم أن التضرع لا يكون باللسان فقط، بل بالقلب المنكسر، والافتقار الحقيقي، والشعور بأنك فقير إلى رحمة ربك. فمن أكثر من سؤال الله الخشوع بصدق، مع الأخذ بالأسباب الأخرى، فإن الله لا يخيب سائله، وهو القائل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]

عن عبد الله بن عمرو قال كان رسول الله يقول اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع أعوذ بك من هؤلاء الأربع<sup>(١)</sup>

فإذا أراد الله للعبد الخشوع ألهمه المسائل ومن سئل الله إجابة ومن دعا الله فإن الله وعده الإجابة فيكثر الإنسان من سؤال الله الخشوع

ثانياً: استحضر عظمة الله تعالى

﴿أثر استحضر هيئة الوقوف بين يدي الله في الصلاة:

من أعظم بواعث الخشوع في الصلاة أن يستحضر العبد هيئة الوقوف بين يدي الله تعالى، وأن يعلم أنه واقف بين يدي رب العالمين، الذي يعلم السر وأخفى، ويطلع على قلبه وضميره، ولا تخفى عليه خافية.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

<sup>١</sup> - قال الألباني: صحيح، التعليق الرغيب ( ١ / ٧٥ - ٧٦ ) ، صحيح أبي داود ( ١٣٨٤ - ١٣٨٥ و صحيح الجامع ( ١٢٨٦ )

فإذا قام المصلي للصلاة، فليستحضر عظمة من يقف بين يديه، وليستشعر أنه يناجي ربه، وأنه في مقام عبادة وتعظيم وخضوع، فينصرف قلبه عن الالتفات إلى الدنيا وشواغلها.

ومن استحضر عظمة الله وهيئته صغرت في عينه الدنيا، وسكنت جوارحه، وحضر قلبه، وخشع بصره وصوته وحركته. فلا يكون همه متى تنتهي الصلاة، ولا يشغل قلبه بما وراءه، بل يكون همه أن يؤدي هذه العبادة كما يحب الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَخَرَّتِ الْأَذْقَانُ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]

استشعار المراقبة والمناجاة: عندما يعلم المصلي أنه يتكلم مع ملك الملوك، يستحي أن يلتفت بقلبه أو بصره إلى غيره، فيستحضر أن كل آية يقرأها هي مناجاة مباشرة بينه وبين ربه.

إجلال التكبير والتعظيم: يدرك المصلي معنى "الله أكبر" حقاً، فتصغر في عينيه كل الهموم والمشغل، ويستقر في قلبه التعظيم والمهابة عند كل ركوع وسجود. إتقان الجوارح والحركات: ينعكس خشوع القلب على الظاهر، فتسكن الجوارح، وتطمئن الركعات والسجدات، ويزول العبث والعجلة.

تذكر موقف الحساب الأكبر: الوقوف في الصلاة يُذكر العبد بالوقوف الأكبر يوم القيامة بين يدي الله للحساب، فيسكن الفؤاد، ويفزع القلب إلى ربه راغباً راهباً.

📖 التأثير بآيات القرآن: عندما يقرأ المصلي كلام الله وهيبته حاضره في قلبه، يتأمل الوعيد والوعد، فتتفاعل روحه مع كل آية، وتفيض عيناه من الخشية.

📖 إن استحضر عظمة من تقف أمامه يُحوّل الصلاة من مجرد أفعال ظاهرة إلى رحلة إيمانية تخضع فيها الروح، ويسكن بها الجسد، ويتجدد بها الإيمان

📖 **مِنْ قِصَصِ السَّلَفِ فِي اسْتِحْضَارِ هَيْبَةِ الْوُقُوفِ:** روي عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أقوم؟ (١)

### 📖 أثر القصة في الخشوع

كان رضي الله عنه يستشعر عظمة الصلاة، وأنها أمانة عظيمة، وأن الوقوف فيها بين يدي الله تعالى ليس أمراً هيئاً.

فإذا استحضر المسلم أنه واقف بين يدي الله، وأنّ صلاته قد تكون آخر صلاة له، خفّ عنه الالتفات إلى الدنيا، وعظم في قلبه شأن الصلاة.

العبرة: مَنْ عَظَّمَ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، هَانَ عَلَيْهِ مَا سِوَاهُ.

إن الحامل على الخشوع الخوف من الله ومراقبته، والخشوع هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع (٢).

ويروى عن حاتم الأصم أنه سئل عن صلاته فقال: إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد فيه حتى

١ - الإحياء ١/ ١٥٧.

٢ - (تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٨).

تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي، وأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنّها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيراً بتحقيق، وأقرأ قراءةً بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشع .. وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدري أقبلت أم لا؟ (١).

وكان مسلم بن يسار إذا صلّى لم يشعر بما حوله، فحدث مرة أن اسطوانة في ناحية المسجد سقطت وهو في الصلاة، فاجتمع الناس بذلك، فلم يشعر حتى انصرف من الصلاة (٢).

وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلّين، وكان إذا صلّى ضربت ابنته بالدف، وتحدث النساء بما يردن في البيت، ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله.

وقيل له ذات يوم: هل تحدثك نفسك في الصلاة بشيء؟ قال: نعم، بوقوفي بين يدي الله عز وجل، ومنصرفي إلى إحدى الدارين. قيل: فهل تجد شيئاً مما تجد من أمور الدنيا؟ فقال: لأن تختلف الأسنة فيّ أحبُّ إليّ من أن أجِد في صلاتي ما تجدون (٣).

### ثالثاً: تذكر الموت والآخرة:

ومن أعظم ما يجلب الخشوع في الصلاة: تذكُّر الموت والآخرة؛ فإنَّ العبد إذا علم أنَّه سيغادر هذه الدنيا، وأنَّه سيقف بين يدي الله تعالى للحساب، وأنَّ أول

١ - الإحياء ١/ ١٥٧، وفي الحلية ٨/ ٧٤ خبر عنه قريب منه. وحاتم هو ابن عنوان، زاهد مجاهد توفي سنة ٢٣٧ هـ.

٢ - الإحياء ١/ ١٧٧، ومسلم بن يسار فقيه محدث عابد توفي سنة ١٠٨ هـ.

٣ - الإحياء ١/ ١٧٧، والحلية ٢/ ١٩٢، وعامر بن عبد الله بن قيس زاهد تابعي توفي سنة ٥٥ هـ.

منازل الآخرة القبر، رَقَّ قلبه، وسكنت جوارحه، وأقبل على صلاته إقبالَ مَنْ يرجو رحمة الله ويخشى عذابه. وقد كان السلف رحمهم الله يستحضرون الموت والدار الآخرة، فكان ذلك سبباً لركة قلوبهم، وحسن عبادتهم، وتعظيمهم للصلاة. فليتذكر المصلي أنَّه قد لا يدرك صلاة أخرى، وليجعل صلاته كأنَّها آخر عهده بالدنيا، وليستحضر أنَّه يناجي ربَّه، ويقف بين يديه، وأنَّ الخشوع هو روح الصلاة ولُبُّها.

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

فمن أيقن بقاء الله والرجوع إليه، لم يدخل الصلاة بجسده فقط، بل يدخلها بقلبه وروحه؛ لأنه يعلم أنه واقف بين يدي من يعلم سره وعلايته، وأن هذه الصلاة قد تكون من آخر أعماله في الدنيا.

وكان النبي ﷺ يحث على تذكر الموت، فقال: «أكثرُوا ذكر هَازِمِ اللذات»؛ يعني الموت. وتذكُّر الموت ليس دعوة إلى اليأس أو ترك العمل، وإنما هو إيقاظ للقلب، وتصحيح للنية، وتقليل للتعلق بالدنيا.

يقول السعدي -رحمه الله- {وَإِنَّهَا} أي: الصلاة {لَكَبِيرَةٌ} أي: شاقة {إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب له فعلها، منشرحا صدره لترقبه للشواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعو إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه.

والخشوع هو: خضوع القلب وطمأنينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلاً وافتقاراً، وإيماناً به وبلقائه.

ولهذا قال: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ} أي: يستيقنون {أَنَّهُمْ مُّلاقُوا رَبِّهِمْ} فيجازيهم بأعمالهم {وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} فهذا الذي خفف عليهم العبادات وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونفس عنهم الكربات، وزجرهم عن فعل السيئات، فهو لاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات، وأما من لم يؤمن بلقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه<sup>(١)</sup>

عن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: عظمي وأوجز. فقال إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدا، واجمعا لإيأس مما في أيدي الناس<sup>(٢)</sup>

عن أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ إذا صلى أحدكم فليصل صلاة مودع صلاة من لا يظن أنه يرجع إليها أبدا<sup>(٣)</sup>.

يقول المناوي - رحمه الله - (إذا صلى أحدكم فليصل صلاة مودع) أي إذا شرع في الصلاة فليقبل على الله بشراشيده ويدع غيره لمناجاته ربه، ثم فسر صلاة المودع بقوله (صلاة من لا يظن أنه يرجع) أي يعود (إليها أبدا) أي دائما فإنه إذا استحضر ذلك كان باعثا على قطع العلائق والتلبس بالخشوع الذي هو روح الصلاة، ومن أيقن بقدومه على عظيم شديد الانتقام ذي القدرة

<sup>١</sup> - تفسير السعدي

<sup>٢</sup> - قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٦٨٧: أخرجه ابن ماجه (٢ / ٥٤٢) وأحمد (٥ / ٤١٢) وأبو نعيم في "الحلية" (١ / ٤٦٢) الحاكم (٤ / ٣٢٦ - ٣٢٧) وصححه ووافقه الذهبي.

<sup>٣</sup> قال الألباني (ضعيف جدا) انظر حديث رقم: ٥٧٠ في ضعيف الجامع.

والكمال فجدير بأن يلزم غاية الأدب ، والصلاة صلة العبد بربه فمن تحقق بالصلاة لمعت له طوابع التجلي فيخشع ويصلي صلاة مودع ، وقد شهد القرآن بفلاح الخاشعين ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢] أي خائفون من الله متذللون يلزمون أبصارهم مساجدهم .  
وعلاوة ذلك أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا ولا يجاوز بصره محل سجوده .  
وقد صلى بعضهم في جامع فسقطت ناحية منه فاجتمع الناس عليها ولم يشعر .  
فليقبل العبد على ربه ويستحضر بين يدي من هو واقف؟ وكان مكتوبا في محراب: أيها المصلي من أنت؟ ولمن أنت؟ وبين يدي من أنت؟ ومن تناجي؟  
ومن يسمع كلامك؟ (١)

### كيف يؤثر تذكر الموت والآخرة في خشوع الصلاة؟

- ١ . يقطع شواغل الدنيا : فإذا استحضر المصلي أن الدنيا زائلة، لم تستحوذ مشاغلها على قلبه وهو واقف بين يدي الله .
- ٢ . يعظم الوقوف بين يدي الله : يتذكر أنه سيقف يوم القيامة موقفاً أعظم، فيستحي أن يقف في الصلاة وقلبه غافل ولاه .
- ٣ . يحضره معاني الآيات والأذكار : فعندما يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يتذكر نعمة الله، وعندما يقول: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يتذكر يوم الحساب والوقوف بين يدي الله .
- ٤ . يجعل الصلاة كأنها صلاة مودع : فيحرص على إتمامها وإحسانها، ولا يستعجل في ركوعها أو سجودها .

١ - فيض القدير - (ج ١ / ص ٤٩٨).

٥. يخفف التعلق بالدنيا: فمن تذكر القبر والبعث والحساب، صغرت الدنيا في عينه، وعظمت الآخرة في قلبه .

٦. يبعث على التوبة والاستعداد: فإذا علم العبد أن الموت قد يأتيه في أي لحظة، حرص على أن يلقي الله بقلب سليم وعمل صالح .

📌 وخلاصة الأمر:

كلما قوي يقين العبد بالموت والآخرة، قويت صلته بالله، وحضر قلبه في الصلاة، وخشع جوارحه؛ لأنه يستشعر أنه ليس في الدنيا إلا عابر سبيل، وأن الصلاة من أعظم ما يتزود به للقاء الله تعالى.

**رابعاً: أكل الحلال؛ فإن ذلك يرقق القلب، ويجلب الخشية**

من أعظم أسباب صلاح القلب ورقته: تحرّي الحلال في المطعم والمشرب والملبس والكسب؛ فإن ما يدخل إلى جوف الإنسان له أثر في قلبه وسلوكه وعبادته، ومن طاب مطعمه كان أقرب إلى صفاء القلب وحضور النفس في الصلاة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون:

[٥١].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

📌 أولاً: الحلال يعين على صلاح القلب:

القلب موضع الإيمان والخشوع، ولذلك اعتنى الإسلام بطهارة المطعم والمشرب، ولم يجعل الحلال والحرام أمرًا متعلقًا بالمال فقط، بل له أثر في حياة الإنسان كلها.

فالمؤمن الذي يتحرى الحلال في كسبه وطعامه، ويتعدى عن الحرام والشبهات، يكون أحرص على طاعة الله وأقرب إلى صفاء القلب.

### ❦ ثانيًا: الحرام من أسباب حرمان إجابة الدعاء:

قال النبي ﷺ: « ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ »<sup>(١)</sup>.

فهذا الحديث يبين خطورة الحرام على علاقة العبد بربه، حتى إنه يكون سببًا في حرمان إجابة الدعاء، مع وجود أسباب ظاهرة للإجابة.

ومن هنا يُعلم أن المسلم ينبغي أن يطهر مطعمه ومشربه حتى يصفو قلبه وتصلح عبادته.

### ❦ ثالثًا: أكل الحلال يعين على الخشوع:

<sup>١</sup> - أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح ٧٠٣ / ٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (١٩)، الحديث (١٠١٥ / ٦٥). و (أشعث أغبر) أي من غير استِحْدَادٍ ولا تنظف.

إذا علم المسلم أن ما يأكله من كسب طيب حلال، اطمأن قلبه، ولم يحمل في نفسه إثم المال الحرام أو مظالم الناس.

أما من أكل الحرام أو تغذى بالمال الخبيث، فقد يقسو قلبه ويضعف إقباله على الطاعة.

ولذلك كان السلف شديدي التحري في المطاعم والمكاسب، لما يعلمون من أثر ذلك في صلاح القلب والعبادة.

**رابعاً: الورع في المطعم طريق إلى خشوع القلب:** ليس المقصود بالحلال مجرد اجتناب الخمر والخنزير ونحو ذلك من المحرمات الظاهرة، بل يدخل فيه تحري مصدر المال، والبعد عن الغش والخداع والظلم وأكل أموال الناس بالباطل.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

فمن راقب الله في كسبه وطعامه، أورثه ذلك مراقبةً لله في سائر أحواله، ومن ثمرات هذه المراقبة: خشوع القلب في الصلاة.

**خامساً: الحلال يعين على قبول العمل:**

ينبغي للمسلم أن يجمع بين صلاح العمل وصلاح المطعم؛ فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، قَالَ: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } [البقرة: ١٧٢] " قَالَ: " ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ " (١) .

فدل ذلك على الصلة بين طيب المطعم والعمل الصالح.

### الخلاصة:

إن تحري الحلال في المطعم والمشرب والكسب من أسباب صفاء القلب ورقته، ومن أسباب الإقبال على الطاعة والخشوع في الصلاة؛ لأن القلب إذا تطهر من الحرام، واستقام العبد في كسبه ومطعمه، كان ذلك أعون له على مراقبة الله وتعظيمه والوقوف بين يديه بقلب حاضر. فطيب مطعمك، يطب قلبك، وإذا طاب القلب رقق، وإذا رقق خشع، وإذا خشع ذاق حلاوة الوقوف بين يدي الله تعالى.

### خامسا: الاقتداء بالنبي ﷺ في الصلاة يورث الخشوع

<sup>١</sup> - أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح ٢/ ٧٠٣، كتاب الزكاة (١٢)، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (١٩)، الحديث (١٠١٥/ ٦٥). و (أشعث أغبر) أي من غير استحداد ولا تنظف.

من أعظم أسباب الخشوع في الصلاة: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته؛ فإن المسلم كلما حرص على معرفة هدي النبي ﷺ في صلاته، ثم طبقه بخشوع واستحضار، كانت صلاته أقرب إلى السنة، وأدعى لحضور القلب وتعظيم العبادة.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

❦ أولاً: الصلاة كما علّمها النبي ﷺ: عَنْ مَالِكِ بْنِ حُوَيْرِثٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ". (١)

فالنبي ﷺ لم يبين للمسلمين أوقات الصلاة وعدد ركعاتها فقط، بل بيّن لهم صفتها وأركانها وهيئاتها وأذكارها.

ومن أراد الخشوع فليتعلم كيف كان النبي ﷺ يصلي؛ لأن معرفة هديه تمنع العبد من العجلة والعبث والغفلة.

❦ ثانياً: النبي ﷺ كان يصلي صلاة مودّع:

<sup>١</sup> - صحيح. رواه البخاري (٦٣١) «تنبيه»: هذه القطعة من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه، تفرد البخاري بروايتها.

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَحْلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: عِظْنِي وَأَوْجِزْ. فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ وَلَا تَكَلِّمْ بِكَلَامٍ تَعْدِرُ مِنْهُ عَدًّا وَأَجْمِعِ الْإِيَّاسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ» (١).

ومعنى ذلك أن يستحضر المصلي أن هذه الصلاة قد تكون آخر صلاة له، فيجتهد في إحسانها، وإتمام أركانها، وحضور قلبه فيها. وهذا من أعظم المعاني التي تورث الخشوع.

### 📌 ثالثاً: الاقتداء به ﷺ في الطمأنينة

كان ﷺ يركع ويعتدل، ويسجد ويجلس بين السجدين في طمأنينة، ونهى عن العجلة في الصلاة.

وفي حديث المسيء صلاته قال له ﷺ: "ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً..." متفق عليه. (٢)

فالاقتراء بالنبي ﷺ في الطمأنينة يعين القلب على الاستقرار، بخلاف السرعة والنقر التي تشتت القلب وتضعف الخشوع.

### 📌 رابعاً: الاقتداء به ﷺ في تدبر القرآن:

١ - «مسند أحمد» (٣٨ / ٤٨٤ ط الرسالة): «إسناده ضعيف لضعف علي بن عاصم وجهالة عثمان بن جبير، ومع جهالته فقد اضطرب في إسناده. وأخرجه أبو الشيخ في "الأمثال" (٢٢٦)، وأبو نعيم في "الحلية" ١ / ٣٦٢»

٢ - أخرجه أحمد (١٨٩٩٧) وأخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٥٧) و (٧٩٣) و (٦٢٥٢)، وفي "القراءة خلف الإمام" (١١٣)، ومسلم (٣٩٧) (٤٥)، وأبو داود (٨٥٦)، والترمذي (٣٠٣)، والنسائي ٢ / ١٢٤، وأبو يعلى (٦٥٧٧)

كان النبي ﷺ إذا قرأ القرآن في صلاته قرأه بتدبر وتأمل، وكان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه.

قال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

فالمصلي إذا اقتدى به ﷺ في الترتيل والتدبر، لم تعد قراءته مجرد ألفاظ يرددها اللسان، وإنما تصبح معاني تعيش في القلب.

❧ خامسًا: الاقتداء بالنبي ﷺ في كثرة الدعاء:

الصلاة موطن دعاء ومناجاة، وقد كان ﷺ يكثر من الدعاء في صلاته، ولا سيما في السجود.

قال ﷺ: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء. «رواه مسلم».

فإذا استشعر المصلي أنه في سجوده أقرب ما يكون إلى ربه، وأكثر من الدعاء المشروع، أحس بعظمة هذه العبادة، ورق قلبه وخشع.

❧ سادسًا: معرفة هديه ﷺ تعظم الصلاة في القلب:

كلما عرف المسلم كيف كان النبي ﷺ يصلي، وكيف كان يقف بين يدي ربه، وكيف كان يطيل القيام والركوع والسجود، ازداد تعظيمًا للصلاة وحرصًا على أدائها على الوجه الذي يحبه الله تعالى.

وهنا تظهر الصلة بين اتباع السنة والخشوع؛ فالاتباع الصحيح لا يقتصر على صورة الصلاة، وإنما يشمل روحها من الطمأنينة والتعظيم وحضور القلب.

## خلاصة:

الاعتداء بالنبي ﷺ في الصلاة من أعظم أسباب الخشوع؛ لأن المصلي حين يتعلم صفة صلاة النبي ﷺ ويحرص على تطبيقها، يتعلم معه الطمأنينة، والتدبر، وتعظيم الوقوف بين يدي الله، وإحسان الركوع والسجود والدعاء. فصل كما علم النبي ﷺ، واستحضر كيف كان يصلي، وصل صلاة مودّع؛ فإن من عظم صلاته، وأحسن الاقتداء بنبيه ﷺ، كان ذلك أقرب إلى حضور قلبه وخشوعه بين يدي الله تعالى.

وقد كان النبي ﷺ إذا قام في الصلاة طأطأ رأسه، ورمى ببصره نحو الأرض موضع السجود، وكان في التشهد لا يجاوز بصره إشارته، هكذا ذكر عنه ﷺ -

## الفصل الثاني: الاستعداد للصلاة وتهئية القلب لها

إن الخشوع في الصلاة لا يبدأ عند تكبيرة الإحرام فحسب، وإنما تبدأ مقدماته قبل الوقوف بين يدي الله تعالى؛ فالقلب الذي دخل الصلاة بعد أن أُعدَّ لها، وهيئت أسبابه، وأبعدت عنه الشواغل والملهيات، أقرب إلى الحضور والخشوع من قلب دخلها على غفلة واضطراب.

والاستعداد للصلاة يشمل استعداد الظاهر والباطن؛ فإحسان الوضوء وإسباغه، والذهاب إلى الصلاة بسكينة وطمأنينة، وأداء السنن، والصلاة حال النشاط،

والبعد عن مشيرات النظر، واختيار الموضع الذي يعين على حضور القلب، كل ذلك من الوسائل التي تهيب النفس للوقوف بين يدي الله تعالى.

كما أن تهيئة القلب تقتضي أن يفرغ العبد نفسه من شواغل الدنيا ما استطاع، وأن يستحضر عظمة الموقف الذي هو مقبل عليه، وأن يدخل الصلاة وهو يعلم أنه يناجي ربه سبحانه، فيقبل عليها بقلب حاضر، ونفس مطمئنة، وهمّة متوجهة إلى الله تعالى.

ولذلك كان حسن الاستعداد للصلاة من الأسباب المعينة على الخشوع؛ إذ ليس المقصود أن يؤدي المسلم الصلاة أداءً مجرداً، وإنما أن يدخل فيها مقبلاً على الله تعالى، مستشعراً عظمة الوقوف بين يديه، مستعداً للذكر والمناجاة. وفي هذا الفصل نتناول جملة من الوسائل العملية التي تعين المسلم على الاستعداد للصلاة وتهيئة قلبه لها، حتى تكون الصلاة أرجى لحضور القلب، وأقرب إلى الخشوع، وأعظم أثراً في النفس والعمل.

### أولاً: إحسان وإسباغ الوضوء سبب من أسباب الخشوع

أخي المسلم: من أعظم ما يعين على الخشوع في الصلاة إحسان الوضوء وإسباغه؛ فالوضوء ليس مجرد غسل للأعضاء استعداداً للصلاة، وإنما هو عبادة تطهر الظاهر، وتوقظ القلب، وتهيب المسلم للوقوف بين يدي الله تعالى. وقد يكون لذلك تأثير في الخشوع وحضور القلب. جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى

بهم الصبح فقرأ الروم فيها فأوهم، فلما انصرف قال: «إنَّه يلبَّس علينا القرآن أن أقواماً منكم يصلُّون معنا لا يحسنون الوضوء؛ فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء» (١).

وقال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في موضع آخر: ((فدَلَّ هذا على أن إكمال الطهارة يُسهِّلُ القيام في العبادة، ويُعين على إتمامها، وإكمالها، والقيام بمشروعاتها)) (٢).

وقال السندي -رحمه الله تعالى- : عن الحديث المذكور: ((وفيه تأثير الصحبة، وأن الأكملين في أكمل الأحوال يظهر فيهم أدنى أثر، والله تعالى أعلم)) (٣) ..

ومما تقدم يتضح: أن النقص في الطهارة يؤثر على المُصَلِّي، ويتعدَّى تأثيره إلى الإمام إذا كان ذلك المُقَصِّر في الوضوء يصلِّي في جماعة، والله المستعان (٤). فدلَّ هذا على أن إكمال الطهارة يسهِّل القيام في العبادة، ويعين العبد على إتمامها وإكمالها والقيام بمشروعاتها [٥].

**أولاً: الوضوء يهيئ النفس للوقوف بين يدي الله:**

عندما يتوضأ المسلم للصلاة، فإنه يترك مشاغل الدنيا، ويتجه بقلبه إلى العبادة، فيكون الوضوء مرحلة انتقال من حال الدنيا إلى حال المناجاة.

<sup>١</sup> - أخرجه أحمد (٤٧٢/٣)، وابن قانع في المعجم (٣٤٦/١) و (١٣٢/٣).

<sup>٢</sup> - تفسير القرآن العظيم، ٧/ ٢٨٩ عند تفسير الآية ١٠٨ من سورة التوبة.

<sup>٣</sup> - حاشية السندي على سنن النسائي، ٢/ ١٥٧.

<sup>٤</sup> - الخشوع في الصلاة، لمحمد لطفي الصباغ، ص ٥٧.

<sup>٥</sup> - تفسير ابن كثير ٢/ ٣٩٠ عند تفسير الآية: ١٠٨ من سورة التوبة.

ولهذا ينبغي ألا يكون الوضوء أداءً سريعاً مجرداً من استحضار النية، بل يتوضأ المسلم وهو يستشعر أنه يستعد للصلاة والوقوف بين يدي ربه.

**❧ ثانياً: إسباغ الوضوء من أسباب تكفير الخطايا:**

قال النبي ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن - فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء... فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب» رواه مسلم. فاستحضار هذه المعاني أثناء الوضوء يجعل المسلم أكثر إقبالاً على العبادة، وأشد رغبة في أن يدخل الصلاة وقد طهر ظاهره وباطنه من آثار الذنوب.

**❧ ثالثاً: إحسان الوضوء من أسباب محبة الله:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وإذا استشعر العبد أنه يتطهر امتثالاً لأمر الله، وأن الله يحب المتطهرين، دخل الصلاة بقلب يرجو محبة الله ورضوانه، وهذا من أعظم ما يعين على الخشوع.

**❧ رابعاً: الوضوء يربي المسلم على إتقان العبادة:**

إحسان الوضوء يعني أن يعطي المسلم كل عضو حقه، من غير إسراف ولا تقصير، وأن يؤدي الوضوء بهدوء وسكينة.

وهذه الروح نفسها ينبغي أن تنتقل معه إلى الصلاة؛ فيحسن تكبيره وقراءته وركوعه وسجوده، ولا يعجل فيها.

فالذي يتعود الإحسان قبل الصلاة يكون أهياً للإحسان في الصلاة.

**❧ خامساً: الوضوء يذكر بنعمة الله:**

عندما يرى المسلم الماء يصل إلى أعضائه ويستعمله في طاعة الله، يتذكر نعمة الله عليه، فيحمده ويشكره.

وقد قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيُسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتُحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». رواه مسلم. (١)

فختم الوضوء بالذكر يربط الطهارة الجسدية بذكر الله، ويهيئ القلب للصلاة.

### سادساً: إحسان الوضوء علاج للعجلة والغفلة:

من أسباب ضعف الخشوع أن يدخل الإنسان الصلاة فجأة، وقلبه لا يزال متعلقاً بأمور الدنيا.

أما إذا تعمد أن يتوضأ بهدوء، مستحضراً أنه مقبل على الصلاة، فإن الوضوء يصبح تهيئةً قلبية وروحية قبل الصلاة، فيدخلها وقد أخذ نفسه من مشاغل الدنيا إلى مناجاة الله.

يُعتبر إحسان الوضوء وإسباغ العتبة الأولى والركيزة الأساسية لتهيئة القلب والجوارح لدخول الصلاة بحضورٍ وخشوع؛ فهو ليس مجرد طهارة مادية للجسد، بل هو علاجٌ رادع للعجلة وشفاءٌ نافع للغفلة.

### أولاً: إحسان الوضوء علاجٌ للعجلة:

١. التحول من "العادة" إلى "العبادة": العجلة تدفع العبد إلى إمرار الماء على

الأعضاء بسرعة آلية مجردة، أما إسباغ الوضوء فيفرض على المسلم

١ - «مسند أحمد» (٢٨/ ٦١٦ ط الرسالة) «وأخرجه مسلم (٢٣٤) (١٧)، وابن خزيمة (٢٢٢)»

التمهّل واستيفاء الغسل وإسباغ الماء على المكاره، مما يكسر حدة النزق والعجلة في النفس.

٢. التدريب العملي على السكينة :عندما يقف العبد ليغسل كل عضو بتأنّ (ثلاثاً ثلاثاً) ويكمل سنن الوضوء، فإنه يبدأ تدريجياً في إبطاء إيقاع الحركة السريعة للبدن والذهن، فتسكن جوارحه قبل الدخول في الصلاة.

٣. استشعار أهمية الاستعداد :العجلة تأتي من استصغار التهيؤ للموقف؛ فمن أتقن طهارته وأعطاهما حقها من الوقت والاهتمام، أدرك تلقائياً عظمة الموقف الذي هو قادم عليه، فلا يستعجل في صلاته.

**ثانياً: إحسان الوضوء علاجٌ للغفلة:**

١. إيقاظ الروح بحضور القلب :إحسان الوضوء يتطلب النية الحاضرة واستحضار نية امتثال أمر الله، فينتقل العبد من غفلة الذهن إلى التيقظ الإيماني.

٢. استحضار تساقط الذنوب مع القطرات :عندما يستحضر المتوضئ الحديث الشريف بأن الذنوب تخرج مع قطر الماء من جوارحه (من عينيه ويديه ورجليه)، يتحول الوضوء إلى عملية تطهير معنوي وتجديد إيماني يطرد الران والغفلة عن القلب.

٣. الارتباط التعبدي بأذكار الوضوء :بدء الوضوء بـ "التسمية" وختمه بالشهادة والدعاء): اللهم اجعلني من التوايين واجعلني من المتطهرين (يقطع

حبل الأفكار الدنيوية، ويجعل العبد متصل الصلة بالله قبل أن يكبر تكبيرة الإحرام.

### التاسع عشر: الصلاة حال نشاطه

اعلم زادك الله علما وفقها - : من أعظم ما يعين المسلم على الخشوع في الصلاة أن يؤديها حال نشاطه وقوة إقباله على العبادة، لا في حال الكسل أو النعاس أو انشغال القلب؛ لأن نشاط البدن يعين على حضور القلب، ويجعل المصلي أقدر على تدبر ما يقول ويفعل.

فالصلاة تحتاج إلى قلب حاضر، وعقل واعٍ، وبدن يستطيع أن يؤدي العبادة بسكينة وطمأنينة، ولذلك أرشد النبي ﷺ إلى مراعاة حال الإنسان من النشاط والفتور.

عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم؛ فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه)) (١)؛

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - يرفعه: ((إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول، فليضطجع)) (٢)

١ - متفق عليه: البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم، برقم ٢١٢، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، برقم ٧٨٦.

٢ - مسلم، الكتاب السابق، برقم ٧٨٧.

ومن هنا ينبغي للمسلم أن يختار للصلاة وقتاً يكون فيه أهدأ نفساً، وأنشط بدناً، وأبعد عن أسباب التشويش، وأن يجتهد في إزالة ما يمنع إقباله على ربه؛ فإذا دخل في الصلاة وهو مستجمع لقلبه، حاضر الذهن، قوي العزم، كان ذلك أدعى لأن يخشع قلبه وتسكن جوارحه.

### كيف يكون النشاط باعثاً على الخشوع؟

فالمصلي إذا اختار للصلاة وقت نشاطه وفراغ قلبه، وتهيأ لها بالطهارة والسكينة، وأقبل عليها بعيداً عن الملهيات، كان ذلك أدعى إلى:

- حضور القلب واستجماع الهمة .
- تدبر القرآن والأذكار .
- استشعار عظمة الوقوف بين يدي الله تعالى .
- فهم معاني الصلاة ومناجاته سبحانه .
- البعد عن السهو والشروء والغفلة .

ولهذا ينبغي للمؤمن ألا يستعجل الصلاة وهو في غاية التعب أو النعاس إذا أمكنه دفع ذلك، وأن يهيئ نفسه لها قبل الدخول فيها؛ حتى تكون صلاته صلاة قلب وجوارح، لا مجرد حركات يؤديها البدن.

### ثالثاً أداء السُّنن الرواتب

**اعلم - بارك الله فيك -** أن أداء الرواتب القبلية يوقظ القلب ويهيئه للخشوع، وأداء الرواتب البعدية يمكن المعاني الكريمة التي اكتسبها المصلي.

وثوابها عظيم جداً، وهو بيت في الجنة، عَنْ عُبَيْسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أُخْتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَاثْنَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْعَصْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ». (١)

### أثر السنن الرواتب على تحقيق الخشوع في الصلاة:

#### أولاً: التهيئة النفسية والقلبية (التسخين الإيماني)

- المشكلة: غالباً ما يدخل الإنسان الصلاة المكتوبة وقلبه ما زال متأثراً بشواغل الدنيا، من عمل أو حديث أو تفكير.
- الأثر: تأتي السنة القبلية (كسنة الفجر، أو الظهر) لتكون جسراً انتقالياً بين شواغل الدنيا وجلال الصلاة؛ فيدخل العبد فيها ليُهْدَى حركة عقله ونبض قلبه، فإذا جاءت الفريضة دخلها وهو في حالة استعداد تام وحضور ذهني.

#### ثانياً: حماية الفريضة ورقع النقص:

<sup>١</sup> - مسلم (٧٢٨) باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن، واللفظ له، أبو داود (١٢٥٠) باب تفريع أبواب التطوع وركعات السنة،

- جدار حماية: السنن الرواتب كالسور للحديقة؛ فمن حافظ عليها وسوس له الشيطان في النوافل ليتلفها، فيسلم له فرضه. أما من يفرط في النوافل، فيتطرق الوسواس والسهو إلى صلبه وفريضته مباشرة.
- جبر الخلل عن حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، قَالَ فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنْ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ » (١)
- واستحضار المصلي لهذا المعنى يجعله يحرص على إتقان النافلة والفريضة معاً.

### 📌ثالثاً: لاعتماد على طول القيام ولذة المناجاة:

- تأهيل الجوارح: أداء السنن يرفع من لياقة العبد الإيمانية والجسمية؛ فالذي يصلي ١٢ ركعة نافلة في اليوم مع الفريضة (١٧ ركعة) يعتاد جسده على طول القيام والسجود والركوع دون ملل أو استعجال.

<sup>١</sup> - أخرجه: الترمذي (٤١٣)، والنسائي ٢٣٢ / ١ وفي «الكبرى»، له (٣٢٥). قال الترمذي: «حديث حسن غريب».

- الذوق واللذة: النوافل تُصلّى بتطوع واختيار محض دون فرضية، فتُربي في العبد حب الصلاة لذاتها، واستشعار القرب من الله، مما ينعكس مباشرة على خشوعه في الفريضة.

#### رابعاً: زيادة محبة الله وقرب الملك سبحانه:

- أداء النوافل سبب لنيل محبة الله عز وجل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.»<sup>(١)</sup>
- وإذا أحب الله عبده وسدّد سمعه وبصره وقلبه، أورثه هيبه في الصلاة وحضوراً تاماً للقلب بين يديه.

#### • رابعاً: البعد عن مثيرات النظر سبب الخشوع

- واعلم -زادك الله علماً-: أن من بواعث الخشوع في الصلاة: البعد عن مثيرات النظر ومشتتات البصر؛ فإن القلب يتأثر بما تراه العين، والنظر قد

<sup>١</sup> - أخرجه البخاري (٢٣٨٤/٥، رقم ٦١٣٧). وأخرجه أيضاً: ابن حبان (٥٨/٢، رقم ٣٤٧)، والبيهقي (٢١٩/١٠، رقم ٢٠٧٦٩)، وأبو نعيم في الحلية (٤/١).

يجرُّ الفكر من حال إلى حال، فينشغل المصلي بما حوله عن مناجاة ربه سبحانه وتعالى.

- ولهذا كان من هدي النبي ﷺ أن يُقبل المصلي على صلاته، وألا يشتغل بما يحيط به من صور وزخارف وأمور تلفت الانتباه.
- عدم النظر إلى ما يُلهي ويُشغل؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى في خميصة لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: ((أذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم، واثنوني بأنجانية (١) أبي جهم؛ فإنها ألهمتني أنفًا عن صلاتي)) (٢).
- أنس - رضي الله عنه - قال: كان قرام (٣) لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال النبي ﷺ ((أميطي عنا قرامك؛ فإنه لا تزال تصاويره تعرض [لي] في صلاتي)) (٤).
- إن البعد عن مشيرات النظر ومشتتات البصر من الأسباب المعينة على الخشوع؛ لأن العين إذا انشغلت تبعها القلب، وإذا سكنت العين واجتمع الفكر كان القلب أقرب إلى الحضور والمناجاة.

١ - الخميصة: كساء له أعلام. شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٧/٥. وأنجانية: كساء غليظ لا علم له. شرح النووي، ٤٧/٥.

٢ - متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا صلى في ثوب له أعلام، ونظر إلى علمها، برقم ٣٧٣، ومسلم، كتاب المساجد، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام، برقم ٥٥٦.

٣ - القرام: ستر رقيق من صوف، ذو ألوان. فتح الباري، ١/٤٨٤.

٤ - البخاري، كتاب الصلاة، باب إن صلى في ثوب مُصلَّب أو تصاوير، هل تفسد صلاته وما ينهي عن ذلك، برقم ٣٧٤، ٥٩٥٩، وما بين المعقوفين من رواية في كتاب اللباس، باب كراهية الصلاة في التصاوير، برقم ٥٩٥٩.

- فليحرص المصلي على أن يختار موضعاً هادئاً، ويتجنب ما يلفت بصره، ولا يلتفت إلى ما حوله، وليستحضر أنه واقف بين يدي الله تعالى؛ فإذا صان بصره عن الشواغل، كان ذلك أعون له على صيانة قلبه عن الغفلة من أسباب الخشوع في الصلاة: ألا يدخل المسلم الصلاة وهو يدافع الأخبثين: البول والغائط؛ لأن حاجة البدن إذا اشتدت شغلت القلب، وصرفت الفكر عن تدبر القرآن والوقوف بين يدي الله تعالى.
- في الصلاة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا صلاة بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان)) (١).
- وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: ((مَنْ فَقِهَ الْمَرْءُ إِقْبَالَهُ عَلَى حَاجَتِهِ حَتَّى يُقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ وَقَلْبُهُ فَارِغٌ)) (٢).
- الصلاة ليست مجرد حركات تؤدي بالجوارح، وإنما هي عبادة تجمع بين قيام البدن وحضور القلب.
- ولهذا جاءت الشريعة بما يعين المسلم على الخشوع، فنهت عن الصلاة بحضرة الطعام لمن تتوق نفسه إليه، ونهت عن الصلاة مع مدافعة الأخبثين؛ لأن هذه الأمور تشغل القلب وتضعف إقباله على الله تعالى.

<sup>١</sup> -مسلم، كتاب المساجد، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة مع مدافعة الحدث، برقم ٥٦٠.

<sup>٢</sup> - البخاري، كتاب الأذان، باب: إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة، قبل الحديث رقم ٦٧١، وقال ابن حجر في فتح الباري: ((وصله

ابن المبارك في كتاب الزهد)) [رقم ١١٤٢]، وأخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب قدر الصلاة)).

- إذا دخل وقت الصلاة، وكان المسلم محتاجاً إلى قضاء حاجته، فالأولى أن يقضي حاجته أولاً، ثم يتوضأ ويقبل على الصلاة بقلب أكثر راحة وطمأنينة، ما لم يخش خروج وقت الصلاة.
- وهذا من كمال الاستعداد للوقوف بين يدي الله تعالى؛ إذ يفرغ المسلم نفسه من الحوائج التي تشغله، ثم يقف للصلاة وقلبه أكثر استعداداً للذكر والتدبر.

### خامساً: الصلاة إلى ستره والدنو منها

أخي القارئ المبارك: اعلم أن بواعث الخشوع في الصلاة الصلاة إلى ستره والدنو منها؛ فإن اتخاذ السترة يعين المصلي على جمع بصره وقلبه، ويحول بينه وبين كثير من أسباب التشويش والانشغال، ولا سيما إذا كان في مكان يكثر فيه مرور الناس، وقد أرشد النبي ﷺ إلى اتخاذ السترة، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُصَلِّ إِلَى سِتْرَةٍ، وَلْيَدْنُ مِنْهَا، وَلَا يَدْعَ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يَمُرُّ فَلْيُقَاتِلْهُ؛ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ" (١).

والدنو من السترة أقرب إلى تحقيق مقصودها؛ إذ يكون مجال نظر المصلي محدداً، ويقل ما يمر أمامه من المشاهد التي قد تصرف قلبه عن صلاته.

١ - أخرجه أحمد (٢/٤، رقم ١٦١٣٤)، وعبد بن حميد (ص ١٦٥، رقم ٤٤٧)، والشافعي في السنن (٢٤٢/١، رقم ١٨٤) وابن أبي شيبة (٢٤٩/١، رقم ٢٨٧٤)، وأبو داود (١٨٥/١، رقم ٦٩٥)، والنسائي (٦٢/٢، رقم ٧٤٨)، وابن خزيمة (١٠/٢، رقم ٨٠٣)، وابن حبان (١٣٦/٦، رقم ٢٣٧٣).

ومن آثار الصلاة إلى سترة والدنو منها:

- حصر النظر وتقليل الالتفات إلى ما حول المصلي .
- دفع أسباب التشويش التي قد تطرأ أثناء الصلاة .
- جمع القلب واستحضار المناجاة بين يدي الله تعالى .
- الاقتداء بهدي النبي ﷺ في صلاته .
- تعظيم شأن الصلاة والاستعداد لها بالسكينة والطمأنينة .

ولذلك فإن المصلي إذا صلى إلى سترة، ودنا منها، وأقبل بوجهه وقلبه على ربه، كان ذلك من الأسباب المعينة على حضور القلب وكمال الخشوع؛ إذ كلما قلّت الملهيّات حول المصلي، كان القلب أقرب إلى التدبر والمناجاة.

\*\*\*\*\*

### الفصل الثالث: بواعث الخشوع في أثناء الصلاة

إذا كان الاستعداد للصلاة وتهيئة القلب لها من أعظم أسباب الخشوع، فإن المحافظة على هذا الحضور واستدامته أثناء الصلاة تحتاج إلى وسائل تعين القلب على الثبات، وتدفع عنه الغفلة والشروء، وتربطه بمعاني الذكر والمناجاة.

فالمصلي قد يدخل صلاته بقلب حاضر، ثم تتسلل إليه الخواطر، وتتجاذبه مشاغل الدنيا، ويضعف استحضاره لعظمة من يقف بين يديه؛ ولذلك يحتاج إلى مجاهدة قلبه أثناء الصلاة، وتعاهده بما يعينه على الخشوع وحضور الذهن.

ومن بواعث الخشوع في أثناء الصلاة: التآني والسكون، واستحضار معاني الأذكار والآيات، والنظر في موضع السجود، والاقتداء بهدي النبي ﷺ في هيئة الصلاة، والاستعاذة بالله تعالى عند هجوم الوسوس، والتنويع في السور

والأذكار والأدعية؛ فهذه الأمور تعين المصلي على دفع السهو، وتجديد حضور القلب، واستشعار معاني العبادة.

والخشوع ليس مجرد سكون الجوارح، وإنما هو حضور القلب مع الله تعالى، وتعظيمه، واستشعار الوقوف بين يديه، ولذلك ينبغي للمصلي أن يجمع بين خشوع القلب وسكينة الجوارح، وأن يجعل كل ركن وقول في صلاته فرصة جديدة لاستحضار عظمة الله تعالى ومناجاته.

وفي هذا الفصل نتناول جملة من الوسائل التي تعين على حفظ الخشوع أثناء الصلاة وتقويته، حتى لا تكون الصلاة حركات متتابعة فحسب، بل عبادة حاضرة المعنى، حية الأثر، تزكو بها النفس ويصلح بها القلب والعمل.

### أولاً: الثاني في أداء الصلاة

اعلم -زاك الله علماً-: أن التائي في أداء الصلاة من أعظم الأسباب المعينة على الخشوع؛ لأن العجلة تذهب حضور القلب، وتمنع المصلي من تدبر ما يقول ويفعل، أما السكينة والطمأنينة فتجعلان القلب حاضراً مع الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[المؤمنون: ١-٢].

فالطمأنينة واجبة في جميع أركان الصلاة الفعلية وقد عرفها أهل العلم بأنها سكون الأعضاء واستقرارها فترة من الزمن، قال المرداوي في الإنصاف:

والطمأنينة في هذه الأفعال بلا نزاع، وحَدُّها حصولُ السكون وإن قل على الصحيح من المذهب، جزم به في النظم وقدمه في الفروع.

وقال أيضاً: وقيل بقدر الذكر الواجب، قال المجد في شرحه وتبعه في الحاوي الكبير وهو الأقوى وجزم به في المذهب، إلى أن قال: وقيل هي بقدر ظنه أن مأمومه أتى بما يلزمه. انتهى.

وقال النووي في المجموع: وتجب الطمأنينة في الركوع بلا خلاف لحديث المسيء صلاته وأقلها أن يمكث في هيئة الركوع حتى تستقر أعضاؤه وتنفصل حركة هويه عن ارتفاعه من الركوع. انتهى.

وهذا الوجوب للطمأنينة شامل لحال الجلوس بين السجدين عند جمهور أهل العلم، قال النووي في المجموع: فرع في مذاهب العلماء في الجلوس بين السجدين والطمأنينة فيه، مذهبنا أنهما واجبان لا تصح الصلاة إلا بهما، وبه قال جمهور العلماء.

وقال أبو حنيفة: لا تجب الطمأنينة ولا الجلوس بل يكفي أن يرفع رأسه عن الأرض أدنى رفع كحد السيف، وعنه وعن مالك أنهما قالاً: يجب أن يرتفع بحيث يكون إلى القعود أقرب منه وليس لهما دليل يصح التمسك به، ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم: ثم ارفع حتى تطمئن جالساً. رواه البخاري من رواية أبي هريرة ورواه أبو داود من حديث رفاعه بن رافع. انتهى.

كما تجب الطمأنينة بعد الرفع من الركوع، ففي مطالب أولي النهى للرحبياني الحنبلي: والسادس الاعتدال بعد الركوع الركن لقوله صلى الله عليه وسلم: ثم ارفع حتى تعتدل قائماً وأقله: أي الاعتدال عوده أي المصلي لهيئته المجزئة أي التي تجزئه من القيام قبل ركوع فلا يضره بقاؤه منحنيًا يسيراً حال اعتداله واطمئنانه لأن هذه الهيئة لا تخرجه عن كونه قائماً، وتقدم أن حدَّ القيام ما لم يصبر راکعاً، والكمال منه الاستقامة حتى يعود كل عضو إلى محله. انتهى

فالطمأنينة إذن واجبة في جميع أركان الصلاة الفعلية، وتعريفها عند أهل العلم سكون الأعضاء واستقرارها زمنًا ما، لكن التحرك الخفيف كتحرّيك الأصبع لا يؤثر في الطمأنينة وإن كان غير مشروع إضافة إلى كونه قد ينقص الخشوع لكونه عبثاً،

### 📌 أولاً: التّأني يعين على حضور القلب:

إذا أسرع الإنسان في صلاته انشغل بإتمام الحركات والانتقال من ركن إلى آخر، وربما صار لسانه يسبق قلبه، فلا يدري ماذا قرأ ولا ماذا قال.

أما إذا تأنّى، فإنه يمنح قلبه فرصة ليستشعر معاني الفاتحة والذكر والدعاء، فيتحول من مجرد ترديد الكلمات إلى تدبرٍ ومناجاة.

### 📌 ثانياً: الطمأنينة من هدي النبي ﷺ:

قال النبي ﷺ للرجل الذي لم يحسن صلاته: «ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا...» متفق عليه. (١)

فالنبي ﷺ لم يكتفِ بمجرد أداء الركوع والسجود، وإنما أمر بالطمأنينة فيهما؛ لأن الصلاة ليست حركات سريعة، وإنما عبادة تقوم على السكينة والخشوع.

ثالثاً: التأني يمنع العجلة التي تذهب الخشوع

قال تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

والقنوت يتضمن معنى الخشوع والسكون والطاعة. ولذلك ينبغي للمصلي أن يدخل الصلاة بقلب هادئ، وأن يؤدي أركانها في سكينة، فلا ينقر الركوع والسجود، ولا يسرع في الانتقالات.

رابعاً: التأني يساعد على تدبر القرآن:

عندما يقرأ المصلي الفاتحة وسائر القرآن بترسل وتدبر، يستشعر معاني ما يقول؛ فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ استحضر حمد الله وربوبيته، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ استحضر أنه يقف بين يدي الله معلناً عبوديته واستعانتة به.

وهذا المعنى لا يتحقق على وجهه مع العجلة والغفلة.

١ - أخرجه أحمد (٤٣٧/٢) والبخاري (١٩٢/١) ومسلم (١٠/٢) وأبو داود (٨٥٦) والترمذي (٣٠٣) والنسائي (١٢٤/٢)

وفى الكبرى (٨٦٨) وابن خزيمة (٤٦١ و ٥٩٠)

**خامساً: التأني يجعل الصلاة راحة للقلب** كان النبي ﷺ يقول لبلال رضي الله

عنه: «يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها». (١)

فالصلاة ليست عبثاً يريد المسلم التخلص منه بسرعة، وإنما هي موطن راحة القلب وطمأنينته؛ ولذلك كلما أحسن المصلي أدائها، وأعطاه وقتها، وجد فيها من السكينة والأنس بالله ما لا يجده في غيرها.

ومن وسائل التأني في الصلاة

استحضار عظمة من يقف المصلي بين يديه.

عدم العجلة في القراءة والأذكار.

إتمام الركوع والسجود والاعتدال والجلوس بين السجدين.

إعطاء كل ركن حقه من الطمأنينة.

تدبر معاني ما يقرأ ويقول.

استحضار أن هذه الصلاة قد تكون آخر صلاة في حياته.

## ثانياً: السكون في الصلاة

١ - أخرجه أحمد وأبو داود قال الألباني ( صحيح ) انظر حديث رقم : ٧٨٩٢ في صحيح الجامع . وصحيح ، المشكاة ( ١٢٥٣ )

من أعظم ما يعين على حضور القلب في الصلاة السكون والطمأنينة وترك  
العبث والحركات الزائدة؛ فإن القلب يتأثر بحال الجوارح، فإذا سكنت  
الجوارح واطمأنت، كان ذلك أدعى لسكون القلب وإقباله على الله تعالى.  
قال الله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

### مفهوم السكون والطمأنينة:

- التعريف: استقرار الأعضاء وسكون المفاصل في مكانها خلال الأركان الفعلية.
- مواضعه: يجب السكون في الركوع، والاعتدال بعد الركوع، والسجود، والجلوس بين السجدين.
- مقدار السكون: أن يسكن المصلي وقتاً يكفي للإتيان بالذكر الواجب (قدر تسبيحة واحدة مثل "سبحان ربي العظيم" أو "سبحان ربي الأعلى والقدوس يتضمن معاني الخضوع والسكوت والطاعة والقيام بين يدي الله تعالى).

وينبغي للإنسان أن يعود نفسه السكون في الصلاة؛ روى مسلم عن جابر بن سمرّة -رضي الله عنه- قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهُمَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمُسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ.»

قال النووي في شرح مسلم: قوله ﷺ (ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذنان خيل شمس؟) هو بإسكان الميم وضمها، وهي التي لا تستقر، بل تضطرب وتتحرك بأذنانها وأرجلها... وفيه الأمر بالسكون في الصلاة، والخشوع فيها، والإقبال عليها. اهـ

**وقال ابن تيمية - رحمه الله -** في مجموع الفتاوى: بل قوله "اسكنوا" يقتضي السكون في كل بعض من أبعاض الصلاة، وذلك يقتضي وجوب السكون في الركوع والسجود والاعتدالين. فبين هذا أن السكون مشروع في جميع أفعال الصلاة بحسب الإمكان. ولهذا يسكن فيها في الانتقالات التي متنهاها إلى الحركة؛ فإن السكون فيها يكون بحركة معتدلة لا سريعة، كما أمر ﷺ في المشي إليها. وهي حركة إليها فكيف بالحركة فيها؟! انتهى.

### **أولاً: السكون يعين على جمع القلب:**

المصلي إذا أكثر من الحركة والالتفات والعبث بثوبه أو لحيته أو يديه، تفرّق قلبه بتفرق حركاته، وأصبح جزء من انتباهه منصرفاً إلى ما يفعله بجوارحه. أما إذا سكنت جوارحه، استقر قلبه، وأصبح أقدر على تدبر ما يقرأ ويسمع من القرآن والأذكار.

ولهذا فإن سكون الجسد وسيلة إلى سكون القلب.

❦ **ثانيًا: الطمأنينة من هدي النبي ﷺ** قال النبي ﷺ للرجل الذي لم يحسن

صلاته: «ثم اركع حتى تطمئن راکعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا...» متفق عليه.

فتأمل تكرار قوله ﷺ: «حتى تطمئن»؛ فالطمأنينة ليست أمرًا زائدًا عن الصلاة، بل هي من هديها العظيم، وهي مما يعين على الخشوع وحضور القلب.

❦ **ثالثًا: السكون يتيح تدبر القرآن:** القراءة السريعة والحركات المتتابعة قد

تجعل المصلي لا يكاد يستوعب ما يقرأ، أما السكون والتمهل فيمنحانه فرصة للتدبر.

فإذا قرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

استشعر حمد الله وربوبيته، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

استحضر أنه يناجي ربه ويعلن عبوديته له.

وهذا هو المقصود من حضور القلب في الصلاة.

❦ **رابعًا: ترك العبث من كمال السكون:** من الأمور التي تنافي كمال الخشوع:

العبث بالثوب، أو الساعة، أو الهاتف، أو المكان، أو كثرة تحريك اليدين والعينين بلا حاجة.

قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي

صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١-٢].

فكلما قلَّت الحركات التي لا حاجة إليها، كان القلب أقرب إلى الخشوع.

### ❦ خامساً: السكون الظاهر يذكر بالسكون الباطن:

المصلي حين يقف ساكن الجوارح، يستحضر أنه واقف بين يدي ملك الملوك، فيسكن قلبه كذلك، ويستشعر عظمة المقام.

ومن هنا ينبغي للمسلم أن يدخل الصلاة وقد عزم على ترك كل ما يشغله عنها، وأن يعطي كل ركن حقه من السكينة والطمأنينة.

### خلاصة

السكون في الصلاة من أسباب حضور القلب والخشوع؛ لأن سكون الجوارح يقطع كثيراً من أسباب التشويش، ويهيئ القلب للتدبر والمناجاة، ويجعل المصلي يؤدي الصلاة على هدي النبي ﷺ في الطمأنينة.

فإذا سكنت الجوارح عن العبث، وسكنت النفس عن العجلة، وسكن القلب عن التعلق بالدنيا، اجتمع للمصلي ظاهر الخشوع وباطنه، وأصبح أقرب إلى استشعار عظمة الوقوف بين يدي الله تعالى.

### ❦ الفرق بين السكون والحركة المنهية:

❦ الحركة اليسيرة: مثل تحريك الإصبع للحاجة أو الحركة اللاإرادية البسيطة؛ لا تبطل الصلاة ولا تنافي الطمأنينة.

❦ الحركة الكثيرة والمتوالية: تخل بالسكون الواجب وتبطل الصلاة

إذا كنت ترغب، يمكنني توضيح:

• حكم من ترك الطمأنينة جاهلاً أو ناسياً

### ثالثاً: وضع اليمين على الشمال فوق الصدر:

ومن بواعث الخشوع امتثال الكيفية الواردة عن النبي ﷺ لأنه قال لنا  
أما وضع اليمين على الشمال لما في ذلك من الأدب مع الله - عز و علا - .  
وأما فوق الصدر فهو السنة ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ .  
قال ابن رجب الحنبلي : " سُئل الإمام أحمد عن المراد بذلك [ أي وضع  
اليمين على الشمال ] .  
فقال: " ذل بين يدي عزيز " .

### رابعاً: النظر إلى موضع السجود وإلى السبابة من بواعث الخشوع

من الأمور التي تعين المصلي على جمع قلبه في الصلاة تقليل أسباب تشتت  
النظر، فيجعل بصره حيث ينبغي أن يكون، ولا يطلق عينيه في أرجاء المكان؛  
لأن العين إذا تشتت تبعها القلب، وإذا استقرت أعان ذلك على حضور القلب  
والخشوع.

📌 **أولاً: النظر إلى موضع السجود:** كان من هدي كثير من أهل العلم أن يجعل  
المصلي نظره إلى موضع سجوده، ولا يلتفت ببصره إلى ما حوله؛ لأن ذلك  
أقرب إلى جمع القلب وأبعد عن الاشتغال بالمشاهد المحيطة به.

فإذا دخل المصلي في الصلاة، وجعل نظره منخفضًا، وأقبل بقلبه على صلاته، كان ذلك أعون له على استحضار أنه واقف بين يدي الله تعالى.

والخشوع ليس في العين وحدها، وإنما المقصود أن يكون النظر تابعًا للقلب؛ فلا ينظر المصلي إلى ما يشغله، ولا يتابع حركة الناس من حوله، ولا يلتفت إلى الزخارف والصور والنقوش.

**❦ ثانيًا: النظر إلى السبابة في التشهد:** وفي التشهد، إذا أشار المصلي بالسبابة، أو حرّكها على الصفة التي أخذ بها من أهل العلم، فإن استحضار معنى التوحيد والشهادة يعين على حضور القلب.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَعَدَ فِي التَّشَهُّدِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُمْنَى، وَعَقَدَ ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ»<sup>(١)</sup>.

عن وائل بن حُجْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لَأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ " فَقَامَ فَكَبَّرَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى حَازَتَا بِأُذُنَيْهِ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى. قَالَ: ثُمَّ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ، رَفَعَ يَدَيْهِ مِثْلَهَا: فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ مِثْلَهَا، ثُمَّ سَجَدَ فَجَعَلَ كَفَّيْهِ بِحِذَاءِ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ قَعَدَ فَافْتَرَشَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَوَضَعَ كَفَّهُ الْيُسْرَى عَلَى فِخْذِهِ وَرُكْبَتَيْهِ الْيُسْرَى، وَجَعَلَ

<sup>١</sup> - رواه مسلم (٥٨٠) (١١٥)، والرواية برقم (١١٦)

مَرْفَقَهُ الْأَيْمَنَ عَلَى فَخْذِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ قَبَضَ ثُنْتَيْنِ. فَحَلَّقَ حَلَقَةً، ثُمَّ رَفَعَ أَصْبَعَهُ  
فَرَأَيْتُهُ يُحَرِّكُهَا: يَدْعُو بِهَا "

قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي زَمَانٍ فِيهِ بَرْدٌ، فَرَأَيْتُ عَلَى النَّاسِ جُلَّ الشِّبَابِ  
يُحَرِّكُونَ أَيْدِيَهُمْ مِنْ تَحْتِ الشِّبَابِ. (١)

فإذا نظر المصلي إلى سبابته في موضع الإشارة، مستحضراً أنه يشهد بوحداية  
الله تعالى، فقد اجتمع له ذكر اللسان، وحركة الجارحة، واستحضار القلب  
لمعنى التوحيد.

### 📌 ثالثاً: غض البصر يعين على حضور القلب:

من أسباب الخشوع ألا يجعل المصلي عينيه تنتقلان بين جوانب المسجد، أو  
تتبعان الداخل والخارج، أو تلتفتان إلى الزينة والنقوش.  
فإن العين باب من أبواب القلب، وما أكثر ما يبدأ شرود القلب من شرود البصر.  
ولهذا كان من أسباب الخشوع: أن يحفظ المصلي بصره، ويصرفه عما لا يتعلق  
بالصلاة.

### 📌 رابعاً: عدم التكلف:

١ - وأخرجه الدارمي (١٣٥٧)، والبخاري في "رفع اليدين" (٣١)، وأبو داود (٧٢٧)، وابن الجارود (٢٠٨)، والنسائي في "المجتبى" ٢ / ١٢٦ - ١٢٧ و ٣ / ٣٧، وفي "الكبرى" (١١٩١)، وابن خزيمة (٤٨٠) و (٧١٤)، وابن حبان (١٨٦٠)، والطبراني ٢٢ / (٨٢)، والبيهقي ٢ / ٢٧ - ٢٨ و ٢٨ و ١٣٢

ينبغي ألا ينشغل المصلي بتتبع حركة عينيه أو إصبعه على حساب تدبر الصلاة؛ فالغاية هي حضور القلب، وليس مجرد هيئة ظاهرة.

فإذا كان النظر إلى موضع السجود يعين المصلي على الخشوع، فليحافظ عليه، وإذا بلغ التشهد وأشار بسبابته، فليستحضر مع الإشارة معنى التوحيد والدعاء.

### 📌 خلاصة:

النظر إلى موضع السجود في الصلاة، وصرف البصر عن الملهيات، والإشارة بالسبابة في التشهد مع استحضار معنى التوحيد، كلها أمور تعين على جمع القلب وحفظه من التشتت؛ فإن العين إذا هدأت، والجوارح إذا سكنت، كان القلب أقرب إلى الخشوع والمناجاة.

### خامساً: تحريك السبابة

من السنن التي وردت عن النبي ﷺ في التشهد الإشارة بالسبابة وتحريكها، وقد اختلف الفقهاء في صفة ذلك: هل تكون بالإشارة فقط، أم مع التحريك، وفي موضعه وكيفيته. والمقصود هنا بيان أثر هذه السنة في استحضار القلب والخشوع، لا الجزم بأن التحريك وحده يورث الخشوع لكل مصلٍّ.

📌 أولاً: تحريك السبابة من هدي النبي ﷺ -:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَعَدَ فِي التَّشَهُّدِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُمْنَى، وَعَقَدَ ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ».<sup>(١)</sup>

عن وائل بن حجر، قال: قُلْتُ لَأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ " فَقَامَ فَكَبَّرَ، رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى حَازَتْهُ بِأُذُنَيْهِ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى. قَالَ: ثُمَّ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ، رَفَعَ يَدَيْهِ مِثْلَهَا: فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ مِثْلَهَا، ثُمَّ سَجَدَ فَجَعَلَ كَفَّيْهِ بِحِذَاءِ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ قَعَدَ فَافْتَرَشَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَوَضَعَ كَفَّهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخْذِهِ وَرُكْبَتِهِ الْيُسْرَى، وَجَعَلَ مِرْفَقَهُ الْأَيْمَنَ عَلَى فَخْذِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ قَبَضَ ثُنْتَيْنِ. فَحَلَقَ حَلَقَةً، ثُمَّ رَفَعَ أَصْبُعَهُ فَرَأَيْتُهُ يُحَرِّكُهَا: يَدْعُو بِهَا "

قَالَ: ثُمَّ جَنُتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي زَمَانٍ فِيهِ بَرْدٌ، فَرَأَيْتُ عَلَى النَّاسِ جُلَّ الثِّيَابِ يُحَرِّكُونَ أَيْدِيَهُمْ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ.<sup>(٢)</sup>

وقد اختلف أهل الحديث والفقهاء في دلالة الرواية وصفة التحريك.

### ❦ ثانيًا: السبابة تذكر بالتوحيد:

<sup>١</sup> - رواه مسلم (٥٨٠) (١١٥)، والرواية برقم (١١٦)

<sup>٢</sup> - وأخرجه الدارمي (١٣٥٧)، والبخاري في "رفع اليدين" (٣١)، وأبو داود (٧٢٧)، وابن الجارود (٢٠٨)، والنسائي في "المجتبى" ٢ / ١٢٦ - ١٢٧ و ٣ / ٣٧، وفي "الكبرى" (١١٩١)، وابن خزيمة (٤٨٠) و (٧١٤)، وابن حبان (١٨٦٠)، والطبراني ٢٢ / (٨٢)، والبيهقي ٢٧ / ٢٨ و ٢٨ و ١٣٢

عندما يرفع المصلي سبأته في التشهد، فإنه يستحضر معنى التوحيد؛ فهو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ.

فالسبابة تشير إلى الواحد الأحد، وكأن حركة الجارحة توافق معنى الكلمات التي ينطق بها القلب واللسان.

وهذا من أعظم ما يعين على حضور القلب؛ لأن المسلم لا ينبغي أن يقول ألفاظ التشهد بلسانه وقلبه غافل عنها، بل يستشعر أنه يجدد إيمانه وتوحيده وهو بين يدي الله تعالى.

**ثالثاً: الجمع بين حركة الجوارح وحضور القلب:** الخشوع ليس ترك حركة الجسد مطلقاً، وإنما هو خضوع القلب لله تعالى مع سكون الجوارح عن العبث.

فإذا حرك المصلي السبابة وفق السنة، مستحضراً معاني التشهد والدعاء، أصبحت الحركة وسيلة لتذكير القلب بالعبودية والتوحيد، بدل أن تكون حركة عابرة لا معنى لها.

**رابعاً: الحذر من أن تتحول السنة إلى وسيلة للتشويش:**

ينبغي للمصلي ألا يجعل مسألة تحريك السبابة سبباً للانشغال عن الصلاة، أو مراقبة إصبعه، أو التفكير في كيفية الحركة أكثر من تفكره في معاني التشهد. فالغاية هي الخشوع واتباع السنة، وليس مجرد الحركة.

ولهذا فالمصلي إذا أشار بسبابته أو حركها على الصفة التي أخذ بها من أهل العلم، فليجعل قلبه حاضرًا مع قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله».

#### خامسًا: أثر ذلك في خشوع القلب:

إن تحريك السبابة أو الإشارة بها في التشهد إذا فعلهما المصلي على وجه الاتباع، مع استحضار معنى التوحيد والشهادة، كانا سببًا في استحضار القلب لمعاني الذكر، وربط حركة الجوارح بخضوع القلب، فيزداد المصلي حضورًا وخشوعًا. أما مجرد تحريك الإصبع مع غفلة القلب فلا يحقق المقصود من السنة.

#### سادسًا الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند هجوم وسواسه على القلب:

من أعظم ما يعين على تحصيل الخشوع في الصلاة: الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم؛ لأن الشيطان حريص على إفساد صلاة المسلم، وتشتيت قلبه، وإلقاء الوسوس في نفسه حتى يحرمه لذة المناجاة وحضور القلب بين يدي الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

**أولاً: الشيطان عدو للخشوع:** الشيطان لا يريد للمؤمن أن يطمئن في صلاته، ولذلك يسعى إلى تشتيت ذهنه، وتذكيره بأمور الدنيا، وإثارة الوسواس في قلبه.

وقد أخبر النبي ﷺ عن هذا التشويش عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّائِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النَّدَاءُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا تُوبَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّوْبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، وَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَضِلَّ الرَّجُلُ أَنْ يَدْرِيَ كَمْ صَلَّى "(١).

فإذا دخل المسلم في الصلاة، وجد الشيطان فرصة لإلقاء الخواطر والوسواس عليه.

**ثانياً: الاستعاذة إعلان للافتقار إلى الله:**

عندما يقول المصلي: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فهو يعلن أنه لا يستطيع دفع عدوه بنفسه، وإنما يلجأ إلى الله تعالى ويستجير به. وهذا المعنى نفسه يورث القلب تعلقاً بالله، ومن تعلق قلبه بالله كان أقرب إلى الخشوع.

**ثالثاً: الاستعاذة قبل القراءة تهيب القلب للتدبر:**

<sup>١</sup> - أخرجه البخاري (٦٠٨) ومسلم (٣٨٩) والنسائي (٦٧٠). وأخرجه مختصراً ابن ماجه (١٢١٦) و (١٢١٧) والترمذي (٣٩٧).

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿[النحل: ٩٨-٩٩].

فإذا استعاذ المصلي بالله قبل القراءة، استحضر أنه مقبل على كلام الله، وأنه يحتاج إلى حفظ الله من وساوس الشيطان؛ فيتهيأ قلبه للإنصات والتدبر.

#### رابعاً: ماذا يفعل المصلي إذا غلبته الوسوس؟

إذا وجد المصلي نفسه قد شغل بالوساوس، فلا يستسلم لها ولا يتبعها، بل يستعين بالله منها.

وقد أرشد النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه عندما شكاه إليه أن الشيطان يلبس عليه صلاته عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَالُ الشَّيْطَانِ بَيْنِي وَبَيْنَ قِرَاءَتِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ذَاكَ الشَّيْطَانُ يُقَالُ لَهُ خِنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ، وَاتَّقِلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا»<sup>(١)</sup>.

وهذا يدل على أن الاستعاذة علاج نبوي للوسوسة التي تعترض المصلي.

#### خامساً: الاستعاذة ليست مجرد كلمة:

حتى تؤثر الاستعاذة في القلب، ينبغي أن يقولها المصلي وهو مستحضر معناها؛ أي:

<sup>١</sup> - أخرجه مسلم (٢٢٠٣)، وأحمد (١٧٨٩٧).

يا رب، ألتجئ إليك من عدوٍّ يريد أن يقطعني عنك، ويشغل قلبي عن مناجاتك، فاحفظ قلبي وصلاتي.

فإذا صدق القلب في الالتجاء إلى الله، كان ذلك أدعى إلى طرد الوسوس واستعادة الخشوع.

### خلاصة:

الاستعاذة بالله من الشيطان من أسباب الخشوع؛ لأنها تحصن القلب من الوسوس، وتقطع استرسال الفكر في الخواطر، وتذكر العبد بأنه محتاج إلى حماية الله، فيعود قلبه إلى صلاته ومناجاته.

فإذا أحسست أن الشيطان قد اختطف قلبك من صلاتك، فلا تستسلم له، بل الجأ إلى ربك، واستعذ به، وأقبل على صلاتك؛ فإن القلب إذا احتوى بالله، انكسر سلطان الشيطان عليه.

وعن عبد الله بن عنمة قال: رأيت عمّار بن ياسر دخل المسجد فصلّى فأخفّ الصلاة.

قال: فلما خرج قمت إليه فقلت: يا أبا اليقظان لقد خففت.

قال: فهل رأيتني انتقصت من حدودها شيئاً؟ قلت: لا.

قال: فأوني بادرته بها سهوة الشيطان، سمعت رسول الله - ﷺ يقول: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا نِصْفُهَا» (١) ..

### سابعاً: التنوع في السور والآيات والأذكار والأدعية في الصلاة

اعلم - علمني الله وإياك - أن من بواعث الخشوع في الصلاة التنوع فيما يقرؤه المصلي من السور والآيات، وما يأتي به من الأذكار والأدعية المشروعة؛ فإن ملازمة صيغة واحدة في كل صلاة قد تؤدي مع مرور الوقت إلى اعتياد اللسان عليها، فيردها الإنسان دون أن يستحضر معانيها، أما التنوع الوارد في السنة فإنه يجدد نشاط القلب، ويوقظ الذهن، ويعين على التدبر وحضور القلب.

وقد كان النبي ﷺ ينوع في قراءته وأذكاره وأدعيته، فكان يقرأ من سور القرآن المختلفة، ويستفتح بأدعية متعددة، ويقول في الركوع والسجود أذكاراً متنوعة، وكل ذلك من هديه ﷺ.

والتنوع في العبادة لا يعني التكلف أو البحث عن الغريب، وإنما المقصود اتباع ما ثبت عن النبي ﷺ، بحيث يعمل المسلم بالسنة في صورها المتعددة، فيجمع بين فضيلة الاتباع وفضيلة حضور القلب.

<sup>١</sup> - أخرجه عبد ابن حميد ح ١٥٣ وأحمد ح ١٨١٣٦ وأبو داود ح ٦٧٥ البيهقي في الكبرى ح ٢١١ وأبو يعلى في مسنده ح ١٥٨٠ و

صححه الألباني في صفة صلاة النبي ص ١٥٣

ومن فوائد هذا التنويع:

- ١ . تجديد نشاط القلب وإبعاده عن الملل والعادة .
- ٢ . استحضار معاني القرآن والأذكار بدلاً من ترديدها باللسان فقط .
- ٣ . زيادة التدبر والتفكير في الآيات التي تتغير من صلاة إلى أخرى .
- ٤ . استشعار تنوع العبودية لله تعالى في الصلاة .
- ٥ . إحياء السنن المتنوعة التي وردت عن النبي ﷺ .
- ٦ . مقاومة السهو والغفلة؛ لأن القلب يكون أكثر انتباهاً لما يقرأ ويقول .



### ثامنا التغني بالقرآن وتحسين الصوت به

من بواعث الخشوع في الصلاة: التغني بالقرآن وتحسين الصوت به، فإن القرآن كلام الله تعالى، وكلما أحسن المسلم تلاوته، وأداه بصوت حسن، مع التدبر والتعظيم، كان ذلك أدعى لتأثر القلب وخشوعه.

حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: ((ما أذنَ اللهَ لشيءٍ ما أذنَ لنبيٍّ أن يتغنَّى<sup>(١)</sup> بالقرآن))<sup>(٢)</sup>، ولفظ مسلم: ((ما أذنَ اللهَ لشيءٍ ما أذنَ

<sup>١</sup> - ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب السواك، برقم ٢٩١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٥٣ / ١، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٢١٣.

<sup>٢</sup> - ما أذن الله: ما استمع الله لشيء ما استمع لنبي يتغنّى بالقرآن. [شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٢٥ / ٦، وجامع الأصول لابن الأثير، ٤٨٥ / ٢].

لنبيِّ حَسَنَ الصوت يتغنَّى بالقرآن<sup>(١)</sup>، وفي لفظ لمسلم: ((ما أذن الله لشيءٍ ما أذنَ لنبيِّ يتغنَّى بالقرآن يجهر به))<sup>(٢)</sup>

📖 حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -، عن ﷺ - أنه قال له: ((يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير<sup>(٣)</sup> آل داود))، وفي لفظٍ لمسلم: ((لو رأيته وأنا أستمع لقراءتك البارحة؟ لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود))<sup>(٤)</sup>.

📖 حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله - ﷺ: ((زيّنوا القرآن بأصواتكم))<sup>(٥)</sup>.

<sup>١</sup> - يتغنّى بالقرآن: يحسن صوته به، يجهر به. [شرح النووي، ٦/ ٣٢٦]. قال الحافظ ابن حجر في الفتح، ٧/ ٧١: ((والمعروف عند العرب: أن التغني الترجيع بالصوت)).

<sup>٢</sup> - متفق عليه: البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغنّ بالقرآن، برقم ٥٠٥٣، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم ٧٩٢.

<sup>٣</sup> - مزمار: قال النووي رحمه الله: ((المراد بالمزمار هنا: الصوت الحسن، وأصل الزمر الغناء، وآل داود: هو داود نفسه، وآل فلان قد يطلق على نفسه، وكان داود حسن الصوت جداً)). [شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٣٢٨].

<sup>٤</sup> - متفق عليه: البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، برقم ٥٠٤٨، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم ٧٩٣.

<sup>٥</sup> - أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، برقم ١٤٦٨، والنسائي، كتاب الصلاة، باب تزيين القرآن بالصوت، برقم ١٠١٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٤٠٤.

قال الإمام النووي رحمه الله: ((قال القاضي: أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة، وترتيلها، قال أبو عبيد: والأحاديث في ذلك محمولة على التحزين والتشويق)) (١) (٢).

📖 حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن)) (٣).

حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: **{وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ}** في العشاء، وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه، أو قراءةً))، وفي لفظ عن عديٍّ، قال: سمعت البراء يُحدِّث عن النبي ﷺ أنه كان في سفر فصلَّى العشاء الآخرة فقرأ في إحدى الركعتين: **{وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ}** ((سورة التين، الآية: ١). (٤).

١ - قال: ((... واختلفوا في القراءة بالألحان: فكرهها مالك والجمهور؛ لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع، والتفهيم، وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف؛ للأحاديث؛ ولأن ذلك سبب للرقّة وإثارة الخشية، وإقبال النفوس على استماعه، قلت [القائل النووي] قال الشافعي في موضع: أكره القراءة بالألحان، وقال في موضع: لا أكرهها، قال أصحابنا: ليس له فيها خلاف وإنما هو اختلاف حالين: فحيث كرهها: أراد إذا مطّط وأخرج الكلام عن موضعه، أو مدّ غير ممدود، وإدغام ما لا يجوز إدغامه، ونحو ذلك، وحيث أباحها: إذا لم يكن فيها تغيير لموضوع الكلام، والله أعلم)). [شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٣٢٨] وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٧/ ٧٢.

٢ - شرح النووي، ٦/ ٣٢٨.

٣ - أبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، برقم ١٤٦٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٤٠٤.

٤ - متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الجهر في العشاء، برقم ٧٦٧، وفي باب القراءة في العشاء، برقم ٧٦٩، وفي كتاب التفسير، باب حدثنا حجاج، برقم ٤٩٥٢، وفي كتاب التوحيد، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، وزينوا لقرآن بأصواتكم))، برقم ٧٥٤٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء برقم ٤٦٤.

﴿الخشوع هو المقصود، وحسن الصوت وسيلة: ليس المقصود من تحسين

الصوت أن يعجب الإنسان بصوته أو يطلب إعجاب الناس، وإنما المقصود أن يكون حسن الصوت وسيلة إلى تعظيم القرآن والتأثر به.

فإذا كان القارئ حسن الصوت، حاضر القلب، متدبراً للآيات، خاشعاً لله تعالى، انتقل أثر القرآن من لسانه إلى قلبه، ثم ظهر أثر ذلك على جوارحه.

أما إذا انشغل القارئ بجمال صوته، أو راقب إعجاب الناس به، فقد يتحول الأمر من عبادة إلى باب من أبواب الرياء، والعياذ بالله.

﴿الصوت الحسن مع التدبر يفتح باب التأثر:

قد يمر القارئ على آية الوعد فيستبشر، وعلى آية الوعيد فيخاف، وعلى آية الرحمة فيرجو، وعلى آية العذاب فيتعوذ، وعلى آية التوحيد فيزداد تعظيماً لله تعالى.

وهذا هو المقصود الأعظم من تلاوة القرآن في الصلاة: أن يتواطأ اللسان والقلب؛ فيقرأ اللسان كلام الله، ويستمع القلب إليه، ويتفكر في معانيه، فتخشع الجوارح تبعاً لذلك.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

**خلاصة:** إن تحسين الصوت بالقرآن والتغني به إذا اقترن بصحة التلاوة والتدبر وتعظيم كلام الله تعالى كان من أسباب حضور القلب والخشوع في الصلاة؛ لأن الصوت الحسن يعين على التأثر، والتأثر يوقظ القلب، والقلب إذا استحضر عظمة المتكلم سبحانه وتعالى خشعت الجوارح.

### الباب الرابع: الخشوع في أركان الصلاة وأقوالها

إن الصلاة ليست حركاتٍ تؤدَّى، وأقوالاً تُردَّد، وإنما هي عبادة عظيمة تجمع بين عمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح، وكلما اجتمعت هذه الأعمال على وجهها الصحيح، كان العبد أقرب إلى حقيقة الخشوع وحضور القلب.

والمصلي قد يقف بين يدي ربه بجسده، بينما يكون قلبه في وادٍ آخر، تجره الخواطر، وتشغله الهموم، وتستولي عليه مشاغل الدنيا؛ ولذلك كان من أعظم أبواب الخشوع أن يتعلم المسلم كيف يحضر قلبه مع كل قول وفعل من أقوال الصلاة وأفعالها.

فإذا قال :الله أكبر استشعر عظمة من يقف بين يديه، واستصغر ما سواه، وإذا قرأ الفاتحة تدبر معانيها، واستشعر أنه يناجي ربه، وإذا ركع عظم الله تعالى، وإذا سجد استشعر غاية القرب والافتقار والذل لله، وإذا دعا سأل ربه بقلب حاضر، وإذا تشهد استحضر معاني التحيات والشهادتين والصلاة على رسول الله ﷺ. ومن هنا فإن الخشوع ليس حالةً واحدة تبدأ عند تكبيرة الإحرام وتنتهي بالتسليم، وإنما هو رفيق الصلاة من أولها إلى آخرها، يتجدد بتجدد أقوالها وأركانها، ويقوى كلما فقه المصلي ما يقول ويفعل، واستحضر عظمة من يقف بين يديه.

وقد كان من هدي النبي ﷺ أن يصلي صلاةً يطمئن فيها البدن، ويحضر فيها القلب، ويعطي كل ركن حقه من الذكر والطمأنينة؛ فكان الركوع والسجود والقيام والقعود أبواباً متعددةً لتعظيم الله ومناجاته.

وإذا كان الخشوع ثمرةً لحضور القلب، فإن فهم معاني الصلاة واستشعار مقاصدها من أعظم أسباب تحصيله؛ إذ كيف يخشع قلبٌ في كلام لا يفهم معناه، أو في عمل لا يستحضر حكمته ومقصده؟

ولذلك نتناول في هذا الفصل مظاهر الخشوع في أركان الصلاة وأقوالها، لنقف مع المصلي عند كل ركن وقول، ونبين كيف يمكنه أن يستحضر قلبه فيه، حتى

تتحول الصلاة من حركاتٍ متتابعةٍ إلى مناجاةٍ حية، وعبادةٍ تفيض على القلب سكينَةً وخشيةً ومحبةً وتعظيمًا لله تعالى.

### الخشوع عند سماع الأذان:

الأذان نداءٌ عظيم يرفع في أرجاء المساجد، معلناً دخول وقت الصلاة، وداعياً عباد الله إلى الوقوف بين يدي ربهم، فهو ليس مجرد ألفاظٍ تُسمع، وإنما هو نداءٌ إلى التوحيد والفلاح والنجاة؛ ولذلك كان حرياً بالمسلم أن يستقبل الأذان بقلب حاضر، ونفسٍ مقبلة على الله تعالى.

فإذا سمع المسلم المؤذن يقول: {الله أكبر، الله أكبر} استشعر عظمة الله تعالى وكبريائه، وأنه سبحانه أكبر من كل ما يشغل القلب من هموم الدنيا وأعمالها ومشاغليها، فإذا قال المؤذن: {أشهد أن لا إله إلا الله} جدّد في قلبه معنى التوحيد والإخلاص، واستشعر أنه مقبل على عبادة لا تصح إلا لله تعالى. وإذا سمع: {أشهد أن محمداً رسول الله} استحضّر نعمة الله عليه بإرسال نبيه ﷺ، وأنه إنما عرف طريق الصلاة والعبادة من خلال هديه وسنته، فامتلاً قلبه محبةً له واتباعاً لسنته.

وإذا بلغ المؤذن: {حي على الصلاة، حي على الفلاح} استشعر أن هذا نداءً من الله إلى الفلاح، وأن الصلاة ليست عبثاً يقطعه عن شؤون الحياة، وإنما هي باب الفلاح والراحة والسكينة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي

صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ.﴿

ومن تمام الخشوع عند سماع الأذان أن يجيب المسلم المؤذن بمثل ما يقول،

فإذا قال: {حي على الصلاة، حي على الفلاح}

{قال لا حول ولا قوة إلا بالله} مستعيناً بالله تعالى على طاعته، معترفاً بأن العبد لا يستطيع القيام بحق العبادة إلا بعون الله وتوفيقه. ثم يصلي على النبي ﷺ، ويسأل الله له الوسيلة والفضيلة، ويدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة؛ مستشعراً أنه قد انتقل من سماع النداء إلى الاستعداد للمناجاة.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله - {فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة هذا باللفظ يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء. ولذلك قال ﷺ "أرحنا يا بلال (١)"

أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كان قرّة عينه فيها ﷺ. (٢)

**الخشوع عند الطهارة:** الوضوء ليس مجرد غسل للأعضاء وإيصال الماء إلى البدن، وإنما هو عبادة عظيمة، وتهئية للعبد للوقوف بين يدي الله تعالى؛ ولذلك فإن استحضر القلب عند الوضوء من الأمور التي تعين المسلم على الانتقال من مشاغل الدنيا إلى أجواء العبادة والصلاة. فإذا أقبل المسلم على الوضوء، فليستحضر أنه يستجيب لأمر الله تعالى، وأنه يستعد لعبادة عظيمة سيقف فيها بين يدي ربه، وليعلم أن الطهارة الظاهرة ينبغي أن يصاحبها طهارة القلب من الغفلة والذنوب والأخلاق السيئة.

١ - أخرجه احمد و أبو داود قال الألباني ( صحيح ) انظر حديث رقم : ٧٨٩٢ في صحيح الجامع . وصحيح ، المشكاة ( ١٢٥٣ )

٢ - «إحياء علوم الدين» (١/ ١٦٥):

وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]

فإذا غسل وجهه، استشعر أنه يستعد للقاء ربه، وإذا غسل يديه، تذكر أن هذه الجوارح ينبغي أن تُصان عن الحرام، وإذا مسح رأسه، عزم على أن يصرف فكره عن كل ما يشغله عن الله، وإذا غسل رجليه، استحضر أن خطواته ينبغي أن تكون إلى الطاعة والخير.

ولا ينبغي أن يتحول الوضوء إلى عادة يؤديها المسلم بسرعة وغفلة، بل يستحب له أن يؤديه بسكينة وتدبر، مستشعراً نعمة الماء، ونعمة الطهارة، ونعمة التوفيق إلى الصلاة.

وقد ثبت عن النبي ﷺ عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال "إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ (أَوِ الْمُؤْمِنُ) فَعَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ) فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ) فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَّتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ) حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًا مِنَ الذُّنُوبِ". (١).

وهذا المعنى يبعث في النفس الأمل والرغبة في الإقبال على الله، ويجعل الوضوء مرحلة من مراحل التهيؤ للصلاة، لا مجرد إجراء سابق لها. ومن أعظم ما يعين على الخشوع أن يدخل المسلم إلى الصلاة وقد فرغ قلبه من شواغل الدنيا بقدر استطاعته، وقد غسل أعضائه بالماء، واستعد للوقوف بين

<sup>١</sup> - "الموطأ" ٣٢ / ١، وأخرجه مسلم (٢٤٤)، وهو في "المسند" (٨٢٠)، و"صحيح ابن حبان" (١٠٤٠).

يُدي الله تعالى؛ فيكون الوضوء بذلك جسراً ينتقل عليه العبد من حال الغفلة إلى حال الذكر، ومن الانشغال بالدنيا إلى الإقبال على الآخرة. ولهذا كان من الجميل أن يستشعر المسلم عند الفراغ من الوضوء أنه قد تهيأ للقاء ربه في الصلاة، فيدعو بالدعاء الوارد: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، وفي صحيح مسلم: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين.»

فإذا دخل الصلاة بعد وضوءٍ أدّى بقلب حاضر، كان ذلك أدعى لأن يدخلها بقلب حاضر أيضاً؛ إذ إن خشوع الصلاة له مقدمات، ومن أعظم مقدماته حسن الاستعداد لها.

**يقول الإمام الغزالي - رحمه الله -:** وأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب، ثم في بشرتك وهي قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك. (١)

### الخشوع عند ستر العورة:

من آداب الاستعداد للصلاة أن يتهيأ المسلم لها بستر عورته، امتثالاً لأمر الله تعالى، واستشعاراً لحرمة الوقوف بين يديه سبحانه؛ فالمصلي حين يستر بدنه ينبغي أن يستر معه قلبه عن كل ما لا يليق بمقام المناجاة.

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

فستر العورة ليس مجرد إجراء ظاهري قبل الصلاة، وإنما هو من تعظيم شعائر الله والاستعداد للوقوف بين يديه؛ ولذلك ينبغي للمسلم أن يختار للصلاة ثوبًا ساترًا طاهرًا حسن الهيئة، من غير إسراف ولا تكلف، مستحضرًا أنه مقبل على عبادة عظيمة.

وإذا لبس ثوبه للصلاة، فليستحضر أن الله تعالى قد أمره بستر عورته، وأنه سبحانه مطلع عليه في جميع أحواله، وأن مقام الصلاة مقام أدب وتعظيم. وليتذكر أن ستر البدن ينبغي أن يصاحبه ستر القلب عن الرياء والعجب والغفلة، فإن المقصود من الصلاة أن يجتمع فيها حسن الظاهر مع صلاح الباطن. ومن تمام الخشوع ألا يقف العبد بين يدي ربه بثوب يشغله أو يلفت نظره، أو بثوب لا يستر عورته سترًا صحيحًا، بل يحرص على ما يعينه على السكون وحضور القلب، فإن المصلي إذا اطمأن إلى لباسه، وأمن انكشاف عورته، تفرغ قلبه للعبادة.

كما ينبغي للمسلم أن يستشعر نعمة الله عليه في اللباس والستر؛ فالله تعالى هو الذي أنعم على عباده باللباس الذي يوارى سواتهم ويكون زينة لهم، قال سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٣٦].

فإذا اجتمع للمصلي ستر البدن، وطهارة الثوب، وحسن الهيئة، واستحضار عظمة الله تعالى، كان ذلك أدعى لتهيئة النفس للصلاة والدخول فيها بقلب حاضر.

ومن هنا فإن الخشوع لا يبدأ عند تكبيرة الإحرام فحسب، وإنما له مقدمات تسبقه؛ فالعبد يتوضأ، ويستر عورته، ويتهيأ للصلاة، ويقطع شواغله، ثم يقف بين يدي ربه وقلبه مستعد للمناجاة. وكلما أحسن المسلم هذه المقدمات، كان أرحى لحصول الخشوع وحضور القلب.

**يقول الإمام الغزالي - رحمه الله -** وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل؟ فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه سائر. وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانهما فتدل بها بنفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف.<sup>(١)</sup>

### **الخشوع عند استقبال القبلة:**

من أعظم مقدمات الخشوع في الصلاة أن يستقبل المسلم القبلة بجسده وقلبه؛ فإن استقبال القبلة ليس مجرد اتجاه للبدن نحو الكعبة المشرفة، وإنما هو امتثال لأمر الله تعالى، وشعاراً لوحدة المسلمين في عبادتهم، ومظهر من مظاهر تعظيم شعائر الله.

<sup>١</sup> - «إحياء علوم الدين» (١/ ١٦٥)

قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فإذا وقف المسلم مستقبلاً القبلة، فليستحضر أنه يستجيب لأمر ربه، وأنه يقف في موضع اختاره الله لعبادته، وأن ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يتوجهون إلى هذه القبلة في صلاتهم، فيجتمعون على عبادة رب واحد، ودين واحد، وقبلة واحدة. وينبغي للمصلي ألا يجعل استقبال القبلة مجرد حركة اعتادها، بل يستحضر معناها؛ فيقبل بوجهه إلى القبلة، ويُقبل بقلبه على الله تعالى، فإن المقصود الأعظم من الصلاة حضور القلب مع الله، وليس مجرد توجه البدن. ومن هنا كان من المناسب أن يقول المسلم لنفسه عند وقوفه مستقبل القبلة: لقد تركت خلفي مشاغل الدنيا، وتوجهت إلى بيت الله الحرام، وسأقف بعد لحظات بين يدي رب العالمين؛ فليكن قلبي حاضراً، وليكن قصدي خالصاً، وليكن هذا الوقوف بدايةً لمناجاة صادقة.

كما ينبغي أن يختار المصلي موضعاً يعينه على الخشوع، فيبتعد عن كل ما يشتت نظره أو يشغل فكره، ويقف بسكينة ووقار، مستعداً لتكبيرة الإحرام. وهكذا يجتمع في استقبال القبلة خشوع الجوارح وخشوع القلب؛ فتتوجه الجوارح إلى القبلة، ويتوجه القلب إلى الله تعالى، وتتهيا النفس للدخول في الصلاة بقلب ساكن، ونفس مطمئنة، وإقبال صادق على رب العالمين.

فإذا استقبل المسلم القبلة بقلبه قبل بدنه، واستحضر أنه مقبل على أعظم عبادة، كان ذلك من أقوى المقدمات التي تعينه على الخشوع منذ اللحظة الأولى للصلاة.

**يقول الإمام الغزالي - رحمه الله -** وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله عز وجل ليس مطلوباً منك هيئات فلا مطلوب سواه. وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة حتى لا تبيغ على القلب فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفتاتها إلى جهاتها استتبت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك.

**فأعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال ﷺ " إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه " (١)**

**الخشوع عند الاعتدال قائماً:** وأما الاعتدال قائماً فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل، فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً مطأطئاً متنكساً، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرء عن التروؤس والتكبر، وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال. واعلم في

<sup>١</sup> - حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده

الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كائلة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخضع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع، وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده أو تخشين الناس ولا تخشيه وهو أحق أن يخشى؟

ولذلك لما قال أبو هريرة " كيف الحياء من الله فقال ﷺ تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك " وروي " من أهلك " (١)(٢)

**الخشوع عند النية:** النية هي أول أعمال القلب في الصلاة، وهي الركن الذي لا تصح الصلاة إلا به عند جمهور أهل العلم. والنية محلها القلب، فلا يُشترط التلفظ بها، بل يكفي استحضارها في القلب عند تكبيرة الإحرام أو قبلها. والخشوع عند النية هو أن يستحضر المصلي في قلبه أنه واقف بين يدي الله عز وجل، قاصداً أداء هذه الصلاة المعينة لله وحده، مخلصاً له الدين، مستحضراً عظمته وجلاله، ومراقبته، وأنه سيحاسبه على هذه الصلاة.

١ - أحمد في الزهد (ص ٤٦)، (٧٧٣٨ هـ)، انظر صحيح الجامع: ٢٥٤١، الصحيح: ٧٤١.

٢ - «إحياء علوم الدين» (١/ ١٦٦)

وقد نبّه العلماء على أن الخشوع الحقيقي يبدأ من هذه اللحظة؛ لأن من دخل في الصلاة وقلبه غافل عن نيته، مشتت الفكر، لم يستحضر الوقوف بين يدي ربه، فقد فاتته روح الصلاة من أولها.

### 📌 كيف يتحقق الخشوع عند النية؟

#### ١. الاستعداد القلبي قبل الدخول في الصلاة

يستحب أن يفرغ المصلي قلبه من الشواغل الدنيوية قبل الوضوء أو بعده بقليل، فيتذكر أنه مقبل على مناجاة ربه، وأن هذه الصلاة قد تكون آخر صلاة يصليها.

#### ٢. استحضر عظمة من ينوي الصلاة له

يستحضر أن الله يراه ويسمعه، وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، فيشعر بالهيبة والذل والانكسار.

#### ٣. تجديد الإخلاص

ينوي بقلبه أن هذه الصلاة خالصة لوجه الله، لا رياء فيها ولا سمعة ولا طلباً لثناء الناس.

#### ٤. تعيين الصلاة

يستحضر في قلبه أنها صلاة الظهر أو العصر أو غيرها، أداءً أو قضاءً، فرضاً أو نفلاً، حتى تكون النية واضحة محددة.

#### ٥. الجمع بين النية والخشوع في لحظة واحدة

عند قوله «الله أكبر» يستحضر النية ويحضر قلبه معاً، فلا يكون التكبير مجرد حركة لسان، بل يكون خروجاً من الدنيا ودخولاً في حضرة الله.

وقد كان السلف رحمهم الله يحرصون على هذا غاية الحرص. فمنهم من كان يقف قبل تكبيرة الإحرام دقائق يستجمع قلبه، ومنهم من كان إذا نوى الصلاة اضطرب قلبه من هيبة الوقوف بين يدي الله.

**تنبيه مهم:** لا ينبغي للمصلي أن يوسوس في النية ويكررها بلسانه أو يبالغ في التفكير فيها حتى يفوته الخشوع كله. فالنية أمر سهل يسير، يكفي فيها مجرد القصد القلبى، وما زاد على ذلك فهو من وسوسة الشيطان التي تصرف عن الخشوع الحقيقي.

وبالجملة: الخشوع عند النية هو أن يدخل المصلي في صلاته بقلب حاضر، ونية خالصة، واستشعار أنه واقف بين يدي ربه، فهذا هو أول مفتاح من مفاتيح الخشوع في الصلاة كلها.

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله -: وأما النية فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للمنة منه بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك، وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي؟ وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف. (١)

**الخشوع عند تكبيرة الإحرام:**

<sup>١</sup> - «إحياء علوم الدين» (١/ ١٦٦)

تكبيرة الإحرام هي أول أركان الصلاة القولية، وبها يدخل المسلم في الصلاة، ويتنقل من أحوال الدنيا ومشاغليها إلى مقام المناجاة والوقوف بين يدي الله تعالى؛ ولذلك ينبغي أن تكون هذه التكبيرة بداية حقيقية لحضور القلب والخشوع.

فإذا وقف المسلم مستقبل القبلة، وقد فرغ من وضوئه، وتهيأ للصلاة، فليستحضر عند رفع يديه وقوله: «الله أكبر» أن الله تعالى أكبر من كل شيء، وأكبر من كل ما يشغل قلبه، وأكبر من همومه وأحزانه وأعماله ومطامعه. فإذا قال: «الله أكبر» فليكن معناها حاضرًا في قلبه، كأنه يقول: يا رب، أنت أكبر من الدنيا وما فيها، وأكبر من كل ما يشغلني عنك؛ ولذلك تركتُ ما سواك وأقبلت عليك.

وهنا تظهر حقيقة عظيمة من حقائق الخشوع؛ فإن اللسان قد ينطق بالتكبير، بينما يبقى القلب متعلقًا بأمرٍ من أمور الدنيا، وقد تتحرك الجوارح إلى الصلاة، ويبقى القلب بعيدًا عنها. والمطلوب أن يوافق القلبُ اللسانَ، وأن يكون التكبير إعلانًا صادقًا عن تعظيم الله تعالى وإجلاله.

قال الله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدر: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومن معاني تكبيرة الإحرام أن العبد يعلن بها خروجه من عالم الانشغال إلى عالم المناجاة؛ فيضع وراء ظهره مشاغل الدنيا بقدر استطاعته، ويجمع قلبه على الصلاة، ويستحضر أنه بعد هذه التكبيرة قد دخل في عبادة عظيمة لا ينبغي أن يعثر فيها ولا يلتفت بقلبه أو بدنه إلى ما يشغله عن ربه.

ومن أعظم ما يعين على الخشوع عند التكبير أن يقولها المصلي بطمأنينة وتدبر، لا بعجلة وغفلة، وأن يستحضر عظمة من يقف بين يديه، وأن يعلم أن الله تعالى يسمعه ويراه، وأنه يناجيه بعبادته وذكره ودعائه.

فإذا استقرت كلمة «الله أكبر» في القلب، هان على العبد ما سواها؛ وإذا عظم الله في القلب صغرت الدنيا، وإذا استشعر العبد عظمة الموقف سكنت جوارحه، وحضر قلبه، وأصبح أقرب إلى حقيقة الخشوع. ولهذا ينبغي أن تكون تكبيرة الإحرام تكبيرةً بالقلب واللسان والجوارح: فاللسان ينطق بها، والقلب يعظم الله، والجوارح تسكن في الصلاة، وبذلك يبدأ المصلي صلاته بإقبال صادق على ربه تعالى.

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - وأما التكبير فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذب قلبك فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقاً كما شهد على المنافقين في قولهم: إنه ﷺ رسول الله.

فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك "الله أكبر" كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته؛ وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه. (١)

📖 الخشوع عند دعاء الاستفتاح:

١ - «إحياء علوم الدين» (١/ ١٦٦)

إذا كَبَّرَ المصلي تكبيرة الإحرام، وانتقل إلى دعاء الاستفتاح، فقد دخل في مقام المناجاة بين يدي ربه تعالى؛ ولذلك ينبغي ألا يكون دعاء الاستفتاح ألفاظًا تجري على اللسان من غير حضور قلب، بل يستشعر معانيه، ويستحضر ما فيه من تعظيم الله تعالى والثناء عليه وإعلان الافتقار إليه.

ومن أدعية الاستفتاح الثابتة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَبَّرَ سَكَتَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَرَأَيْتَ سَكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، أَخْبَرَنِي مَا تَقُولُ؟، قَالَ: " أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَالثَّوْبِ الْأَبْيَضِ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي بِالْمَاءِ وَالْبَرْدِ وَالثَّلْجِ " (١)

«اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني بالماء والبرد والثلج» متفق عليه.

فإذا قال المصلي: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي» استحضر فقره إلى مغفرة الله تعالى، وأن أعظم ما يحتاج إليه العبد أن يبعد الله عنه الذنوب وآثارها، وأن يطهر قلبه منها.

وإذا قال: «اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس» استشعر حاجته إلى تزكية نفسه وتطهير قلبه، فكما أن الثوب الأبيض يظهر فيه الدنس، فكذلك القلب قد تعلق به أثر الذنوب، ولا يطهر إلا بتوبة صادقة ورحمة من الله تعالى.

١ - «مسند أحمد» (٨٢ / ١٢) ط الرسالة «وأخرجه ابن أبي شيبة ٢١٣ / ١٠ - ٢١٤، ومسلم (٥٩٨)، وأبو داود (٧٨١)، وابن ماجه

(٨٠٥)، وأبو يعلى (٦١٩)، وابن خزيمة (١٥٧٩)، وأبو عوانة ٢ / ٩٨، وابن حبان (١٧٧٥)»

وإذا قال: اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد «استشعر عظمة رحمة الله تعالى، وشدة حاجته إلى عفوه ومغفرته، واستحضر أن الصلاة فرصة للرجوع إلى الله تعالى والإقبال عليه.

ومن أدعية الاستفتاح أيضًا ما ثبت عن النبي أنه كان يقول: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عن رسول الله ﷺ؛ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: "وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ".<sup>(١)</sup>

وهذا الدعاء يحمل معاني عظيمة تعين على الخشوع؛ فهو إعلان عن إخلاص الوجهة لله تعالى، وإفراده بالعبادة، وتسليم الحياة والممات له سبحانه. فإذا استحضر المصلي هذه المعاني، شعر أنه قد ترك ما سوى الله وأقبل عليه بقلبه. ومن أعظم أسباب الخشوع في دعاء الاستفتاح أن يفهم المصلي ما يقول، وألا يستعجل في ألفاظه، بل يتأنى فيها، ويجعل كل جملة بابًا لمعنى من معاني العبودية: من توبة، وافتقار، وتعظيم، وإخلاص، وتسليم.

وهكذا يكون دعاء الاستفتاح جسرًا ينتقل به القلب من مجرد الوقوف في الصلاة إلى حضور القلب فيها؛ فيستفتح صلاته باستفتاح صادق، ويتهيأ لسماع كلام الله تعالى عند قراءة الفاتحة والقرآن.

<sup>١</sup> - «مسند أحمد» (٢/ ١٨٤ ط الرسالة): «وأخرجه مسلم (٧٧١) (٢٠٢)، وابن حبان (١٧٧٣) م»

فإذا أحسن المسلم استحضار معاني دعاء الاستفتاح، كان أرجى أن يدخل إلى بقية الصلاة وقلبه حاضر، ونفسه ساكنة، وجوارحه خاشعة، مستشعراً أنه بين يدي رب العالمين.

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك " وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض " وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه. وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات؟

❦ وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق. ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقاً. وإذا قلت " حنيفاً مسلماً " فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال. وإذا قلت " وما أنا من المشركين " فأخطر ببالك الشرك الخفي فإن قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذراً مشفقاً من هذا الشرك، واستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه.

﴿ وإذا قلت " محياي ومماتي لله " فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وأنه إن صدر ممن رضاه غضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمر الدنيا لم يكن ملائماً للحال. (١)

### ﴿ الخشوع عند الاستعاذة :

إذا فرغ المصلي من دعاء الاستفتاح، وأراد أن يقرأ كلام الله تعالى، شرع له أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ [النحل: ٩٨-٩٩]

والاستعاذة ليست كلمة تُقال باللسان فحسب، وإنما هي التجاء القلب إلى الله تعالى واحتماء العبد بجنابه من عدوه الشيطان؛ ولذلك فإن استحضر معناها من أعظم ما يعين على حضور القلب في الصلاة.

فإذا قال المصلي: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فليستحضر أنه يلجأ إلى الله تعالى، ويطلب حمايته من وساوس الشيطان التي تصرفه عن صلاته، وتشوش عليه قراءته، وتجرب قلبه إلى أمور الدنيا.

وليستحضر كذلك أن الشيطان عدو للإنسان، غايته أن يحرمه لذة العبادة وحضور القلب؛ فإذا دخل المسلم في الصلاة بدأ الشيطان يذكره بما نسي، ويشغله بما ترك، ويفتح عليه أبواب الخواطر؛ حتى يخرج من صلاته وقد لا يدري كم صلى.

<sup>١</sup> - «إحياء علوم الدين» (١/ ١٦٧)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَيُلْبِسُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ حَتَّى لَا يَذَرِيَ كَمْ صَلَّى، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا ينبغي للمصلي عندما يستعيد أن يستشعر معنى الالتجاء والاعتصام بالله، وأن يعقد العزم على عدم الاسترسال مع الوسوس؛ فإذا هجم عليه خاطر، دفعه، وأقبل على قراءته، ولم يستسلم لما يلقيه الشيطان في قلبه. كما أن الاستعاذة تربي القلب على حقيقة عظيمة، وهي أن العبد لا يستغني عن ربه طرفة عين؛ فهو محتاج إلى الله في عبادته كما يحتاج إليه في رزقه وصحته وسائر شؤونه. وإذا كان العبد لا يستطيع دفع وسوسة الشيطان عن نفسه إلا بعون الله، كان جديرًا به أن يستعيد به بصدق واضطرار. وعليه، فإن الخشوع عند الاستعاذة يتحقق باستحضار ثلاثة معانٍ:

- استحضار عداوة الشيطان وحرصه على إفساد الصلاة.
  - استحضار عظمة الله وقدرته على حماية عبده من وسوس الشيطان.
  - صدق الالتجاء إلى الله وعدم الاسترسال مع الخواطر بعد الاستعاذة.
- فإذا استعاذ المصلي بقلبه ولسانه، ثم أقبل على القرآن مستشعرًا أنه كلام الله تعالى، كان ذلك أدعى لحضور قلبه، وأقرب إلى الخشوع في صلاته؛ لأن القلب إذا تحصّن بالاستعاذة، وأغلق أبواب الوسوسة، تهيأ لسماع كلام ربه وتدبره.

<sup>١</sup> - أخرجه البخاري (١٢٢٢) و (١٢٣١) و (١٢٣٢) و (٣٢٨٥) ومسلم ص ٣٩٨ (٨٢)، وأبو داود (١٠٣٠) و (١٠٣١) و (١٠٣٢)، وابن ماجه (١٢١٦) و (١٢١٧)، والنسائي ٣/ ٣٠ - ٣١ و ٣١، وهو في "مسند أحمد" (٧٢٨٦)،

**يقول الإمام الغزالي - رحمه الله -** وإذا قلت "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسداً لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها، وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك، فإن من قصده سبع أو عدو ليفرسه أو يقتله فقال: أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه، فإن ذلك لا ينفعه، بل لا يعينه إلا تبديل المكان؛ فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه "لا إله إلا الله" إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا ﷺ "لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي".<sup>(١)</sup> والمتحصن به لا معبود له سوى الله سبحانه فأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله عز وجل<sup>(٢)</sup>

**الخشوع عند قراءة الفاتحة:** تعدُّ قراءة الفاتحة من أعظم مواضع الخشوع في الصلاة؛ لأنها السورة التي يكررها المسلم في صلواته، وهي مشتملة على أجَلِّ المعاني وأعظمها: حمد الله تعالى، وتمجيده، وإفراده بالعبادة والاستعانة، وسؤاله الهداية إلى الصراط المستقيم.

<sup>١</sup> - «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (١/ ٣٧١): «قال العراقي: رواه الحاكم في التاريخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت من حديث علي بإسناد ضعيف جداً وقول أبي منصور الديلمي إنه حديث ثابت مردود عليه اهـ.»

<sup>٢</sup> - «إحياء علوم الدين» (١/ ١٦٧)

ولذلك ينبغي للمصلي ألا يقرأ الفاتحة بلسانه وقلبه غافل عن معانيها، بل يقرأها قراءة متدبرٍ يناجي ربه، مستشعراً عظمة الكلمات التي ينطق بها، ومستحضراً ما فيها من الثناء والدعاء والعبودية.

وقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل»، ثم ذكر الفاتحة، وبين أن العبد إذا قال: «الحمد لله رب العالمين» قال الله تعالى: «حمدني عبدي»، وإذا قال: «الرحمن الرحيم» قال: «أثنى علي عبدي»، وإذا قال: «مالك يوم الدين» قال: «مجدني عبدي»، وإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين» قال: «هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل»، وإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم...» قال: «هذا لعبدي ولعبي ما سأل» رواه مسلم. (١).

وهذا الحديث يفتح للمصلي باباً عظيماً من أبواب الخشوع؛ فكل آية من الفاتحة تحمل معنى، وكل معنى يستدعي من القلب موقفاً من العبودية. عند قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يستحضر المصلي أن جميع المحامد لله تعالى، وأنه سبحانه رب العالمين، خالقهم ومالكهم ومدبر شؤونهم. فيمتلئ قلبه حمداً وتعظيماً وشكراً، ويتذكر نعم الله الكثيرة عليه، الظاهرة والباطنة. عند قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يستحضر سعة رحمة الله تعالى، وأنه سبحانه أرحم بعباده من كل أحد، فيجتمع في قلبه الرجاء والمحبة، ولا يقنط من رحمة ربه مهما كثرت ذنوبه وتقصيره.

<sup>١</sup> - أخرجه الشافعي ١/ ٧٨، والحميدي (٩٧٣) و (٩٧٤)، والبخاري في "القراءة خلف الإمام" (٧١) و (٧٩)، ومسلم (٣٩٥) (٣٨)،

عند قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يستحضر يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، ويقف العباد بين يديه للحساب والجزاء؛ فينتقل القلب من الغفلة إلى المراقبة، ومن الأمن من مكر الله إلى الخوف منه، ويستعد للقاء الله تعالى.

عند قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهذه الآية من أعظم آيات الفاتحة أثرًا في الخشوع؛ لأنها تجمع حقيقة العبودية والاستعانة. فيستحضر المصلي أنه لا يعبد إلا الله، ولا يستعين في أمر عبادته إلا به، وأنه لا حول له ولا قوة إلا بعون الله وتوفيقه.

وفي هذه الآية انتقال من الحديث عن الله تعالى بصيغة الغائب إلى مخاطبته سبحانه، فيستشعر العبد قربته من ربه ومناجاته له، فيزداد قلبه حضورًا وتعظيمًا وافتقارًا.

عند قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يستشعر المصلي شدة حاجته إلى هداية الله تعالى؛ فهو لا يستغني عن هداية ربه لحظة واحدة، فيسأله الثبات على الحق، والاستقامة على الطاعة، والبعد عن طرق الضلال والانحراف.

ولا ينبغي أن يمر هذا الدعاء على اللسان مرورًا عابرًا؛ فإن المسلم يسأل ربه في كل صلاة أعظم مطلوب، وهو الهداية إلى الصراط المستقيم والثبات عليه.

عند قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ❶ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**

يتذكر المصلي طريق أهل الإيمان والطاعة، ويسأل الله أن يجعله من السالكين سبيلهم، وأن يجنبه طرق الغضب والضلال، ثم يختم بقوله: «آمين»، مستشعرًا أنه يسأل الله تعالى قبول هذا الدعاء.

ومن أعظم أسباب الخشوع عند قراءة الفاتحة التآني في تلاوتها، وتحسين القراءة من غير تكلف، والوقوف عند معانيها، واستشعار أن الله تعالى يسمع عبده ويرد عليه. فلا يجعل المصلي همّه الانتهاء من السورة، وإنما يجعل همّه حضور القلب مع كل آية.

وهكذا تتحول الفاتحة في صلاة المسلم من كلمات محفوظة تتكرر على اللسان إلى مناجاة حية بين العبد وربّه؛ يحمده، ويمجده، ويعبده، ويستعين به، ويرجوه، ويخافه، ويسأله الهداية والثبات.

فإذا قرأ المسلم الفاتحة بهذا القلب الحاضر، لم تكن قراءته مجرد أداءٍ لركن من أركان الصلاة، بل كانت لحظاتٍ من أعظم لحظات الصلة بالله تعالى، وسبباً من أقوى أسباب الخشوع وحضور القلب.

يقول الإمام الغزالي -رحمه الله- واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ.

فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها: فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة، رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه. ففرق بين أن يكون السان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب.

وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت " **بسم الله الرحمن الرحيم** " فانوبه التبرك لا ابتداء القراءة لكلام الله سبحانه، وافهم أن الأمور كلها بالله سبحانه.

وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى. وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان "الحمد لله" ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله. ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى. فإذا قلت "الرحمن الرحيم" فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك. ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك "مالك يوم الدين" أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكة. ثم جدد الإحرص بقولك "إياك نعبد" وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك و "إياك نستعين" وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانتة وأن له المنة إذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلاً لمناجاته. ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين.

ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك "بسم الله الرحمن الرحيم" ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل "إهدا الصراط المستقيم" الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك. وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيذاً واستشهاداً بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الإجابة وقل "أمين" فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي

ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل " يقول العبد " الحمد لله رب العالمين " فيقول الله عز وجل : حمدني عبدي وأثنى علي (١). وهو معنى قوله " سمع الله لمن حمده... الحديث الخ " فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله؟

### الخشوع عند قراءة ما تيسر من القرآن:

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور - كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن - فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعدته ووعدته ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه. ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد؛ والخوف حق الوعيد؛ والعزم حق الأمر والنهي؛ والاتعاظ حق الموعدة، والشكر حق ذكر المنة، والاعتبار حق إخبار الأنبياء. وروي أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ [المدثر: ٨] خر ميتاً وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١] اضطرب حتى تضطرب أوصاله.

وقال عبد الله بن واقد: رأيت ابن عمر يصلي مغلوباً عليه؛ وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيدته فإنه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر. وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب. ودرجات ذلك لا تنحصر.

<sup>١</sup> - أخرجه الشافعي ١/ ٧٨، والحميدي (٩٧٣) و (٩٧٤)، والبخاري في "القراءة خلف الإمام" (٧١) و (٧٩)، ومسلم (٣٩٥) (٣٨).

والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسيّحات أيضاً.

ثم يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل. ويفرق بين نعماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد. كان النخعي إذا مر بمثل قوله عز وجل ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١] "يخفض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به.

وروي أنه يقال لقارئ القرآن "اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا" (١) وأما دوام القيام فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال عليه السلام "إن الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت" (٢) وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة. فإذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود إليه. وألزم لخشوع القلب فإن الخلاص عن الالتفات باطناً وظاهراً ثمرة الخشوع. ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال عليه السلام وقد رأى رجلاً مصلياً يعبث بلحيته "أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه" (٣) فإن الرعية بحكم الراعي.

١ - أحمد (١٩٢/٢). والترمذي (٢٩١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأبو داود (١٤٦٤) وقال الألباني في تخريجه (٢٧٥/١)

: صحيح. والحاكم (٥٥٢/١) واللفظ عند الجميع وسكت عنه وصححه الذهبي. وابن حبان في الموارد (١٧٩٠).

٢ - رواه أبو داود رقم ٩٠٩ وهو في صحيح أبي داود.

٣ - (موضوع) انظر حديث رقم: ٤٨٢١ في ضعيف الجامع

ولهذا ورد في الدعاء " اللهم أصلح الراعي والرعية " وهو القلب والجوارح.  
وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد.

وابن الزبير رضي الله عنه كأنه عود.

وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد، وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك؟

وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعاً وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثاً فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن إطلاعه على سره وضميره.

وقال عكرمة في قوله عز وجل ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٢١٨) وَتَقَلُّبِكَ فِي

السَّاجِدِينَ ﴿[الشعراء: ٢١٨-٢١٩] قال: قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه. (١)

### 📌 الخشوع عند الركوع والسجود:

الركوع والسجود من أعظم أركان الصلاة التي يظهر فيها خضوع العبد لله تعالى وذله بين يديه؛ ففي الركوع ينحني العبد تعظيماً لربه، وفي السجود يضع أشرف أعضائه على الأرض، معلناً كمال افتقاره وعبوديته لله سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا

الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]

### 📌 أولاً: الخشوع عند الركوع:

<sup>١</sup> - «إحياء علوم الدين» (١/ ١٦٨-١٦٩)

إذا انتقل المصلي إلى الركوع، فليستحضر أنه قد انتقل من القيام بين يدي الله إلى هيئة من هيئات التعظيم والخضوع، فيحني ظهره لله تعالى، ويطمئن في ركوعه، ويعظم ربه بقوله: «سبحان ربي العظيم.»

وليستحضر معنى هذا الذكر؛ فهو ينزه الله تعالى عن كل نقص، ويقر بعظمته وجلاله، فيتوافق انحناء الجسد مع خضوع القلب.

ومن تمام الخشوع في الركوع ألا يكون هم المصلي مجرد أداء الحركة، بل يستشعر أنه يعظم رباً عظيماً، وأن عظمة الله تعالى أعظم من كل ما يخطر بباله، فيزداد قلبه إجلالاً وهيبَةً وتعظيماً.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ وَأَنَا رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ، فَأَمَّا الرُّكُوعُ، فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»<sup>(١)</sup> فهذا توجيه نبوي واضح إلى أن الركوع موضع تعظيم لله تعالى؛ ولذلك ينبغي للمصلي أن يستحضر عظمة ربه عند كل تسبيحة، وأن يؤدي الركوع بسكينة وطمأنينة، لا بعجلة تذهب بمعناه وروحه.

### ❦ ثانياً: الخشوع عند الرفع من الركوع:

وعندما يرفع المصلي من الركوع، ويقول: «سمع الله لمن حمده»، يستحضر أن الله تعالى يسمع حمد عباده، ويطلع على أعمالهم وأحوالهم.

فإذا قال: «ربنا ولك الحمد» أو غيرها من ألفاظ الحمد الثابتة، استشعر نعم الله تعالى عليه، وحمده بقلبه قبل لسانه، وأيقن أن الحمد كله لله في السراء والضراء، وفي كل حال.

<sup>١</sup> - مسلم ١/ ٣٥٠ (٤٨٢).

وهنا ينتقل القلب من معنى التعظيم في الركوع إلى معنى الحمد والثناء بعده، فيبقى متصلاً بالله تعالى لا غافلاً عنه.

### ثالثاً: الخشوع عند السجود

أما السجود فهو أخص مواضع الخشوع وأعظمها؛ ففيه يضع العبد جبهته على الأرض، وهي أشرف ما في وجهه، إظهاراً لكمال العبودية والذل لله تعالى. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ. فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ". (١)

وقال ﷺ: «وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» (رواه مسلم (٢)).

فإذا سجد المسلم، فليستحضر قلبه من ربه، وليشعر بحاجته وفقره إليه، وليدعُ الله تعالى بقلب حاضر، مستيقناً أن ربه يسمعه ويعلم حاله. وليستحضر عند قوله: «سبحان ربي الأعلى» «أن الله تعالى هو الأعلى في ذاته وقدره وقهره، وأن العبد مهما بلغ من القوة والجاه والمنزلة فهو عبد ضعيف فقير إلى ربه.

ومن لطيف المعاني أن المصلي يضع نفسه في السجود في أدنى هيئة، ويذكر ربه باسم «الأعلى»؛ ليعلم أن العزة لله وحده، وأن العبد لا يرفع قدره إلا بالقرب من ربه وطاعته.

١ - أخرجه: مسلم ٢/ ٤٩ (٤٨٢) (٢١٥).

٢ - سبق تخريجه

والسجود ليس موضعاً لكثرة الكلام فقط، وإنما هو موضع انكسار القلب وصدق الافتقار؛ فكلما استشعر العبد ذل العبودية لله، ازداد خشوعه، وكلما امتلأ قلبه بعظمة الله، هانت عليه الدنيا وما فيها.

#### رابعاً: الجمع بين خشوع القلب والجوارح

والخشوع الكامل في الركوع والسجود أن يتوافق خشوع القلب مع خشوع الجسد؛ فلا يكون البدن منحنيًا أو ساجدًا، بينما القلب غافل عن الله تعالى.

ومن هنا جاءت السنة بالأمر بالطمأنينة في الصلاة، ونهي النبي ﷺ عن العجلة فيها، كما في حديث المسيء صلاته حين قال النبي ﷺ للرجل الذي لم يحسن صلاته: «ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا...» متفق عليه. (١).

فالتأني والطمأنينة يعينان على حضور القلب، ويمنحان المصلي فرصة ليستشعر معاني الأذكار والأفعال، أما العجلة فإنها تحول الصلاة إلى حركات متتابعة لا يكاد القلب يشعر بها.

وهكذا يكون الركوع موضع تعظيم، ويكون السجود موضع قرب وافتقار ودعاء، وبينهما يظل القلب حاضرًا مع الله تعالى، حتى تصبح الصلاة عبادة حية تجمع خشوع القلب، وسكون الجوارح، وتعظيم الرب سبحانه. فطوبى لمن إذا ركع عظم الله، وإذا سجد اقترب منه، وإذا دعا أخلص له، وإذا قام من صلاته خرج بقلبٍ أصْلَحَ وأخْشَعَ مما دخل به.

<sup>١</sup> - أخرجه أحمد (٤٣٧/٢) والبخاري (١٩٢/١) و (٦٩/٨) ومسلم (١٠/٢) وأبو داود (٨٥٦) والترمذي (٣٠٣) والنسائي (١٢٤/٢)

وفى الكبرى (٨٦٨) وابن خزيمة (٤٦١ و ٥٩٠)

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيراً بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعاً سنة نبيه ﷺ.

ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك. وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكد بالتكرار. ثم ترتفع من ركوعك راجياً أنه راحم لك ومؤكداً للرجاء في نفسك بقولك "سمع الله لمن حمده" أي أجاب لمن شكره. ثم تردف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد فتقول "ربنا لك الحمد" وتكثر الحمد بقولك "ملء السموات وملء الأرض" ثم تهوي إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب.

وإن أمكنك أنلا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل.

❦ وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فإنك من التراب خلقت وإليه تعود فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل "سبحان ربي الأعلى" وأكد بالتكرار فإن الكرة الواحدة ضعيفة الأثر فإذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فإن رحمته تتسارع إلى

الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبراً وسائلاً حاجتك وقائلاً  
" رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم " أو ما أردت من الدعاء.

ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانياً كذلك. (١)

**الخشوع عند التشهد:** التشهد من المواطن العظيمة في الصلاة التي ينبغي  
للمسلم أن يستحضر فيها قلبه، فهو ليس ألفاظاً يرددها المصلي اعتاداً، وإنما هو  
مناجاة وثناء وتوحيد وشهادة ودعاء، يختم بها العبد صلاته وهو في حال من  
السكينة والافتقار إلى الله تعالى.

فإذا جلس المصلي للتشهد، فليستحضر أنه قد قطع مراحل الصلاة، وأنه قد  
أقبل على ختام هذه العبادة، وليجتهد في أن يكون قلبه في هذه اللحظات أكثر  
حضوراً، وأشد افتقاراً إلى الله تعالى، وأبعد عن العجلة والانشغال.

**عند قوله: «التحيات لله»**

يستحضر المصلي أن جميع التحيات والتعظيمات والتقديسات لله تعالى، وأنه  
سبحانه المستحق لكل ثناء وتعظيم، فيمتلى قلبه إجلالاً لله وتوحيداً له.

**عند قوله: «والصلوات والطيبات»**

يستحضر أن صلاته وعبادته وطاعته لله وحده، وأن كل طيب من الأقوال  
والأعمال إنما يليق أن يكون لله تعالى، فيجدد في قلبه معنى الإخلاص،  
ويستحضر قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

**الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]**

**عند قوله: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»**

<sup>١</sup> - «إحياء علوم الدين» (١/ ١٦٩)

يستحضر المصلي فضل الله تعالى عليه بإرسال نبيه محمد ﷺ، الذي علّم الأمة الصلاة والعبادة، وأخرجها الله به من الظلمات إلى النور. فيصلي على النبي ﷺ بقلب محب، مستشعراً مكانته وفضله، من غير غلو ولا تجاوز للحد المشروع.

عند قوله: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»

يستحضر المسلم حاجته إلى السلامة في الدنيا والآخرة، ويدعو لنفسه ولعباد الله الصالحين، ويتذكر أن المؤمن لا يعيش لنفسه وحدها، بل يحب الخير لإخوانه المسلمين.

عند الشهادتين:

فإذا قال: "أشهد أن لا إله إلا الله" جدد عهد التوحيد والإخلاص، واستشعر أن أعظم ما في حياته أن يلقي الله تعالى موحدًا له. وإذا قال: "وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" استحضر شهادة الرسالة، وأن طريق العبادة الصحيحة هو اتباع النبي ﷺ والاقتداء بهديه. وهاتان الشهادتان من أعظم ما يحضر به القلب؛ لأنهما خلاصة الدين وأساس الإسلام، فإذا نطقهما العبد بقلب حاضر، استشعر عظمة النعمة التي أنعم الله بها عليه من الهداية والتوحيد واتباع الرسول ﷺ.

**الصلاة على النبي ﷺ :**

ثم يصلي على النبي ﷺ، مستحضرًا ما للنبي الكريم من فضل في تعليم الأمة وإرشادها إلى الخير، ويجمع في قلبه بين محبته ﷺ واتباع سنته وتعظيم ما جاء به من الحق.

## الدعاء قبل السلام:

ثم يأتي الدعاء، وهو من أعظم المواطن التي ينبغي أن يحضر فيها القلب؛ فقد أرشد النبي ﷺ إلى أن يتخير المصلي من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به. ومن السنة أن يستعيد بالله من أربع، فيقول:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ.» (١)

وفي هذه اللحظات يستحضر العبد شدة حاجته إلى ربه، وأنه لا نجاة له إلا برحمته، فيدعوه بقلب خاشع، ونفس منكسرة، ورجاء صادق. ومن أعظم ما يعين على الخشوع عند التشهد ألا يستعجل المصلي السلام؛ فإن بعض الناس إذا وصل إلى التشهد صار قلبه متعلقاً بانتهاء الصلاة، فيفقد ما بقي منها من حضور وخشوع. وإنما ينبغي أن يستثمر هذه اللحظات الأخيرة في إتمام مناجاته لله تعالى، وكأنها آخر صلاة يصليها.

وهكذا يختم المسلم صلاته كما بدأها: بتعظيم الله، وحضور القلب، والافتقار إليه؛ فيكون التشهد خاتمةً مباركةً لعبادة عظيمة، يرجو بعدها أن يتقبل الله صلاته، ويغفر تقصيره، ويكتب له من خشوعه بقدر ما حضر قلبه وتعظيمه لربه سبحانه.

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدباً وصرح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله.

<sup>١</sup> - البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨): (١٣١)، وابن حبان (١٠١٩)

وكذلك الملك لله وهو معنى " التحيات " وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم وقل " سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه.

ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين.

ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاماً وافياً بعدد عباد الصالحين.

ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة مجدداً عهد الله سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة ومستأنفاً للتحصن بها.

ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهاال وصدق الرجاء بالإجابة.

وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين.

واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين (١)

### الفصل الثالث: من رياض الخاشعين

إنَّ الحديث عن الخشوع لا يكتمل بالوقوف عند تعريفه وفضائله، ولا بمعرفة موانعه وبواعثه فحسب، بل يحتاج القلب إلى أن يرى الخشوع واقعاً حياً في حياة أناسٍ صدقوا مع الله تعالى، فخشعت قلوبهم، وسكنت جوارحهم، وعظمت في نفوسهم هيبة الوقوف بين يدي رب العالمين.

وفي سير الصالحين والعابدين نماذج مشرقة تبين لنا كيف كان الخشوع ثمرةً لمعرفة الله، وتعظيمه، واستحضار مراقبته، وتدبر كلامه، وإقبال القلب عليه في

١ - «إحياء علوم الدين» (١/ ١٦٩)

الصلاة وسائر العبادات. ولم تكن صلاتهم حركاتٍ تؤدي، ولا كلماتٍ تردد، وإنما كانت مناجاةً وعبادةً وحضوراً بين يدي الله تعالى.

وهذا الفصل يطوف بنا في رياض الخاشعين، لنقف على مواقف وقصص وعبر من حياة النبي ﷺ، وصحابته الكرام، ومن سار على نهجهم من السلف الصالح، مما يكشف عن عظيم أثر الخشوع في القلوب والجوارح، ويوقظ الهممة للاقتداء بهم والسير على طريقهم.

والمقصود من هذه النماذج ليس مجرد الاستمتاع بالقصص، وإنما استخراج العبر، واستحضار المعاني الإيمانية، ومحاسبة النفس: أين نحن من خشوع أولئك؟ وكيف نستطيع أن ننقل الخشوع من صفحات الكتب إلى واقع الصلاة والحياة؟

## المبحث الأول

### خشوع النبي ﷺ وبكاؤه من خشية الله في صلاة الليل

لقد كان رسولنا ﷺ من أشد الناس خشية ورهبة يسمع لصدره أزيزاً كأزيز المرجل من البكاء عن عبد الله بن الشخير قال: "رأيت رسول الله يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء"، وفي رواية: "وفي صدره أزيز كأزيز المرجل" (١).

<sup>١</sup> - سنده صحيح: أخرجه أحمد (٢٥ / ٤)، وأبو داود (٩٠٤)، والنسائي (١٢١٤)، أزيز: صوت، الرحى: الطاحون، المرجل: قدر من نحاس أو حديد يُطبخ فيه..

وها هو بآبي وأمي ﷺ في ليلة بدر يظل طوال الليل بين يدي ربه ومولاه متضرعا باكيا فعن علي قال: "ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح" (١).

وعن عطاء بن أبي رباح رحمه الله قال: "دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة، فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزور، فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حَبًّا، قال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله، قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: ((يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي))، قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرُّك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره، قالت: وكان جالسًا، فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، ثم بكى حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ لقد نزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]) (٢).

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية: {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

١ - سنده صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٥).

٢ - سنده صحيح: أخرجه ابن حبان (٦٢٠).

(سورة المائدة، الآية: ١١٨). (١)، ولم يكن النبي ﷺ يبكي بشهيقٍ ورفع صوتٍ، كما لم يكن ضحكاه قهقهةً، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملان، ويُسمع لصدره أزيز، وكان بكاءه: تارة رحمة للميت، وتارة خوفاً على أمته وشفقة عليها، وتارة خشيةً لله تعالى، وتارة عند سماع القرآن، وهو بكاءٌ اشتياقٍ ومحبةٍ وإجلالٍ (٢).

### بكاءه ﷺ عند سماع القرآن:

و لقد كان نبينا ﷺ يلين قلبه و تدمع عيناه عندما يقرأ القرآن الكريم فعن عبدالله بن مسعود قال: ((قال لي رسول الله: اقرأ عليّ القرآن، قال: فقلت: يا رسول الله، اقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، فقرأت النساء، حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، رفعت رأسي - أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي - فرأيت دموعه تسيل))، وفي رواية البخاري: ((حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان)) (٣)

١ - أخرجه: النسائي، كتاب الافتتاح، باب ترديد الآية، برقم ١٠١٠، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل، برقم ١٣٥٠، وأحمد، ١/ ٢٤١، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة، ١/ ٢٤٢، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٤٠١/ ١.

٢ - زاد المعاد لابن القيم، ١/ ١٨٣.

٣ - أخرجه البخاري (٥٠٥٥)، مسلم (٨٠٠).

قال ابن بطال: "وإنما بكى عند هذا؛ لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن".

### المبحث الثاني: خشوع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

**خشوع أبي بكر - رضي الله عنه** - في صلاته، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ))، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ<sup>(١)</sup>، وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتُ عُمَرَ؟ فَقَالَ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ)) وفي رواية: أنه قال ﷺ ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ)) قالت عائشة: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ))<sup>(٢)</sup>.

وهذا فيه من الفوائد: خشوع أبي بكر في صلاته، وقراءته، وأن البكاء في الصلاة من خشية الله تعالى لا حرج فيه، لكن لا يتكلف ذلك، ولا يطلبه، فإذا غلبه البكاء في الصلاة بدون اختياره فلا حرج<sup>(٣)</sup>.

**خشوع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه** - في صلاته، كان أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يصلي بالناس صلاة الفجر، فطعنه أبو

<sup>١</sup> - أسيف: شديد الحزن، والمراد: أنه رقيق القلب، إذا قرأ غلبه البكاء، فلا يقدر على القراءة [فتح الباري، ٢/ ١٥٢، ١٦٥، ٢٠٣].

<sup>٢</sup> - متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الرجل يأتي بالإمام، ويأتم الناس بالمأموم، برقم ٧١٣، ورقم ٦٧٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ... ، برقم ٤١٨.

<sup>٣</sup> - انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٣٧٩ - ٣٨٦.

لؤلؤة المجوسي، فقال عمر حين رأى نزع الدماء: قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس، ثم عُشي على عمر - رضي الله عنه -، فحُمِل فأدخلوه بيته، ثم صَلَّى بالناس عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه -، فأنكر الناس صوت عبد الرحمن، ولم يزل عمر - رضي الله عنه - في غشية واحدة، حتى أسفر، فلمَّا أسفر أفاق، فنظر في وجوه مَنْ حوله فقال: ((أصلِّي الناس؟)) قالوا: نعم، فقال: ((لا إسلام لمن ترك الصلاة))، ثم دعا بوضوء فتوضأ، ثم صَلَّى، وجرحه ينزف دمًا، ثم أمر بعد صلاته من يسأل عن من قتله؟ فأخبروه أنه طعنه أبو لؤلؤة، فقال عمر - رضي الله عنه -: ((الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدة سجدها له قط)) (١) .

عن عبد الله بن عمر قال: «رأيت عمر بن الخطاب البكاء، وهو يصلي، حتى سمعت خنيته، من وراء ثلاثة صفوف» (٢)

عن علقمة بن وقاص قال: «صليت خلف عمر بن الخطاب، فقرأ سورة يوسف، فكان إذا أتى على ذكر يوسف، سمعت نشيجه من وراء الصفوف» (٣)

**الخشوع جبير بن مطعم - رضي الله عنه -:**

<sup>١</sup> - ذكره ابن القيم رحمه الله عن ابن زنجويه بسنده إلى عمر - رضي الله عنه -، في كتاب الصلاة وحكم تاركها، ص ٢٦. وانظر:

مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، ص ٢١٥ - ٢١٦.

<sup>٢</sup> - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٢٠٣/٣).

<sup>٣</sup> - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٢٠٣/٣)

عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - : أنه قال: سمعت النبي - ﷺ - يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ\* أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ\* أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ} (سورة الطور، الآيات: ٣٥ - ٣٧). كاد قلبي أن يطير [وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي] ((١)). وهذا من أعظم البراهين على تأثير القرآن في القلوب.

**خشوع سعد بن معاذ - رضي الله عنه -** في صلاته، فقد ذكر أنه قال: ((فِي

ثلاث خصال لو كنت في سائر أحوالي أكون فيهن كنت أنا: إذا كنت في الصلاة لا أحدث نفسي بغير ما أنا فيه، وإذا سمعت من

رسول الله ﷺ حديثاً لا يقع في قلبي ريب أنه الحق، وإذا كنت في جنازة لم أحدث نفسي بغير ما تقول ويُقال لها)) ((٢)).

خشوع عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - في صلاته، قد ذكر أنه ((كان يسجد فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه وهو في الصلاة لا يرفع رأسه)) ((٣)) (٢).

<sup>١</sup> - متفق عليه: البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور، باب: حدثنا عبد الله بن يوسف، برقم ٤٨٥٤، وما بين المعقوفين من الطرف رقم ٤٠٢٣ من كتاب المغازي، وأخرجه مسلم، بنحوه، كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح، برقم ٤٦٣.

<sup>٢</sup> - ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، في مجموع الفتاوى، ٦٠٥ / ٢٢. وقد أورده ابن عبد البر بإسناده من طريق الزهري عن ابن المسيب في الاستيعاب، ١ / ١٨٢، والمزي في تهذيب الكمال بالإسناد نفسه، ٣ / ٤١٨.

<sup>٣</sup> - ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، ٦٠٥ / ٢٢. وقد أورده أبو الشيخ الأصبهاني في طبقات المحدثين بأصبهان، ص ٢٩.

وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ كثير، ولكن هذه من باب الأمثلة والله

### المستعان. المبحث الثالث: خشوع التابعين

❦ **خشوع عروة بن الزبير في صلاته رحمه الله تعالى** (١)، كان عروة يخشع في صلاته خشوعاً عظيماً، فقد ذَكَرَ عنه أنه خرج من المدينة مُتَوَجِّهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد، وعندما كان في وادٍ قرب المدينة أصابه أكلة في رجله، ولم يصل إلى دمشق إلا وقد وصلت الأكلة إلى نصف ساقه، ودخل على الوليد، فجمع له الأطباء، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كُلَّها إلى وركه، وربما تَرَقَّتْ إلى الجسد، فطابت نفسه بقطعها، وقالوا له: ألا نسقيك مُرَقْدًا؟ فقال: ما ظننت أن أحداً يشرب شراباً، أو يأكل شيئاً يُذهِبُ عقله حتى لا يعرف ربه، ولكن إن كنتم لا بد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة؛ فإني لا أحسُّ بذلك، ولا أشعر به، فنشروا رجله من فوق الأكلة من المكان الحي احتياطاً حتى لا يبقى منها شيء وهو قائم يصلي، فما تألَّم ولا اضطرب، فلمَّا انصرف من الصلاة

عزَّاه الوليد في رجله، فقال: اللهم لك الحمد، كان لي أطراف أربعة، فأخذت واحداً، وأبقيت ثلاثة، فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت، وإن كنت قد ابتليت

١- عروة بن الزبير بن العوام، التابعي الجليل أحد الفقهاء السبعة، وكان من جملة الفقهاء العشرة الذين يرجع إليهم عمر بن عبد العزيز في زمن ولايته، أمه أسماء بنت أبي بكر، وخالته عائشة، وكان رحمه الله يقرأ كل يوم ربع القرآن، ويقوم به في الليل، وكان أيام الرطب يثلّم حائطه للناس، فيدخلون ويأكلون، فإذا ذهب الرطب أعاد الحائط، ولد في سنة ثلاث وعشرين بعد عمر - رضي الله عنه -، وتوفي ٩٣هـ على المشهور، والله أعلم. [البداية والنهاية لابن كثير، ٩/ ١٠٢ - ١٠٣، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٤٢١ - ٤٣٨].

فَلَطَّالَمَا عَافَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَخَذْتَ، وَعَلَى مَا عَافَيْتَ، وَكَانَ قَدْ صَحَبَهُ  
بَعْضُ أَوْلَادِهِ ...

فمات أحبهم إليه فَعَزَّوهُ فيه، فقال: الحمد لله كانوا سبعة، فأخذت منهم واحداً  
وأبقيت ستة، فلئن كنت قد ابتليت، فلطالما عافيت، ولئن كنت قد أخذت،  
فلطالما أعطيت، ثم رجع إلى المدينة، وما شكا ذلك إلى أحد، فلما دخل  
المدينة أتاه الناس يسلمون عليه ويُعزُّونه في رجله وولده، فبلغه أن بعض الناس  
قال: إنما أصابه هذا بذنب عظيم أحدثه، فأنشد عروة في ذلك، والأبيات لمعن  
بن أوس:

لَعَمْرُكَ مَا أَهْوَيْتُ كَفِّي لَرِيبةٍ وَلَا حَمَلْتَنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رَجُلِي

وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصْرِي لَهَا وَلَا دَلَّنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي (١)

❦ **خشوع عامر بن عبد الله بن قيس** (٢) في صلاته رحمه الله تعالى كان لهذا

الرجل من الأخبار في الخشوع في صلاته الأخبار الكثيرة، ومنها:

❦ قيل له: أتحدث نفسك في الصلاة؟ قال: أحدثها بالوقوف بين يدي الله،

ومنصرفي (٣) أي إلى أي الدارين.

<sup>١</sup> - البداية والنهاية لابن كثير، ١٠٢/٩ - ١٠٣.

<sup>٢</sup> - قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، ١٥/٤: ((عامر بن قيس، القدوة، الولي، الزاهد)) كان ثقة من عبّاد التابعين، قال فيه

كعب الأخبار: هذا راهب هذه الأمة، قال أبو عبيد: كان عامر بن عبد الله الذي يعرف بابن عبد قيس يقرئ الناس، قيل: توفي في

زمن معاوية - رضي الله عنه -،

<sup>٣</sup> - سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٧/٤.

📖 وذكروا له بعض ما يجدونه في الصلاة من أمر الضيعة، فقال: أتجدونه؟ قالوا: نعم، قال: والله لأن تختلف الأسنّة في جوفي أحبُّ إليَّ من أن يكون هذا منِّي في صلاتي (١) .

📖 وعندما حضرته الوفاة بكى، فقليل: ما يبكيك؟

قال: ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام الليل (٢) .

📖 خشوع الإمام البخاري رحمه الله (٣) في صلاته: قال مسبح بن سعيد: ((كان

محمد بن إسماعيل يختم في رمضان كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة (٤)، وكان رحمه الله يُصلّي ذات يوم أو ذات ليلة، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا أي شيء آذاني في صلاتي، فنظروا فإذا الزنبور قد ورّمه في سبعة عشر موضعاً، ولم يقطع صلاته (٥) وقد قيل: إن هذه الصلاة كانت التطوع بعد صلاة الظهر، وقيل له بعد أن فرغ

١- حلية الأولياء لأبي نعيم، ٩٢ / ٢.

٢- سير أعلام النبلاء، ١٩ / ٤، وحلية الأولياء، ٨٨ / ٢.

٣- ولد الإمام البخاري رحمه الله في ١٣ شوال سنة ١٩٤ هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٢٥٦ هـ. [انظر: سير أعلام النبلاء، ٣٩١ / ١٢، ٤٦٨].

٤- سير أعلام النبلاء، (٤٣٩ / ١٢).

٥- سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤٤٢ / ١٢، وهدي الساري لابن حجر، ص ٤٨٠.

من صلاته: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما لسعك؟ قال: ((كنت في سورةٍ فأحببت أن أتمّها)) (١) .

وقال مقسم بن سعد - رحمه الله -: ((كان محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله - إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه، فيصلّي بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليالٍ، وكان يختم في النهار في كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة)) (٢) .

### ❦ خشوع محمد بن المنكدر - رحمه الله -

«عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذا استبكى فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله فسألوه: ما الذي أبكاك؟ فاستعجم عليهم، فتمادى في البكاء فأرسلوا إلى أبي حازم واخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي فقال: يا أخي ما الذي أبكاك قد رعت أهلك؟ فقال له إني مرّت بي آية من كتاب الله عز وجل. قال: ما هي؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [سورة الزمر آية ٤٧] قال: فبكى أبو حازم معه واشتدّ بكاؤهما. قال:

١- سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٢ / ٤٤٢.

٢- هدي الساري لابن حجر، ص ٤٨١.

فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرّج عنه فزدته. قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما. (١)

### ❦ خشوع أمية الشامي - رحمه الله -

عن سفيان بن عيينة قال: كان أمية رجلاً من أهل الشام يقوم فيصلي هناك مما يلي باب بني سهم، فينتحب ويبكي حتى يعلو صوته وحتى تسيل دموعه على الحصى. قال: فأرسل إليه الأمير: إنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك وارتفاع صوتك، فلو أمسكت قليلاً. فبكى ثم قال: إن حزن يوم القيامة ورثني دموعاً غزيراً، فأنا أستريح إلى ذريها أحياناً. وكان أمية يقول: ألا إن المطيع لله ملك في الدنيا والآخرة. وكان يدخل الطواف فيأخذ في البكاء والنحيب، وربما سقط مغشياً عليه. (٢)

### ❦ خشوع عتبة الغلام - رحمه الله -

يزورني فربما بات عندي. قال ذات ليلة فبكى من السحر بكاءً شديداً فلما أصبح قلت له: قد فزعت قلبي الليلة ببكائك. فمم ذاك يا أخي؟ قال: يا عنبة إني والله ذكرت يوم العرض على الله.

ثم مال ليسقط فاحتضنته فجعلت أنظر إلى عينيه تتقلبان قد اشتدت حمرةهما.

<sup>١</sup> - «صفة الصفوة» (١/ ٣٧٨).

<sup>٢</sup> - «صفة الصفوة» (٢/ ٣٨٠).

قال: ثم أزيد وجعل يخور فناديته: عتبة عتبة! فأجابني بصوت خفي: قطع ذكر يوم العرض على الله أوصال المحبين.

قال: ثم جعل يحشرج بالبكاء ويردد حشرة الموت ويقول: تراك مولاي تعذب محبيك وأنت الحي الكريم؟ قال: فلم يزل يرددّها حتى والله أبكاني.<sup>(١)</sup> عن عنبسة الخواص يقول: كان عتبة الغلام يزورني فربما بات عندي. قال ذات ليلة فبكى من السحر بكاءً شديداً فلما أصبح قلت له: قد فزعت قلبي الليلة ببكائك. فمم ذاك يا أخي؟ قال: يا عنبسة إني والله ذكرت يوم العرض على الله. ثم مال ليسقط فاحتضنته فجعلت أنظر إلى عينيه تتقلبان قد اشتدت حمرةهما. قال: ثم أزيد وجعل يخور فناديته: عتبة عتبة! فأجابني بصوت خفي: قطع ذكر يوم العرض على الله أوصال المحبين.

قال: ثم جعل يحشرج بالبكاء ويردد حشرة الموت ويقول: تراك مولاي تعذب محبيك وأنت الحي الكريم؟ قال: فلم يزل يرددّها حتى والله أبكاني. داود بن المحبر قال: سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: ربما سهرت مفكراً في طول حزن عتبة، وقد كلمته ليرفق بنفسه فبكى وقال: إنما أبكي تقصيري.

<sup>١</sup> - صفة الصفوة - المعرفة (٣/ ٣٧٢).

عن أبي عمر الخطابي، قال: حدثني رجل من أهلهم، قال: كان عتبة الغلام يبكي حتى تمتلئ راحته بدموع عينيه، ثم يمسح بها وجهه ورقبته، ويقول: "إلهي وسيدي، لا تخزني يوم يقوم الحساب. قال: وكان إذا سمع النداء بكى" (١)

❦ **خشوع عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -** عن محمد بن أبي الحارث الثقفي،

قال: «رأيت عمر بن عبد العزيز رفع رأسه من السجود، فقع بين السجدين مقدار عشرين آية، ثم سجد. فلما رفع رأسه، نظرت إلى الدموع سائلة على خديه» قال أبو عمرو: قلت لمحمد: أفي التطوع كان ذلك؟ قال: نعم بمكة" (٢)

عن أدهم بن زكريا القرشي، قال: أخبرني شيخ من أهل خراسان، قال: لما أراد أبو جعفر بيت المقدس، نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز إذا أراد بيت المقدس، فقال: يا راهب، أخبرني بأعجب شيء رأيته من عمر بن عبد العزيز قال: نعم يا أمير المؤمنين. بينا عمر عندي ذات ليلة على سطح غرفتي هذه وهو من رخام وأنا مستلق على قفائي، فإذا أنا بماء يقطر من الميزاب على صدري، فقلت: والله ما عندي ماء، ولا رشت السماء مطرا. فصعدت، فإذا هو ساجد، وإذا دموع عينيه تنحدر من الميزاب» (٣)

١ - صفة الصفوة - المعرفة (٣/ ٣٧٢).

٢ - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٣/ ١٣٤).

٣ - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٣/ ١٣٤).

علي بن شبيب، قال: حدثنا أصحابنا الحجيون، قالوا: «لما رفع عمر بن عبد العزيز رأسه من السجود خلف المقام، نظروا إلى موضع سجوده مبتلا من دموع عينيه»<sup>(١)</sup>

عن مقاتل بن حيان قال: "صليت خلف عمر بن عبد العزيز، فقراً: {وقفوهم إنهم مسئولون} [الصفات: ٢٤]، فجعل يكررها، لا يستطيع أن يجاوزها" <sup>(٢)</sup>

❦ **خشوع خالد الزيات - رحمه الله -** عن محمد بن جعفر بن يحيى، قال: «رأيت خالدا الزيات قد رفع رأسه من سجدة، فنظرت إلى الحصى مبتلة من دموع عينيه»<sup>(٣)</sup>

❦ **خشوع رياح القيسي - رحمه الله -** محمد بن عبد الله الزراد، قال: "صليت إلى جنب رياح القيسي، فكنت أسمع وقع دموعه على البواري مثل الوكف: طق طق" <sup>(٤)</sup>

❦ **خشوع إسماعيل بن داود - رحمه الله -** محمد بن عبد الله القرشي، قال: «ربما صليت إلى جنب إسماعيل بن داود...، فأسمع وقع دموعه على بوري المسجد»<sup>(٥)</sup>

<sup>١</sup> - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٣/ ١٣٤).

<sup>٢</sup> - [موسوعة ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٥٥].

<sup>٣</sup> - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٣/ ١٣٥).

<sup>٤</sup> - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ١١٨).

<sup>٥</sup> - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٣/ ١٣٥).

❦ **خشوع عابد:** عن يعلى بن الأشدق يذكر أن عبد الملك بن مروان، نظر إلى رجل ساجد، قد أطال السجود، فلما رفع رأسه نظر إلى موضع سجوده مبتلا بالدموع فأرصد له رجلا فقال: إذا قضى صلاته فأتني به أختبر عقله. فلما قضى صلاته، أتاه، فقال له عبد الملك: رأيت منك منظرا الجنة تدرك بدونه. فصرخ الرجل صرخة أفزع عبد الملك وخر مغشيا عليه ثم أفاق بعد طويل وهو يمسح العرق عن وجهه ويقول: تبا لعاصيك ما احتمل من الآثام لديك قال: فجعل عبد الملك يبكي، والرجل مول لا يلتفت، حتى خرج" (١)

❦ **خشوع أبي محمد المغيرة الخزاز - رحمه الله -** عن بكر بن مصاد، قال: دخلنا على أبي محمد المغيرة الخزاز، وهو في مسجد في بيته، مستقبل القبلة، ودموعه جارية على لحيته، فسلمنا عليه وقلنا: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: «أمل طويل، وليل قريب أتوقعه، ما أدري على ماذا. . منه، على مسرة أو معرة. ثم غشي عليه» (٢)

❦ **خشوع سفيان الثوري - رحمه الله -** عن خالد بن الصقر السدوسي، قال: كان أبي خاصا لسفيان الثوري قال أبي: فاستأذنت على سفيان في نحر الظهر، فأذنت لي امرأة، فدخلت عليه وهو يقول: {أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم} [الزخرف: ٨٠] ثم يقول: بلى يا رب بلى يا رب وينتحب، وينظر

<sup>١</sup> - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ١٩١).

<sup>٢</sup> - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٣/ ١٦٨).

إلى سقف البيت ودموعه تسيل. فمكثت جالسا كم شاء الله، ثم أقبل إلي،  
فجلس معي، فقال: مذكم أنت ههنا؟ ما شعرت بمكانك" (١)

---

<sup>١</sup> - الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٣/ ١٧٢).

## الخاتمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا المجموع المبارك الموسوم بـ (حقيقة الخشوع في الصلاة: موانعه وبواعثه)، والذي طوفنا فيه عبر أبواب ثلاثة بين مفهوم الخشوع وحقيقته، ثم التشخيص الدقيق لموانعه ومكدراته، ووصولاً إلى البواعث العملية التي تعين العبد على الذوق الحقيقي للذة المناجاة في الصلاة.

وإننا نخلص في نهاية هذه الرحلة الإيمانية والمنهجية إلى جملة من النتائج

### والتوصيات الرئيسة:

١. الخشوع هو روح الصلاة: إن الصلاة بلا خشوع كالجاف بلا روح؛ فليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها، وعلى المسلم أن يسعى دائماً لإصلاح قلبه كما يسعى لإقامة أركان صلاته الظاهرة.

٢. التخلية قبل التحلية: لا يقبل القلب على الله في الصلاة حتى يستفرغ ما

فيه من شغالات الدنيا؛ فمعرفة الموانع القلبية والبدنية والمعاصرة

والتخلص منها هو الشرط الأول لجلب الخشوع.

٣. المجاهدة والمداومة: الخشوع ليس حالة طارئة تأتي بلا كلف، بل هو

ثمرة مجاهدة طويلة للنفس، وصبر على الشيطان، واستعانة دائمة بالله

تعالى.

٤. التأسي بالسلف: في التأمل في سير الخاشعين من سلف الأمة دافع عظيم

لعلو الهمة، وإدراك للمراتب العالية التي يمكن أن يصل إليها القلب في

المقام بين يدي الله.

### توصية ختامية:

أوصي نفسي وإياك أيها القارئ الكريم أن تجعل من هذا الكتاب برنامجاً عملياً،

أن تتفقد حالك قبل كل صلاة، وأن تبدأ في إزالة الموانع واحداً تلو الآخر،

سائلاً المولى جل وعلا أن يرزقك صلاة تقر بها عينك، وتطمئن بها نفسك.

المؤلف

الشيخ السيد مراد سلامة

## قائمة المصادر والمراجع (مُنَسَّقة ومُرتَّبة أبجدياً)

### أولاً: كتب القرآن الكريم وعلوم التفسير

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي.
٢. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.
٣. تفسير البغوي (معالم التنزيل): أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي.
٤. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.
٥. تفسير الرازي (المفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر الرازي.
٦. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): محمد بن جرير الطبري.
٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي.
٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي.
٩. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

١٠. غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري / الألوسي) :  
شهاب الدين محمود الألوسي (روح المعاني).

### ثانياً: كتب الحديث الشريف وعلومه وشروحه

١١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب :يوسف بن عبد البر النمري.
١٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل :محمد ناصر الدين الألباني.
١٣. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار :عمر بن علي بن الملقن.
١٤. التلخيص الحبير / الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي :  
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
١٥. الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب :محمد ناصر الدين الألباني.
١٦. الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري) :محمد بن إسماعيل البخاري.
١٧. الجامع الكبير (سنن الترمذي) :محمد بن عيسى الترمذي.
١٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.

١٩. الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: جلال الدين السيوطي.
٢٠. السلسلة الصحيحة / ضعيف الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني.
٢١. السنن الكبرى / معرفة السنن والآثار: أحمد بن الحسين البيهقي.
٢٢. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني.
٢٣. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد بن ماجه القزويني.
٢٤. سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي.
٢٥. سنن النسائي (المجتبى والسنن الكبرى): أحمد بن شعيب النسائي.
٢٦. صحيح ابن حبان: محمد بن حبان البستي.
٢٧. صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة.
٢٨. صحيح مسلم (المسند الصحيح): مسلم بن الحجاج النيسابوري.
٢٩. صفة صلاة النبي ﷺ: محمد ناصر الدين الألباني.
٣٠. ضعيف الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني.
٣١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني.

٣٢. الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني.
٣٣. كشف الخفاء ومزيل الألباس: إسماعيل بن محمد العجلوني.
٣٤. المجالسة وجواهر العلم: أحمد بن مروان الدينوري.
٣٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.
٣٦. المستدرک على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.
٣٧. مسند أبي يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي.
٣٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.
٣٩. مسند البزار (البحر الزخار): أبو بكر أحمد بن عمرو البزار.
٤٠. مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير الحميدي.
٤١. مسند عبد بن حميد: عبد بن حميد الكشي.
٤٢. المصنف في الأحاديث والآثار: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة.
٤٣. المصنف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني.
٤٤. المعجم الكبير / المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني.
٤٥. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: عبيد الله المباركفوري.
٤٦. مسند الفردوس (فردوس الأخبار): شيرويه بن شهريار الديلمي.

٤٧. الموطأ: مالك بن أنس الأصبحي.

### ثالثاً: كتب الفقه وأصوله والزهد والرقائق

٤٨. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي.

٤٩. الإقناع: علي بن محمد الماوردي.

٥٠. التعريفات: علي بن محمد الجرجاني.

٥١. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء): ابن

قيم الجوزية.

٥٢. الخشوع في الصلاة: ابن رجب الحنبلي.

٥٣. الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة: د. سعيد بن علي بن

وهف القحطاني.

٥٤. الخشوع في الصلاة: محمد لطفي الصباغ.

٥٥. الروح: ابن قيم الجوزية.

٥٦. الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن القشيري.

٥٧. سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي.

٥٨. شرح صحيح مسلم: محيي الدين يحيى بن شرف النووي.

٥٩. صلاة الخاشعين: ابن قيم الجوزية (كتاب الصلاة وحكم تاركها).

٦٠. الطبقات: أبو الشيخ الأصبهاني.
٦١. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
٦٢. الكبائر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي.
٦٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية.
٦٤. مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني.
٦٥. المجموع شرح المذهب: محيي الدين يحيى بن شرف النووي.
٦٦. المقدمة الحضرمية في الفقه الشافعي: عبد الله بن عبد الرحمن بافضل.
٦٧. المذهب في فقه الإمام الشافعي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي.
٦٨. الوابل الصيب من الكلم الطيب: ابن قيم الجوزية.
- رابعاً: المعاجم واللغة وغريب الحديث
٦٩. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.
٧٠. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور.

٧١. المحكم والمحيط الأعظم: علي بن إسماعيل بن سيدة الأندلسي.
٧٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد الفيومي.
٧٣. معجم الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري.
٧٤. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا.
٧٥. مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني.
٧٦. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين ابن الأثير الجزري.

## الإنتاج العلمي للمؤلف

### الإنتاج العلمي للمؤلف / الشيخ السيد مراد سلامة

#### القسم الأول. الردود والفرق والمذاهب والاعتقاد

١- تبصرة الموحدين بخيانات ومخططات الشيعة على الإسلام والمسلمين.

٢- التسعون العلية من أسماء الذات الإلهية.

٣- طقوس وشعائر وأعياد شيعية في ميزان الشريعة الإسلامية.

٤- فتاوى الأئمة الأعلام في بيان حقيقة وعقيدة الرافضة اللثام.

٥- فكر المؤامرة عقيدة وحقيقة لا خيال.

٦- المباهلة في الإسلام.

٧- الشيطان كأنك تراه.

#### القسم الثاني: كتب الحديث الشريف والسنة والآثار:

٨- الإذاعة بذكر أربعين حديثاً في السمع والطاعة.

٩- الأربعون البرزخية.

١٠- الأربعون البلدانية.

١١- الأربعون التيسيرية من سنة خير البرية.

١٢- الأربعون الرضائية من أحاديث خير البرية.

١٣- الأربعون السماوية من أحاديث صفوة البشرية.

١٤- الأربعون الكتابية.

١٥- الأربعون النبوية في حرمة الدماء البشرية.

١٦- الأربعون النبوية لمغفرة خطايا الإنسانية.

١٧- الأربعون النورانية في وصف صفوة البشرية.

١٨- البدر الأتم في ذكر أربعين حديثاً قال فيها الصحابة الله ورسوله أعلم.

١٩- الدر المختار من استفسارات الصحابة عن غريب قول النبي المختار.

٢٠- الدر المختار من الأحاديث الواردة في البحار.

٢١- فتح الجليل بذكر الأحاديث التي ذكر فيها النخيل.

٢٢- فتح الكبير المتعال بالأحاديث الطوال.

٢٣- متن الأربعين الشتوية من أحاديث خير البرية.

٢٤- متن الأربعين المرادية إياكم واختراق المنهيات.

٢٥- متن الأربعين من أهوال يوم الدين.

٢٦- الأحاديث الواردة في فضائل سيناء.

٢٧- الأحاديث والآثار الواردة في محبة الوطن عند الشعراء.

٢٨- الأحاديث النبوية في أحكام الأذان وآدابه.

٢٩- الأحاديث والدروس المستفادة من الهجرة النبوية.

٣٠- نظم السبائك بذكر من تصلي عليهم ومن تلعنهم الملائك.

### القسم الثالث: كتب الخطب والمواعظ والدروس المنبرية:

- ٣١- إرواء المشتاق من خطب الأخلاق.
- ٣٢- الخطب المرادية عن شمائل خير البرية.
- ٣٣- الخطب والمواعظ الباهرة في ذكر الموت وأهوال المقبرة.
- ٣٤- الدرر البهية من المقدمات المنبرية.
- ٣٥- العشریات المرادية من الخطب المنبرية.
- ٣٦- المسك الأذفر للدرس والموعظة والمنبر.
- ٣٧- موسوعة القصص المنبرية - الجزء الأول.
- ٣٨- موسوعة القصص المنبرية - الجزء الثاني.
- ٣٩- النسمات المباركات من مقدمات المناسبات.
- ٤٠- تحفة الواعظ للخطب والمواعظ (ألف قصة وقصة).

### القسم الرابع قسم الخطب الأخلاقية والمعاملات

- ٤١- كتب ومجالس شهر رمضان المبارك وصلاة التراويح.
- ٤٢- إشراق المصاييح لجلسة صلاة التراويح.
- ٤٣- الأماليح لجلسة صلاة التراويح.
- ٤٤- ري الظمآن من دروس العصر في رمضان.
- ٤٥- فيض الرحمن دروس وخواطر شهر رمضان.

٤٦- القصص المليح لجلسة صلاة التراويح.

٤٧- الكنوز الرمضانية.

٤٨- اللآلئ الحسان من أوصاف شهر رمضان.

٤٩- مشكاة المصابيح لجلسة صلاة التراويح.

٥٠- المواعظ العصرية للدروس الرمضانية.

٥١- نفح الريح لجلسة صلاة التراويح.

### القسم الخامس : الفتاوى والأحكام الفقهية والشرعية:

٥٢- أريج العطر في بيان أحكام زكاة الفطر.

٥٣- تحفة الأنام بفتاوى شهر رجب الحرام.

٥٤- تحفة الملهوف بأحاديث الخسوف والكسوف.

٥٥- تشنيف الأذان بما ورد في فضل وآداب وأحكام الأذان.

٥٦- الدرر البهية من آداب وأحكام التحية.

٥٧- الدرر البهية من الفتاوى الرمضانية.

٥٨- الدرر السنية من فتاوى الأضحية (١٣٠ سؤال وجواب).

٥٩- قرة العينين بفتاوى أبي همام بالحرمين.

٦٠- المشكاة في بيان آداب وأحكام اصطحاب الأطفال إلى الصلاة.

٦١- رسالة عاجلة إلى من فاته الحج.

٦٢- مخالفات في الطرق والمواصلات رؤية شرعية.

٦٣- أسباب غلاء الأسعار وقلة البركة من منظور الشرع.

### القسم السادس: السيرة النبوية والشمائل والخصائص :

٦٤- تحفة الداعية والإمام بدروس سيرة خير الأنام.

٦٥- رد القوي المتين على من سب أو عاب النبي الأمين صلى الله عليه وسلم.

٦٦- السراج الوهاج من عبر ودروس الإسراء والمعراج.

٦٧- العناية الربانية بصفوة البشرية.

٦٨- الفتح الرباني لمنهج الإمام الرضائي.

٦٩- فتح رب البرية من خطب ودروس الهجرة النبوية.

٧٠- الكوكب الوهاج من خطب الإسراء والمعراج.

٧١- مؤذنو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٧٢- النسوة يسألن والنبي يجيب.

### القسم السابع موسوعة "حرص السلف وتفريط الخلف"

٧٣- حرص السلف على اغتنام الأوقات وتفريط الخلف.

٧٤- حرص السلف على إقامة العدل في الأرض وتفريط الخلف.

٧٥- حرص السلف على الاتباع وتفريط الخلف.

٧٦- حرص السلف على الزهد في الدنيا وإفراط الخلف في الحرص عليها.

- ٧٧- حرص السلف على الصلاة وتفريط الخلف.
- ٧٨- حرص السلف على العمل والكسب الحلال وتفريط الخلف.
- ٧٩- حرص السلف على الغيرة على دينهم وأعراضهم وتفريط الخلف.
- ٨٠- حرص السلف على القرآن الكريم تلاوة وعملا وتفريط الخلف.
- ٨١- حرص السلف على المحاسبة وتفريط الخلف.
- ٨٢- حرص السلف على النصيحة لولاة الأمور وتفريط الخلف.
- ٨٣- حرص السلف على بر الوالدين وتفريط الخلف.
- ٨٤- حرص السلف على تقوية روابط الأخوة والحب في الله وتفريط الخلف.
- ٨٥- حرص السلف على طلب العلم وتعليمه وتفريط الخلف.
- ٨٦- حرص السلف على قيام الليل وتفريط الخلف.

### القسم الثامن: التراجم والسير والتاريخ الإسلامي

- ٨٧- أنبياء وعلماء وقضاة خلف القضبان.
- ٨٨- تذكرة النبلاء بفضائل سيئات.
- ٨٩- ريب المنون في ذكر من مات بالطاعون من الصحابة والعلماء والقضاة والخلفاء والأمرء والشعراء.
- ٩٠- صور من وصايا الأنبياء والخلفاء والعلماء والآباء والصحابة والتابعين عند موت.
- ٩١- فتح الكريم الوهاب بتراجم العلماء العزاب.

٩٢- صور مشرقة من الثبات على الإيمان للعبارة والعظة

٩٣- صور مشرقة من ثبات الصالحين ومواقفهم تاريخياً.

٩٤- مواقف حاسمة من تاريخ المرأة المسلمة.

٩٥- الفائزون بدعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

### القسم التاسع: التربية والأسرة والشباب والتربية الجنسية:

٩٦- أخطاؤنا في تربية الأبناء.

٩٧- أي بنيتي تلك هي وصيتي.

٩٨- التربية الجنسية في الإسلام.

٩٩- الدرر الغراء من وصايا الآباء للأبناء.

١٠٠- الفتاوى العصرية في المسائل الجنسية.

١٠١- صور مشرقة من حياة الأطفال.

### القسم العاشر: القضايا المعاصرة، الأخلاق، والمجتمع:

١٠٢- أخطاء ومخالفات في الطرق والمواصفات رؤية شرعية

١٠٣- أسباب غلاء الأسعار وقلة البركة من منظور الشرع.

١٠٤- تذكرة النبلاء بمحبة الوطن عند الشعراء.

١٠٥- الدر المنضود في الإصلاح والتغيير المنشود.

١٠٦- درر الحكم، والأمثال لرسائل الجوال.

- ١٠٧- فيض العزيز الغفار في بيان حقوق وأحكام الجار.
- ١٠٨- اللامبالاة في حياة الفرد والأسرة و المجتمع (المظاهر - الأسباب - الآثار - العلاج).
- ١٠٩ مفاتيح النجاح العشرة.
- ١١٠- نبع الإيمان بخطب محبة وحقوق الأوطان.
- ١١١- القول الجلي في مخالفات شرعية يقع فيها رواد التواصل الاجتماعي.

### القسم الحادي عشر النوازل، مآسي الأمة، وقضية فلسطين

- ١١٢- بيت المقدس بين وحشية الغاصبين ورحمة الفاتحين.
- ١١٣- مجازر في تاريخ الأمة الإسلامية (دماء وأشلاء .. عويل وبكاء).
- ١١٤- مجازر في تاريخ غزة.
- ١١٥- مجازر من تاريخ سوريا دماء وأشلاء.
- ١١٦- هزة غزة (هزة إيمان واعتقاد وعزة).

### القسم الثاني عشر سلسلة كتب الموانع:

- ١١٧- موانع طلب العلم.
- ١١٨- موانع الهداية وأسبابها.
- ١١٩- موانع التوبة وأسبابها.
- ١٢٠- موانع الخشوف في الصلاة وأسبابه.

## فهرس المحتويات

|                                                                  |    |
|------------------------------------------------------------------|----|
| المقدمة .....                                                    | ٣  |
| الباب الأول: حقيقة الخشوع في الصلاة .....                        | ٦  |
| الفصل الأول: مفهوم الخشوع .....                                  | ٧  |
| تعريف الخشوع عند المفسرين .....                                  | ٩  |
| الفصل الثاني: الفروق بين الخشوع وما يشابهه من                    |    |
| المعاني .....                                                    | ١٢ |
| المبحث الأول: الفرق بين الخشوع والخضوع .....                     | ١٣ |
| المبحث الثاني: الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع                      |    |
| النفاق .....                                                     | ١٤ |
| المبحث الثالث: الفرق بين الخشوع والوجل والقنوت والسكينة والإخبات |    |
| والطمأنينة .....                                                 | ١٦ |
| الفصل الثالث: بيان حكم الخشوع .....                              | ٢٤ |
| الفصل الرابع: فضائل الخشوع والخاصعين .....                       | ٣٦ |
| الفصل الخامس: آثار الخشوع وثمراته في القلب والعمل .....          | ٥٠ |

الباب الثاني موانع الخشوع..... ٥٤

الفصل الأول: الموانع القلبية والنفسية..... ٥٥

أولاً: الذنوب والمعاصي..... ٥٥

ثانياً: الغفلة عن الله

تعالى..... ٥٧

ثالثاً: قسوة القلب..... ٥٩

رابعاً: تعلق القلب بالدنيا وشواغلها..... ٦٢

خامساً: الوسواس..... ٦٤

سادساً: العجب بالنفس والعمل..... ٦٧

سابعاً: الكبر..... ٧١

ثامناً: الرياء..... ٧٤

تاسعاً: الجدل والخصومات..... ٧٨

عاشراً: ترك الورع والانشغال بما لا ينفع..... ٧٩

الفصل الثاني: الموانع البدنية

والحسية..... ٨٢

أولاً: الصلاة حاقناً أو حاقباً أو حازقاً والصلاة بحضرة الطعام..... ٨٢

ثانيا: الصلاة حال غلبة النعاس..... ٨٤

ثالثا: العبث بالبدن أو الثوب أو غيرهما..... ٨٧

رابعا: الانشغال بتسوية الحصى..... ٨٨

خامسا: الالتفات في

الصلاة..... ٨٩

سادسا: رفع البصر إلى السماء..... ٩٤

سابعا: الإخلال بالركوع والسجود..... ٩٧

ثامنا: تكلف الدعاء..... ١٠٠

تاسعا: التأؤب في الصلاة..... ١٠٢

الفصل الثالث: الموانع المتعلقة بالمكان والمحيط..... ١٠٣

أولا: الصلاة خلف المتحدث أو النائم..... ١٠٣

ثانيا: الصلاة في قارعة

الطريق..... ١٠٥

ثالثا: الصور والنقوش في الثوب أو

المصلى..... ١٠٦

رابعا: التشويش بالقراءة على الآخرين..... ١١٠

الفصل الرابع: الموانع المعاصرة..... ١١١

الانشغال بالتقنيات والوسائل الحديثة..... ١١١

الباب الثالث: ما يجلب الخشوع ويقويه..... ١١٧

الفصل الأول: بواعث الخشوع القلبية والإيمانية..... ١١٨

أولا: التضرع إلى الله تعالى وسؤاله

الخشوع..... ١١٩

ثانيا: استحضار عظمة الله تعالى..... ١٢١

ثالثا: تذكر الموت والآخرة..... ١٢٤

رابعا: أكل الحلال..... ١٢٨

خامسا: الاقتداء بالنبي ﷺ في

الصلاة..... ١٣١

الفصل الثاني: الاستعداد للصلاة وتهيئة القلب لها..... ١٣٤

أولا: إحسان الوضوء وإسباغه..... ١٣٥

ثانيا: الصلاة حال النشاط..... ١٤٠

ثالثا: أداء السنن الرواتب..... ١٤٢

رابعا: البعد عن مثيرات النظر..... ١٤٥

خامسا: الصلاة إلى سترة والدنو منها..... ١٤٨

الفصل الثالث: بواعث الخشوع في أثناء الصلاة..... ١٤٩

أولا: التأني في أداء

الصلاة..... ١٥١

ثانيا: السكون في الصلاة..... ١٥٥

ثالثا: وضع اليمين على الشمال فوق الصدر..... ١٥٩

رابعا: النظر إلى موضع السجود وإلى السبابة..... ١٦٠

خامسا: تحريك السبابة..... ١٦٣

سادسا: الاستعاذة بالله من الشيطان عند هجوم

الوسواس..... ١٦٦

سابعا: التنويع في السور والآيات والأذكار

والأدعية..... ١٦٩

ثامنا: التغني بالقرآن وتحسين الصوت به..... ١٧١

الفصل الرابع: الخشوع في أركان الصلاة

وأقوالها..... ١٧٥

الخشوع عند سماع الأذان..... ١٧٦

- ❦ الخشوع عند الطهارة..... ١٧٧
- ❦ الخشوع عند ستر العورة..... ١٨٠
- ❦ الخشوع عند استقبال القبلة..... ١٨٢
- ❦ الخشوع عند الاعتدال قائما..... ١٨٤
- ❦ الخشوع عند النية..... ١٨٥
- ❦ عند تكبيرة الإحرام..... ١٨٧
- ❦ الخشوع عند دعاء الاستفتاح..... ١٨٩
- ❦ الخشوع عند الاستعاذة..... ١٩٢
- ❦ الخشوع عند قراءة الفاتحة..... ١٨٥
- ❦ الخشوع عند قراءة ما تيسر من القرآن..... ١٩٩
- ❦ الخشوع عند الركوع والسجود..... ٢٠٢
- ❦ رابعاً: الجمع بين خشوع القلب والجوارح..... ٢٠٤
- ❦ الخشوع عند التشهد..... ٢٠٧
- ❦ الفصل الخامس: من رياض الخاشعين..... ٢١٠

المبحث الأول: خشوع النبي ﷺ وبكاؤه من خشية الله في صلاة

الليل..... ٢١١

المبحث الثاني خشوع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

٢١٤.....

المبحث الثالث: خشوع التابعين..... ٢١٧

الخاتمة..... ٢٢٧

قائمة المصادر والمراجع..... ٢٢٩

الإنتاج العلمي للمؤلف..... ٢٣٦

الفهرس..... ٢٤٣